الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي
والبحث العلمي

جامعة الجزائر
كلية العلوم الإسلامية

عقيدة البعث بين النص القرآني والفكر الإنساني

" دراسة تحليلية نقدية في ضوء القرآن الكريم "

رسالة مقدمة لنيل درجة شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية

تخصص : أصول الدين

إعداد الطالب :
محمد الشريف اقروفة

إشراف الأستاذ :
الدكتور / عمار جيدل

السنة الجامعية

1423/1422-1421هـ

2002-2001م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى والدي الكريمين، اللذين غرسا في قلبي عقيدة الإيمان بيوم البعث، لأنشأ بها على درب خشية المولى عز وجل، في السراء والضراء، والشدة والرخاء.

أهدي هذا العمل المتواضع، راجيا منه تعالى حسن القبول، ووافر الجزاء، في يوم اللقاء، وأن يرزقني، ووالدي، وأهلي، الاستقامة وحسن الخاتمة. وأن ينعم علينا جميعا بجنة الفردوس،

إنه سميع الدعاء؛

آمين.

إفتتاحية

قال سبحانه :

﴿ قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ الجمعة آية 8.

قال الرسول صلى الله عليه وسلم :

﴿ (....والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون ولتجزون بالإحسان إحسانا، وبالسوء سوءا وإنها الجنة أبدا، أو النار أبدا ﴾.

الكامل لابن الأثير ، 585/2 .

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى :

" العاقل من يعمل لقبره قبل أن يدخل فيه " .

بسم الله الرحمن الرحيم

1- المقدمة :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وعلى آله وأصحابه ومن سار على دربه إلى يوم الدين .

وبعد :

هذه دراسة عن عقيدة البعث الأخروي التي احتلت في القرآن الكريم الصدارة بعد عقيدة الإيمان با لله سبحانه .

وهي، وإن كانت من الغيب الذي استعصى إدراكه على العقل البشري، أو عن الحواس التي زود بها الإنسان، باعتبار حدودهما المتاحة، وطاقتهما المحددة .إلا أن هذه العقيدة تبقى محل اتفاق المسلمين في مختلف العصور والأزمان .

كيف لا، وهي التي كشفت النقاب عن نهاية الحياة الإنسانية في هذه الدنيا بسبب الموت، ثم الانتقال عبره إلى الآخرة مرورا بعالم البرزخ ثم إلى قيام الساعة، وبعث الناس من القبور إستعداد للحساب والجزاء، إن خيرا فخير وجنة، وإن شرا فشر ونار .

وقد ذكر القرآن الكريم تلك المراحل، ويمكن الإشارة إليها بإيجاز :

المرحلة الأولى :

وهي ظاهرة الموت التي تترصد البشرية كافة دون أن تستثني أحدا، وقد أطلق عليها [1] القرآن أسماء، تارة باسم القدر، كما في قوله سبحانه :

﴿ نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين ﴾ [2] بمعنى أنه قدر محتوم.

وتارة باسم الأجل، كما في قوله تعالى :

﴿ ولن يؤخر ا لله نفسا إذا جاء أجلها ﴾ [3] أي وقتها وموعد رحيلها .

---

(1) الضمير يعود إلى ظاهرة الموت نظرا لكونها قدرا محتوما على البشرية كافة .

(2) سورة الواقعة آية : 60.

(3) سورة المنافقون آية : 11.

المرحلة الثانية :

وهي ما بعد الموت، وقبل يوم القيامة وقد سماها القرآن الكريم بالحياة البرزخية، جاء في ذلك، قوله تعالى عن حياة الشهداء :

﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل ا لله أمواتا بل أحياء عند ربهم ... ﴾ [1]

وقوله أيضا :

﴿ ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴾ [2] .

المرحلة الثالثة :

وهي مرحلة اضطراب الكون وخرابه، وقد جاء ذلك في السور المكية على وجه الخصوص، منها قوله تعالى :

﴿ إذا السماء انفطرت ﴾ [3]

﴿إذا السماء انشقت ﴾ [4]

﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها ﴾ [5] .

المرحلة الرابعة :

وهي مرحلة بعث الناس من قبورهم احياء، وقد أطلق القرآن الكريم أسماء مختلفة، منها : البعث، النشأةالأخرى، الخلق الجديد، وغيرها من الأسماء التي تصف الحدث وصفا دقيقا .

قال تعالى عن البعث :

﴿ وأن ا لله يبعث من في القبور ﴾[6]

وعن النشأة الأخرى، قال :

﴿ وأن عليه النشأة الأخرى ﴾ [7] .

وعن الخلق الجديد، قال : ﴿ أئذا كنا عظاما ورفاتا إنا لمبعوثون خلقا جديدا ﴾[8]

---

[1] سورة آل عمران، آية : 169.

[2] المؤمنون، آية : 100.

[3] سورة الانفطار، آية : 1.

[4] سورة الانشقاق، آية 1.

[5] سورة الزلزلة، آية : 1

[6] سورة الحج، آية 7.

[7] سورة النجم، آية : 47.

[8] سورة الإسراء، آية : 49.

المرحلة الخامسة :

وهي تعني حشر الناس، وجمعهم، وعرض أعمالهم، جاء في ذلك قوله تعالى :

﴿ واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون ﴾ [1]

﴿ هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين ﴾ [2]

﴿ يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ﴾[3]

﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ [4] .

المرحلة السادسة :

وهي تتعلق بالجزاء بالثواب أو العقاب، جاء في ذلك قوله تعالى : ﴿ اليوم تجزى كل نفس بما كسبت ﴾ [5]

﴿ إن جهنم كانت مرصادا ... إلى قوله " جزاء وفاقا ﴾ [6]

﴿ إن للمتقين مفازا ... إلى قوله : جزاء من ربك عطاء حسابا ﴾ [7] .

2 . تحديد المشكلة :

لئن كانت المراحل السابقة بمثابة المحاور الكبرى التي جاءت في القرآن الكريم تخص عقيدة البعث، إلا أن موضوع بحثنا يركز على المرحلة الرابعة من الناحية العقلية، والفلسفية والعلمية، دون أن ينس المرحلتين : الخامسة، والسادسة باعتبارهما غاية الإيمان بهذا الركن العظيم، وجزء لا يتجزأ، لأنه يشكل وحدة متكاملة في العقيدة الإسلامية .

ثم إن علماء الإسلام، سواء كانوا من المتكلمين أو من الفلاسفة، تناولوا موضوع البعث، لا من جهة الإثبات، لأنه عقيدة متفق عليها، ولكن من جهة الكيفية التي يتم فيها تصور البعث، وذلك تبعا لرؤية كل عالم، في كيفية تصوره للبعث، هذا إذا اقتصرنا على أئمة الفكر الإسلامي، أما إذا توسعنا في البحث والاستقصاء، فإننا نجد في الواجهة الأخرى فلاسفة ومفكرين ذوي نزعة العلم التجريبي من ينكر عالم الغيب جملة وتفصيلا، بما فيه عالم الآخرة بالذات. على أساس أن

---

[1] سورة البقرة، آية : 203.

[2] سورة المرسلات، آية : 38..

[3] سورة الحاقة، آية : 18.

[4] سورة الزلزلة، آيتا : 7-8

[5] سورة غافر، آية : 17.

[6] سورة النبأ، آيات : 21-26.

[7] سورة النبأ، آيات : 31 - 36.

ذلك لا يخضع لمنطق عالم الحس المبني على التجربة والاختبار. ومن هذه الزاوية عمد الباحث إلى عرض آراء أولئك وهؤلاء، مبينا أوجه التمايز بينهم، وما مرجع ذلك ؟ وحاكمها إلى منطوق القرآن الكريم من خلال حقيقة الزوجية القرآنية التي تنتشر في الآفاق، وتطرد في الخلق .

والبحث يقتضي توضيح تلك العلاقة بين الزوجية والبعث، وهو ما تعرضت له النظريتان التاليتان باسم مصطلح الثنائية، ولكن في مجال الفيزياء والرياضيات فقط، وها هما على التوالي، على سبيل المثال لا الحصر :

أ ـ نظرية الحذاء المحزوم [1] .

ب ـ نظرية جبر بول [2] .

علاقة الزوجية بالبعث :

وهنا يتبادر السؤال :ما صلة هذه الزوجية بالبعث الأخروي ؟

إن الزوجية في السياق القرآني أصبحت حقيقة علمية، ومطردة في كل أشكال الكون، في الإنسان، الحيوان، النبات، الأفكار، المعاني، وحتى الكون نفسه يحمل هذه الزوجية، حين صنفه القرآن ضمن عالم الحس والشهادة، وهو ما يعني في منطق الزوجية وجود عالم آخر، سماه القرآن أيضا : بعالم الغيب الذي يشتمل على عالم الآخرة خصوصا .

ومن هنا أدركت أن من حكمة الله تعالى، ورحمته بخلقه، أن أرشدهم بهذه " الزوجية " ليعلموا ويستيقنوا أن من وراء عالم الحس، عالم الغيب، الذي اختفى عن الأبصار ووسائل الادراك الأخرى.

وليت الفلاسفة، والباحثون، من دعاة الفكر المادي، الالحادي، أدركوا ذلك، حتى يريحوا عقولهم، وتفكيرهم، من مغبة التيه، والضلال، ويعودوا إلى الرشد والصواب .

---

(1) لم أقف على صاحبها .

(2) أما نظرية (جبر بول) سميت بهذا الاسم نسبة إلى صاحبها (جورج بول) 1815 ـ 1864 م.، وهو عالم منطق، ورياضيات، انجليزي ... يتناول الجبر البولياني العلاقات بين المجموعات، مجموعة الأفكار ... الأشياء ... الخ، وفي هذا الجبر يمثل للمجموعات بالحروف : أ، ب، ج.اهـ نقلا عن الموسوعة العربية العالمية 189/8 .

ـ أما عن معنى النظريتين فهو كما يأتي :

أـ نظرية الحذاء المحزوم : تعني أن الظواهر الطبيعية مترابطة كترابط الحذاء بالرجل الذي يلبسها، أي انسجام شكل القدم مع شكل الحذاء .

ب ـ نظرية جبر بول : ترى أن الثنائية [الزوجية] علاقة جبرية تربط بين الزوجين . أنظر النظريتين، في مقال الدكتور مولاي : الروح والجسد بين التصور الديكارتي والتصور القرآني: مجلة المجلس الاسلامي الأعلى ، ص : 133.137. عدد : 1419/2هـ/ 1999.

وحري بهؤلاء الحيارى عند استقرائهم لمظاهر الزوجية المطردة في كل شيء، ووضعها في مختبراتهم العلمية التي ألفوها وتعلقوا بها، أن يعلنوا شهادة الحق التي دعا إليها القرآن، وأن يرددوا مع المسلمين العالمين قول الله تبارك اسمه : ﴿ سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ﴾[1] .

وقوله تبارك اسمه :

﴿ ربنا ما خلقت هذا باطلا فقنا عذاب النار ﴾[2] .

ثم إنه بالاستعانة بالقياس الأصولي المتمثل في : (قياس الغائب على الشاهد)[3]، تجلت الحقيقة القرآنية التي دعت إليها ـ الزوجية ـ وثبت باليقين وجود الآخرة قطعا .

كما أن آية الزوجية في قوله سبحانه :

﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ﴾ [4]

تعني : إطراد، وعموم الزوجية في كل شيء خلقه الله تعالى، ومن ضمنها الآخرة التي خلقت فعلا، وتجلى ذلك في الآيات القرآنية منها مثلا :

﴿ أعدت للمتقين ﴾[5]

﴿ أعدت للكافرين ﴾[6]

فالفعل في الآيتين هو : [أعدت]، وهو فعل ماض، يفيد وجودها مسبقا .

---

[1] البقرة آية : 32.

[2] آل عمران آية : 191 .

[3] مناهج البحث عند مفكري الاسلام . د/ النشار، ص : 132 .

[4] سورة الذاريات، آية : 49 .

[5] سورة آل عمران آية : 133 .

[6] سورة آل عمران آية : 131.

3. فرضيات البحث :

إن القرآن الكريم حين تحدث عن قضية البعث الأخروي بإسهاب، لم يغفل تلك الفرضيات التي تدور في فلك العقل البشري، بمختلف عقائده، وأزمنته، وأمكنته ويمكن تصنيفها كأقصى حد من التصورات، إلى ثلاث ، هي كما يأتي :

أ. الإفتراض الأول :

ليس هناك بعث، ولا حساب، ولا عقاب، ولا ثواب، وهذا الفرض، نادى به الدهريون والماديون، وقد رده القرآن على أساس أنه يرتكز على الظن، والاستكبار، لا إلى العلم والحجة، قال سبحانه في ذلك :

﴿ وقالوا ماهي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ومالهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون ﴾[1]

﴿ إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين ﴾[2]

فالآية الأولى على الخصوص ترد ذلك الزعم المبني على الظن، في حين يبقى القرآن يحمل راية العلم، والدليل، والبرهان، كما تصرح في ذلك آية أخرى، هي قوله سبحانه :

﴿ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾[3] .

ب. الإفتراض الثاني :

وإن كان هذا يتفق مع الأول في إنكار البعث، إلا أنه يزعم أن البعث يكون في الدنيا، وهو ما يسمى بمذهب التناسخية، ومن نحا نحوها، وقد رده القرآن لافتقاره إلى الدليل أولا، ثم رَدَعَ أصحابه حين طلبوا الرجوع إلى الدنيا ثانيا، ثم أحال بينهم وبين تمني الرجعة بحائل البرزخ فمنعهم وأيأسهم من تحقيق ذلك ثالثا[4] .

قال سبحانه :

﴿ حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت، كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴾[5] .

---

[1] سورة الجاثية، آية : 24.

[2] سورة المؤمنون، آية 37.

[3] سورة البقرة، آية : 111.

[4] انظر الكشاف للزمخشري 42/3 .

[5] سورة المؤمنون آيتا : 99 - 100 .

فالآية في الوقت الذي ختمت الحديث بالبعث، نفت قطعا، وبأي صفة، إمكانية الرجوع إلى الدنيا، سواء باسم التناسخ، أوبأي إسم آخر .

جـ. الإفتراض الثالث :

ويبقى الافتراض الثالث والأخير الصحيح، حين يقر بحقيقة البعث، وإمكانيته، ويتماشى مع العقل السليم، ولا يتعارض البتة مع النقل الصحيح.

وقد سلك القرآن الكريم في تدعيم هذا الافتراض بجملة من الأدلة يمكن الإشارة إليها بالاختصار على الشكل التالي :

أـ الدليل النقلي :

وذلك بالوصف لكيفية البعث وما يتبعه من حقائق شرعية وقد اشتملت على ذلك السور المكية بالذات التي تهتم بشؤون العقيدة على الإجمال .

ب ـ الدليل العقلي :

وذلك باعتماد القرآن الكريم أسلوب الحوار مع المنكرين للمعاد الأخروي، ويتجلى ذلك في مخاطبته إياهم عبر الطريقتين التاليتين هما :

ـ **الطريقة العقلية** : التي تعني قياس النشأة الثانية على النشأة الأولى. بمعنى أن الله تعالى إن كان قادرا على إحياء الناس في الدنيا، فإنه بالقياس العقلي يكون قادرا أيضا على إحيائهم في الدار الأخرى .

ـ **الطريقة الغائية :** وعبر هذه الطريقة بين القرآن الكريم للناس ودعاهم إلى تدبر سر وجودهم في هذه الحياة، كما أن منطق الأخلاق يرفض أن يموت ناس دون أن يجازوا عن أعمالهم. ومن هنا، وعبر تنزيه الله تعالى عن العبثية في الخلق، وإدراك أن عدالة الله تعالى لم تفصل بعد فيما بين العباد، وجب شرعا أن يكون هناك عالم البعث لمجازاة الناس عن أعمالهم في الدنيا .

ج ـ الدليل العلمي :

وبواسطة ظاهرة الزوجية التي نطق بها القرآن، والتي شملت شتى مظاهر الخلق، في الكون، الحياة، الإنسان، الحيوان، الأفكار، المعاني، دعا القرآن إلى توظيف هذه الظاهرة التي تقود حتما إلى الاعتقاد بالحياة الأخرى على أساس أن الحياة الأخرى إمتداد للحياة الدنيا من أجل الجزاء، وإطراد لها في الخلق، فضلا عن كونها جزء لا يتجزء من عالم الغيب الذي يقابل في الاصطلاح القرآني :

عالم الشهادة، أو عالم الحس، المدرك، في منطق دعاة الفكر المادي .

4 - أهمية البحث :

تتجلى أهمية هذا البحث في النواحي التالية بإيجاز :

أ- إكتشاف الزوجية القرآنية يعد سبقا علميا لصالح الفكر الإسلامي، من ثمة، لا داعي من الاندهاش، والتعجب، حين يدعي أهل المذهب العلمي التجريبي انفرادهم باكتشاف نظرية الثنائية التي سبقت الإشارة إليها .

ب - تحرير موضوعي : البعث، الروح، من الفلسفة، واعتبارهما من الحقائق العلمية التي لا تقبل المساومة أو الجدل.

ج - إثبات وجود الغيب كعالم مستقل عن طريق الزوجية تلك، دحر لدعاوي المذهب المادي التي يتغنى بها أصحاب المدرسة الشيوعية، والبرغماتية، والوجودية، التي تعمل جاهدة على نشر الالحاد والإباحية والتحلل من كل القيم الدينية والإجتماعية، بدعوى أنهم لا يؤمنون إلا بعالم الحس والواقع العملي فقط .

د - إعتبار العقيدة الإسلامية من أرسخ العقائد، وأدومها، وأقدرها على مد الإنسانية بطاقة روحية وخلقية هائلتين، يتم بموجبهما حل جميع المشاكل البشرية، فضلا عن كونها القاعدة الخلفية للثبات والتصدي لكل محاولات اليأس التي تسربت إلى العالم الإسلامي عبر الوثنية الاغريقية، والصوفية المتطرفة، اللتين أساءتا الفهم والتفسير لحقيقة الكون والحياة، الأمر الذي أدى إلى قطع الصلة بين ا لله تعالى وعباده .

5 - منهج البحث :

يغلب على بحثنا هذا (منهج التحليل والمقارنة)، ثم الخروج بنتيجة وتصور يتفقان مع مرامي عقيدة السلف الصالح، أوبعبارة أكثر وضوحا : الجمع بين مدرسة النقل والعقل، لأن العقل الصحيح لا يتعارض أبدا مع النقل .

ويمكن في هذا الإطار الإشارة إلى الأنواع الدراسية التي مرت بها مسألة البعث من خلال المدرستين التاليتين :

1. **الأولى :**

مدرسة نقلية صرفة، توجد فيها أحيانا بعض التعليقات، اعتمدت في مجملها على جمع النصوص المتعلقة بالآخرة، وصنفته كتبا مستقلة تعالج على الإجمال الترغيب والترهيب، ومنها ما يأتي :

أ- التذكرة في أحوال الموتى والآخرة للقرطبي

ب - النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير

وغيرها، أحجمنا عن ذكرها مخافة الطول .

2. **الثانية :**

مدرسة عقلية، تناولت موضوع البعث مفرقا، غير محصور في مؤلف واحد، وهو ما اشتملت عليه هذه المصارد التالية على سبيل المثال :

- كتب العقيدة وأهل الكلام :

- الإرشاد إلى قواطع الأدلة للمؤلف : الجويني

- شرح المقاصد للمؤلف : التفتازاني

- كتب الفلسفة :

- رسالة أضحوية في أمر المعاد لابن سينا، وهو مؤلف محصور في كتيّب صغير.

- تهافت الفلاسفة لأبي حامد الغزالي.

- تهافت التهافت لابن رشد

الدراسات المقارنة :

ومن الكتب الحديثة التي ألفت في ميدان البعث، ولكن يغلب عليها طابع المقارنة وخاصة مع الديانتين: اليهودية، والمسيحية، منها :

- موقف القرآن الكريم بين الكتب السماوية والفلسفة من عقيدة البعث . للدكتور/ ع. عبد الشافي عبد الباقي . رسالة دكتوراه بجامعة الأزهر - مخطوط لم أتمكن من الحصول عليه - .

- عقيدة المعاد بين الدين والفلسفة د/ الفاوي، طبعة نفدت ، لم أجدها أيضا.

6. **أسباب اختيار الموضوع :**

يمكن حصر الأسباب التي دفعتني إلى طرق هذا الموضوع في النواحي التالية :

1 ـ معرفة موقع الآخرة من الغيب :

إن دراستي الدينية منذ دخولي في مرحلة التمييز والإدراك جعلتني أتساءل، وخاصة عند تلاوتي لآية قرآنية تذكر الغيب، أو الآخرة بالذات، ما موقع هذا العالم ؟ وأين ؟ هذه الأسئلة وغيرها دفعتني إلى خوض هذا المعترك الصعب، رغم قلة الزاد المعرفي المتمثل على الخصوص في الفلسفة .

2 ـ الإعتبار بالزوجية القرآنية :

ومن الدوافع الأساسية التي شجعتني على البحث ملاحظة الزوجية القرآنية التي تعني إطرادها في الكون، والإنسان، والحياة، ومن ثمة أقبلت غير مبال بمتاعب البحث، ومشكلة قلة المصادر في العقيدة التي تفتقر إليها المكتبات الجزائرية : العامة، الخاصة.

3 ـ التأثر بالمحيط :

إن المحيط الذي يعيش فيه أي إنسان، له بالغ التأثير في هذا الإنسان أو ذاك، وخاصة إن كان المحيط مرتعا للنظريات الإلحادية التي تحملها الكتب الغربية باسم نشر العلم والثقافة، وهذا ما نلاحظه من مظاهر مختلفة من أشكال الإنحلال، والميوعة، فضلا عن التحدي الصارخ للأديان، والقيم والمثل، التي تتجلى في ملامح دعاة الفكر الإباحي، والتغريبي، من أبناء وطننا الذين راحوا ضحية التخدير من قبل أعوان التبشير، والتنصير، والماسونية، والتضليل الإعلامي الذي تمارسه مختلف الحركات الهدامة تحت رعاية متطرفي الصليبية وبني صهيون.

كانت هذه أبرز الأسباب التي دفعتني إلى الكتابة، وها أنذا قد فعلت، حسب، الطاقة، على الرغم من قلة الزاد، وندرة البضاعة .

7 ـ المصادر والمراجع :

إعتمدت في إعداد هذه الرسالة على مجموعة من المصادر والمراجع، يمكن تصنيفها كما يأتي :

أ ـ كتب العقيدة .

ب ـ كتب التفسير .

ج ـ كتب السنة .

د ـ كتب فكرية متنوعة، وقد ذُكِرت عموما في فهرستها .

8. مضامين خطة البحث :

قسمت الرسالة إلى مقدمة، وأربعة فصول، وخاتمة، وفهرسة عامة، وهاهي محتويات كل فصل باختصار :

الفصل الأول : تحت عنوان : **القيامة الصغرى - الموت -** تعرضت من خلال مباحثه الخمسة إلى النواحي التالية : **تمهيد** لتحديد المصطلحات

المبحث الأول : تحديد مصطلح الإنسان عند أهل اللغة، والتفسير، والكلام، والفلسفة .

المبحث الثاني : تناولت موضوع الروح بنفس الطريقة السابقة .

المبحث الثالث : حديث عن الموت في اللغة والاصطلاح، فضلا عن كونه أجلا مسطرا. وأثر اختفاء الأجل في إصلاح النفس .

المبحث الرابع : حديث عن البرزخ وأقوال العلماء فيه .

المبحث الخامس : عرض لدلالات البعث، وأسمائه، ومكانته في العقيدة، وحكمته .

الفصل الثاني : تحت عنوان : **البعث من منظور الفكر البشري**، وفيه :

المبحث الأول : البعث عند الفلاسفة الإلهيين - أفلاطون - .

المبحث الثاني : البعث عند فلاسفة الإسلام - دعاة البعث الروحي - .

المبحث الثالث : البعث عند دعاة البعث الجسدي والروحي .

المبحث الرابع : البعث عند المتكلمين.

المبحث الخامس : البعث عند التناسخية وغيرها .

أولا : شبه القائلين بالتناسخ ونقضها.

ثانيا : دعوى البعث في الدنيا والرد عليها .

ثالثا : دعوى تحديد زمن الساعة .

رابعا : البعث في الفكر المادي .

الفصل الثالث : تحت عنوان : **البعث في الرسالات السماوية**، وفيه:

تمهيد : في كون البعث محل اتفاق بين الأنبياء والمرسلين كافة.

المبحث الأول : البعث في الديانة اليهودية .

المبحث الثاني : البعث في الديانة المسيحية .

المبحث الثالث : البعث في الديانة الإسلامية، وعرضت فيه :

الأدلة العقلية ، والنقلية، والعلمية لموضوع البعث .

الفصل الرابع : تحت عنوان : **إرهاصات البعث**، وفيه :

تمهيد حول الاحتجاج بالأحاديث الصحيحة في العقيدة .

المبحث الأول : العلامات الصغرى التي وقعت وانتهت .

المبحث الثاني : العلامات الصغرى التي وقعت ويمكن أن تتكرر .

المبحث الثالث : العلامات الصغرى التي لم تقع بعد .

المبحث الرابع : العلامات الكبرى التي تسبق قيام الساعة .

المبحث الخامس : بداية الانقلاب الكوني، وتضمن الحديث عن :

أـ النفخة الأولى لقيام الساعة .

ب ـ النفخة الثانية للبعث .

ج ـ الحشر والقضاء .

دـ الحساب والميزان .

هـ ـ الصراط .

وـ الجنة ونعيمها .

زـ النار وشقاؤها .

الخاتمة : وفيها عرض لأهم محطات البحث .

الفهرسة العامة : للأعلام، البلدان، الآيات القرآنية، الأحاديث النبوية، الموضوعات.

9. كلمة اعتراف وتواضع :

وإن كان لي من كلمة في هذا السياق، فإنني أعترف في البداية بأنني عالة على من سبقني من الأئمة الأعلام الذين خلدوا أسماءهم بتلك الآثار العلمية التي سجلتها أقلامهم، وجسدتها سيرتهم وأعمالهم، فكانوا بحق حملة الرسالة، ودعاة مخلصون إليها، وإنصافا لهم أقول :

إنهم لوعاصروا هذه الحملات الالحادية التي يواجهها الإسلام في العصر الحديث، لجندوا كل غال، وأتوا بكل برهان، يخرس الألسنة، ويبكم الأفواه، كيف لا ؟ وهم للدعوة مراكب، وللجهاد فرسان، وللرعية مصابيح تضيء الدروب الوعرة المظلمة .

وإن كان لي من جهد في هذا النطاق، فإنه لا يعدو أن يكون مجرد محاولة متواضعة لكشف النقاب عن بعض الجوانب الاستدلالية لعقيدة البعث التي أعتبرها لبنة إضافية تُضم إلى الرصيد العلمي الذي خلده علماؤنا من السلف الصالح، ومن ثمة أعتبرها في اعتقادي الخاص من الأدلة العلمية البارزة لإثبات صحة وجود الآخرة كعالم مستقل، ولعله من هذا المنطلق يقتنع أولئك الحيارى من دعاة المذهب المادي، ويصبحون في المستقبل إن شاء الله سبحانه، مسلمين، مناصرين للاسلام، مدافعين عن العقيدة، وما ذلك على الله بعزيز .

وأتوجه بالشكر الجزيل في هذه العجالة إلى أستاذي المفضال، المشرف على الرسالة، الدكتور عمار جيدل الذي ما فتئ يحرص على إمدادي بالتوجيهات والملاحظات، حتى تكون هذه الرسالة في المستوى المطلوب، كما لا أنس بالشكر كل الأصدقاء، والأقارب، الذين قدموا لي المساعدة لإثراء هذه الرسالة، وأسأل المولى تبارك اسمه أن يتقبل مني هذا الجهد المتواضع، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد رسول الله، وعلى آله، وصحبه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

أبو أسامة : محمد الشريف اقروفة

الجزائر في :11 رمضان 1422هـ

الموافق لـ : 26 نوفمبر 2001م.

الفصل الأول

القيامة الصغرى - الموت -

تمهيد : لتحديد المصطلحات .

المبحث الأول : تحديد مصطلح الإنسان عند أهل اللغة والتفسير، والكلام، والفلسفة.

المبحث الثاني : تحديد مصطلح الروح في اللغة، والقرآن الكريم، وعند أئمة التفسير، وأهل الكلام، والفلاسفة .

المبحث الثالث : تحديد مصطلح الموت لغة واصطلاحا، الموت بين القضاء والأجل، حكمة اختفاء الأجل، أثر تذكر الموت في إصلاح النفوس .

المبحث الرابع : البرزخ وأقوال العلماء فيه .

المبحث الخامس : تحديد مصطلح البعث لغة واصطلاحا، أسماؤه في القرآن الكريم، مدلوله في السنة النبوية، مكانته في العقيدة، حكمته .

تمهيد لتحديد المصطلحات :

بما أن عقيدة البعث في الإسلام تنشد في مجملها هذا الإنسان الذي خلقه الله سبحانه في أحسن تكريم، وسخر له ما في السماوات والأرض، وأرسل إليه الرسل مبشرين ومنذرين، كان لزاما علينا أن نحدد بالتسلسل بداية بذاته ككائن عضوي يحمل الصفة الإنسانية، ثم بالوقوف على حقيقة تلك الروح التي تسكن جنباته، وبواسطتها يصبح كائنا حيا يقوم برسالته في الحياة الدنيا، ثم التعرف على حقيقة الموت الذي يعني انفصال الروح عن الجسد، وانتقاله إلى دار البرزخ، ثم إلى الآخرة عندما يأذن الله سبحانه بقيام الساعة، وخروج الناس من القبور واستعدادهم للحساب والجزاء، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر .

وعلى هذا، ارتأيت في بداية الحديث، أن أحدد تلك المصطلحات التي تخص الإنسان عبر تلك المراحل، وسوف أبدؤها بالوقوف على حقيقة الإنسان من الناحية اللغوية، والاصطلاحية، وعند أئمة التفسير، وأهل الكلام، والفلاسفة ، وقد تناولتها بالدراسة من خلال المباحث التالية :

المبحث الأول

*****

تحديد مصطلح الإنسان

ويشتمل على المطالب التالية :

المطلب الأول : تعريف الإنسان في اللغة .

المطلب الثاني : تعريف الإنسان في الاصطلاح .

المطلب الثالث : تعريف الإنسان عند المفسرين وأهل الكلام .

المطلب الرابع : تعريف الإنسان في الفلسفة .

المطلب الأول

تعريف الإنسان في اللغة

تعريف الإنسان لغة :

" الإنسان معروف، وأصله إنسيان، وهو فعليان، من الأنس والألف، والإنس : البشر، الواحد إنسي . اهـ "[1] .

" ومن اللغويين من يرى أن أصل الإنسان من الأنس، نقيض الوحشة، لأن الناس يأنس بعضهم إلى بعض، واستشهد بقول الشاعر :

وما سمي الإنسان إلا لأنسه * ولا القلب إلا أنه يتقلب

ويرى آخرون أنه سمي الإنسان لكونه ينسى، مصداقا لقول الشاعر :

لا تنسين تلك العهود فإنما * سميت إنسانا لأنك ناسي "[2]

" وقد عبر بالإنسان بشرا إعتبارا بظهور جلده من الشعر، خلافا للحيوانات التي يكسوها شعرها، ... وخص في القرآن الكريم كل موضع اعتبر فيه الإنسان بالجثة بلفظ البشر، قال تعالى : ﴿إني خالق بشرا من طين﴾[3] [4] .

هذا عن الإنسان في اللغة، أما عن الاصطلاح فهو كمايلي :

---

[1] لسان العرب لابن منظور، مادة أنس، ج 1، ص : 112-113 .

[2] تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، وانظر : معجم مقاييس لابن فارس، ج 1، ص145.

[3] سورة ص، آية : 71 .

[4] مفردات الراغب، ص : 47 .

المطلب الثاني

تعريف الانسان إصطلاحا

تعريف الانسان في الإصطلاح :

لعل أجمع تعريف لمعنى الإنسان إصطلاحا، هو ما جاء في المعجم الوسيط،[1] بأن الإنسان هو :

" الكائن الحي المفكر "

حيث راعى مقومات التكوين الإنساني التي أشارت إليها الآية القرآنية على سبيل المثال :

﴿ إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾[2]

فهذه الآية(تشير إلى أن خلق الإنسان فيه :

أولا : الطين الذي يمثل مادة الأرض .

ثانيا : عملية التسوية التكوينية .

ثالثا : نفخة من روح الله)[3] .

إضافة إلى عنصر الفكر الذي يعني الوعي والإدراك، قال تعالى :

﴿ إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب ﴾[4] .

وعبر عن العقل بالقلب لأنه موضعه،[5] مصداقا لقوله تعالى :

﴿ فإنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾[6] .

كما جاء في الآية الأخرى أن القلب خلق للمعرفة،[7] والتفكر والتدبر :

﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾[8] .

---

(1) المعجم الوسيط لجماعة من الأساتذة، ج 1، ص29 .

(2) سورة ص آيتا : 71 - 72 .

(3) لمحات نفسية في القرآن الكريم، د/ عبد الحميد محمد الهاشمي، ص : 42 .

(4) سورة ق، آية : 37.

(5) صفوة التفاسير للصابوني ج247/3 .

(6) سورة الحج آية : 46 .

(7) نسب إلى المفسر الفخر الرازي؛ عن المرجع السابق 212/3 .

(8) سورة محمد صلى الله عليه وسلم، آية : 24 .

وثمة تعاريف إصطلاحية[1] أخرى أحجمت عن تسجليها نظرا لطولها إلى حد ما، ومع ذلك فهي تعكس التعريف الذي يتماشى مع الرؤية الإسلامية للإنسان .

[1] تعريف العقاد بأن الانسان " إذن هو عبارة عن مجموع الروح والجسد تتم بهما الحياة الانسانية، ولا تنكر أحدهما في سبيل الأخرى، ..." اهـ عن الإنسان في القرآن، ص : 30 .

ـ تعريف الدكتور المهدي بن عبود :

" الإنسان وحدة متماسكة منسجمة متناسقة مركبة من عناصر الجسم والروح والعقل والنفس، ويحتاج بها إلى علم الأبدان كما يحتاج إلى علم الأديان " .

اهـ عن : الإنسان وطاقته الروحية ص : 37 نقلا عن :

التأصيل الاسلامي للدراسات النفسية. محمد عز الدين توفيق ص : 119.

المطلب الثالث :

تعريف الإنسان عند المفسرين وأهل الكلام

أولا : عند علماء التفسير :

من أبرز المفسرين للقرآن الكريم الإمام الفخر الرازي[1] الذي أولى لتعريف الإنسان أهمية قصوى، وذلك حينما حاول ضبط كلمة " الإنسان " وحصرها في مدلول عبارة " أنا " وها هو يقول : " اعلم أن العلم الضروري حاصل بأن هاهنا شيئا يشير الإنسان بقوله : " أنا "، وإذا قال الإنسان : علمت، فهمت، أبصرت، سمعت، ذقت، شممت، لمست، ... فالمشار إليه لكل واحد بقوله " أنا ": إما أن يكون جسما أوعرضا، أو مجموع الجسم والعرض، أو شيئا مغايرا للجسم والعرض، أو من ذلك الشيء الثالث، فهذا ضبط معقول)[2] .

ففي هذا التعريف لم يوضح الرازي اختياره لمصطلح الإنسان باعتبار أن دلالة لفظة " أنا " تتأرجح بين احتمالات : إما، و أو ، اللهم إلا عبارة : فهذا ضبط معقول التي يفهم منها أقصى حدود التعريف .

ولكن عند متابعة ردود الرازي على مخالفيه يتبين أنه يميل إلى اعتبار إصطلاح الانسان يطلق على الجانب الروحي بدلا من المادي، وهو ما يصرح به في الردود الآتية على مخالفيه : (والذي يدل على أنه لا يمكن أن يكون الانسان عبارة عن هذا الجسم وجوه :

1- إن العلم البديهي حاصل بأن أجزاء هذه الجثة متبدلة بالزيادة والنقصان.

2- إن الانسان في حالة توجه فكره إلى أمر مخصوص، فإنه في تلك الحالة يكون غافلا عن جميع أجزاء بدنه وأعضائه .

3- إن قوله تعالى : ﴿ النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ﴾[3] يدل على أن الانسان يحي بعد الموت ... وهذا يعني أن الانسان ليس هذا الجسد .

---

[1] الفخر الرازي هو محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي البكري (544 - 606) هـ، الإمام المفسر، لقب بشيخ الاسلام. واشتهر بتفسيره القيم : (مفاتيح الغيب) جمع فيه المباحث الفلسفية والكلامية، والدينية، كما دافع عن عقيدة أهل السنة، أنظر ترجمته في : طبقات الشافعية 81/8، الوافي بالوفيات 284/4.

[2] انظر : التفسير الكبير للرازي ج / 21 ص : 33 .

[3] سورة غافر آية : 46 .

4- إن الانسان إذا فقد بعضا من أعضائه ... فإن ذلك الانسان يجد من قلبه وعقله أنه هو عين ذلك الانسان.

5- إن الانسان يجب أن يكون عالما، والعلم محله القلب، فيلزم أن يكون الانسان عبارة عن الشيء الموجود في القلب . اهـ)[1] .

الترجيح :

والذي أختاره وأرجحه، هو أن الانسان إسم لمجموع الجسم والروح إنطلاقا من الحقائق الآتية :

1- إن القرآن الكريم أورد المعنيين المادي والروحي، فوجب الجمع بينهما، لأن القرآن يفسر بعضه بعضا .

قال تعالى عن الانسان المادي :

﴿ خلق الانسان من صلصال كالفخار ﴾[2]

﴿ إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج ﴾[3]

وهذا الخلق خاص بالجسد والبدن[4] .

وقال سبحانه عن الانسان الروحي :

﴿ إن الانسان خلق هلوعا ﴾[5]

وهذه صفة للنفس بلا خلاف[6] .

ونحو هذه الآيات :

﴿ يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم ﴾[7]

﴿ يا أيها الانسان إنك كادح إلى ربك كدحا ﴾[8]

فهي تخاطب الانسان العاقل الواعي، والعقل والوعي محلهما القلب .

---

(1) المصدر نفسه، ص : 36 .

(2) سورة الرحمن آية : 14 .

(3) سورة الانسان آية : 2 .

(4) انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، ج 5، ص 192/191.

(5) سورة المعارج آية :19 .

(6) المصدر السابق .

(7) سورة الانفطار، آية : 6 .

(8) سورة الانشقاق، آية : 6 .

2 ـ إنه ينبغي اعتبار هذا الهيكل البدني المحسوس في التكليف بالعبادات على وجه الخصوص . فعبادات مثل الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج، الجهاد، كلها من نصيب البدن، فكيف نغفل هذا الجانب من الانسان ونركن إلى الجانب الروحي منه ؟

3 ـ إن بعض العقوبات الشرعية مثل القصاص، أو الجلد، من نصيب الجسد، ومن ثمة لا بد من اعتبار هذا البدن في الانسان .

4 ـ إن بعض الأعضاء من الجسم الانساني مدعوة للشهادة يوم القيامة، وهذا ما يعني اعتبارها في المادة الانسانية.

قال تعالى :

﴿ حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون، وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا، قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء ﴾[1] .

ومن هنا يتبين أن الإنسان في الاصطلاح الشرعي هو إسم لمجموع من البدن والروح، حتى يتميز عن المخلوقات الأخرى مثل الملائكة، والجن .

[1] سورة فصلت، آيتا : 20 ـ 21 .

ثانيا : عند أهل الكلام : *

وأما عند علماء الكلام، فنجدهم يختلفون في مدلول كلمة الإنسان هل مقتصرة على الجانب البدني، أم على الجانب الروحي، أم عليهما معا ؟

قال العلامة ابن حزم[1] :

" إختلف الناس في هذا الاسم على ما يقع، فذهبت طائفة إلى أنه يقع على الجسد دون النفس[2] .

- وذهبت طائفة أخرى إلى أنه يقع على النفس[3] .
- وذهبت طائفة أخرى إلى أنه يقع عليهما معا[4] .

واحتجت الطائفة الأولى بأدلة منها :

- قوله تعالى :

﴿ خلق الإنسان من صلصال كالفخار ﴾[5]

فهذه صفة الجسد .

- واحتجت الطائفة الثانية بقوله سبحانه :

﴿ إن الانسان خلق هلوعا ﴾[6]

فهذه صفة النفس لا صفة الجسد .

أما الطائفة الثالثة التي يميل إليها ويرجحها، فيرى أنه لا مفر من الجمع بين الرأيين باعتبار ورود القرآن بهما، ومن هنا وجب المصير إلى اعتبار الانسان مجموع الروح والجسد[7] .

---

* نقصد بعلماء الكلام هنا المهتمين بدراسة العقيدة سواء من أهل السنة أو المعتزلة .

(1) ابن حزم هو : علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري (384 - 456 هـ)، عالم الأندلس في عصره، مؤرخ، فقيه، محدث، أصولي، متكلم، ولد بقرطبة، كان شافعيا، ثم أصبح ظاهريا. من آثاره في الفقه المحلى، وفي الأديان : الفصل في الملل والنحل، وغيرها انظر ترجمته في : بغية الملتمس:403، جذوة المقتبس: 290، نفح الطيب 77/2، وغيرها .

(2) نسب ابن حزم هذا القول إلى ابن الهذيل العلاف، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج5، ص :192/191 .

(3) نسب هذا القول أيضا، إلى ابراهيم النظام، نفس المصدر.

(4) هذا القول رأيه حسب ترجيحه، فضلا عن آراء شاركته في هذه الرؤية لم يفصح عن أسماء أصحابها. نفس المصدر.

(5) سورة الرحمن آية : 14 .

(6) سورة المعارج آية : 19 .

(7) المصدر السابق، ص : 192/5 .

المطلب الرابع :

تعريف الإنسان في الفلسفة :

اختلفت آراء الفلاسفة في تعريفهم للإنسان، ومن هنا اقتصرنا على نموذجين هما،كما يأتي:

التعريف الأول لابن سينا[1]:

عمد إلى تحديد ماهية الانسان ... هذا الكائن الذي يتحرك بين الأحياء، معروفا بينهم على أنه فلان، وأنه كذا وكذا ... ما هذا الإنسان ؟ وماهي القوة التي تحكمه ؟

يجيب ابن سينا على ذلك بقوله :

" الإنسان إذا بدا له أن يتأمل في الشيء الذي لأجله يقال له : "هو"، ويقول بنفسه : " أنا " يخيل له أن ذلك بدنه وجسده، وإذا فكر علم أن يده، ورجله، وأضلاعه، وسائر أجزائه الظاهرة لو لم تكن له من بدنه ـ لم يبطل ذلك المعنى الذي يشير إليه، ومنه عرف أن هذه الأجزاء من بدنه غير داخلة في هذا المعنى منه، حتى يبلغ إلى الأعضاء الرئيسية كالدماغ، والقلب، والكبد، وماجرى مجراها، فكثير منها عند مفارقته لا يبطل هذه الحقيقة منه دفعة، بل عسى بعد مدة قليلة أوكثيرة ... ويبقى القلب والدماغ .

أما الدماغ فقد يحتمل أن يفارقه جزء منه ـ ويكون ذلك المعنى ـ أي إحساس الفرد بذاتيته ـ ثابتا منه .... فقد تبين من هذا وصح أن البدن بالكلية غير داخل في المعنى المعتبر من الانسان بل عسى أن يكون محلا له، أو مقوما، أو مسكنا ... على أنه غيره، وخارج الذات عنه

إلا أن الانسان ألفه ـ أي ألف الجسد ـ .... وحتى ظن أنه هو ـ أي الانسان هو البدن ـ فشق عليه مفارقته ... أما في التحقيق فإن الانسان، أو الشيء المعتبر من الانسان، الذي هو الواقع عليه معنى " أنا" فهو ذاته الحقيقية، وهو الشيء الذي يعلم منه أنه هو ـ هو النفس ضرورة ـ ... ا هـ)[2] .

---

[1] ابن سينا هو : الحسين بن عبد الله بن الحسين بن علي (370 ـ 428) هـ الملقب بالشيخ الرئيس من كبار الفلاسفة والأطباء، ولد في أفشنة قرب بخارى وتوفي في همذان، أنظر ترجمته في : وفيات الأعيان 157/2، لسان الميزان : 291/2، النجوم الزاهرة 25/5 .

[2] رسالة أضحوية في أمر المعاد، ص : 95 .

التعليق والرد :

يمكن نقض دعوى ابن سينا في تحديد ماهية الانسان بنفس الردود المتقدمة في دعوى الامـام الفخر الرازي، كما أن ابن سينا يكاد ينفرد بمذهبه في البعث الروحي انطلاقا من موقفه في تعريـف الانسان، مما جعله يتصادم مع النصوص التي تدور حول شأن البعث الجسدي والروحي معـا، وهـو ما نتناوله في حينه .

التعريف الثاني : إخوان الصفا[1]

وعند جماعة " إخوان الصفا " أن الانسان : (هو جملـة مجموعـة مـن جوهريـن مقرونـين : أحدهما هذا الجسد الجسماني، والآخر هذه النفس الروحانية المدركة بطريق العقل)[2] .

فهذا التعريف يتفق مع رأي ابن حزم الذي سبق عرضه، كمـا أنـه يتماشـى مـع النصـوص القرآنية التي تشير في مجموعها بأن الانسان هو هذا الكيان الذي يجمع بين الجسد والروح .

---

[1] إخوان الصفا : جمعية ذات طابع سياسي ديني ظهرت نحو : 983 إسماعيلية النزعة، اتخذ أعضاؤها البصرة مقرا لهم، جمعوا بين الفكر الاسلامي واليوناني، قالوا بنظرية الفيض بمعنى أن العالم صادر عن الله بالفيض، ثم فاض عنه بالتسلسل : العقل. النفس ... وهكذا. اهـ أنظر ترجمتهم في :
ـ أعلام الفلسفة للأستاذ روني إيلي ألفا : 59/1 .

[2] رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، ج : 1 ـ 3، رسائل : 3 -4 - 17

المبحث الثاني

*****

تحديد مصطلح الروح

ويشتمل على المطالب التالية :

المطلب الأول : الروح في اللغة والقرآن الكريم

المطلب الثاني : الروح عند المفسرين والمتكلمين

المطلب الثالث : الروح عند فلاسفة الإسلام

المطلب الأول

الروح في اللغة والقرآن الكريم

أولا : الروح في اللغة :

وردت كلمة الروح في المعاجم اللغوية على الأوجه التالية :

" ـ الرُّوح : بالضم، يذكر ويؤنث، ما به حياة النفس .

ـ الرَّوْح : بالفتح، الراحة والرحمة ونسيم الريح .

ـ الرَّوَح : بفتح الرّاء والواو، السعة .

ـ الرُّوح : النفس، خرجت روحه، أي نفسه .

ـ الروحية في الفلسفة، تقابل المادية .

ـ الأشربة الروحية : الخمور .

ـ الروحاني : ما فيه روح، ونسبة إلى الرّوح .

ـ الآباء الروحانيون : علماء النصرانية .

الطب الرّوحاني : ما يتعلق بعلاج النفس "[1].

هذا عن بعض دلالات الروح في اللغة، والذي يهمنا في هذا السياق هو المعنى الأول الـذي يعني حياة النفس وسريان الحركة في البدن .

---

[1] أنظر :

ـ لسان العرب لابن منظور، 1247/2، مادة : روح.

ـ القاموس المحيط للفيروزبادي، ص : 221، مادة : روح .

ـ المعجم الوسيط 381/1 ـ 382، مادة : روح .

ـ المنجد في اللغة والأعلام ص : 286 ، مادة : روح .

ثانيا : الروح في القرآن الكريم

ورد لفظ [الروح] في القرآن الكريم على عدة أوجه، منها :

ا- بمعنى إسم الملك جبريل عليه السلام، كما في قوله تعالى:

﴿ تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر ﴾[1] .

وقوله تعالى أيضا، لكنه بصيغة روح القدس :

﴿ قل نزّله روح القدس من ربك بالحق ﴾[2] .

وفي آية أخرى بصيغة : الروح الأمين :

﴿ نزل به الروح الأمين على قلبك ﴾[3] .

وفي آية أخرى بإضافته إلى ا لله عزوجل :

﴿ فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ﴾[4] .

والإضافة هنا للتشريف، أي أرسلنا الملك جبريل إلى مريم البتول ليطمئن فؤادها، ويعلمها بما اختصها ا لله تعالى من كرامة بولادة عيسى عليه السلام من غير أب، فتمثل لها الملك جبريل عليه السلام بشرا لتأنس بحديثه، إذ لو رأته على صورته الحقيقية لنالها الفزع والخوف[5] .

---

(1) سورة القدر، آية : 4 .

(2) سورة النحل، آية : 102 .

(3) سورة الشعراء، آية : 193 .

(4) سورة مريم، آية : 17 .

(5) أنظر في هذا المعنى :

تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي : 170/6

وكذا : صفوة التفاسير: 213/2.

2 ـ بمعنى القرآن الكريم، وقد جاء في ذلك قوله عزوجل :

﴿ وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ﴾[1] .

وقوله تبارك اسمه :

﴿ يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده ﴾[2] .

وقد لاحظ بعض الباحثين المعاصرين،[3] إنطلاقا من هاتين الآيتين أن الروح عندما يأتي بمعنى الوحي أو القرآن يتبع بلفظ (من أمره)، أو : (من أمرنا)، ومن ثمة لابد من حمل لفظ : الروح في سورة الاسراء، وهو قوله تبارك وتعالى :

﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ﴾[4]

على أنه القرآن الكريم .

ويظهر لي أن الأستاذ المفضال تعسف في ربط لفظ (الروح) الوارد في سورة الاسراء على أنه المراد به (القرآن الكريم) قياسا على الآيتين السابقتين التي ورد فيهما (الروح) بمعنى القرآن الكريم انطلاقا من التعبير بـ : (من أمرنا) في الأولى، و (من أمره) في الثانية . وإذا كان الروح الوارد في الآيتين رقم 1، 2 على أنه القرآن الكريم عند أغلبية المفسرين .

---

[1] سورة الشورى، آية : 52 .

[2] سورة غافر، آية : 15 .

[3] هو الدكتور محمد سيد أحمد المسيّر في كتابه : الروح في دراسات المتكلمين والفلاسفة ص : 28 .

[4] سورة الاسراء، آية : 85 .

فإن (الروح) في آية سورة الإسراء هي التي بها حياة البدن كما ذهب إلى ذلك الجمهور[1]، ويمكن ترجيح هذا بما يأتي :

أ ـ إن لفظ (الروح) في سورة الإسراء نص على ما به حياة البدن .

والنص في علم الأصول :

(ما دل بصيغته نفسها على ما يقصد أصلا من سياقه)[2] .

ب ـ إن لفظ (الروح) في الآية معرف بـ (ال)، مما يدل على الروح المعروف عند العام والخاص، ومن ثمة لا معنى لصرفه عن معناه الأصلي إلا بقرينة .

ج ـ إن الذين سألوا الرسول صلى ا لله عليه وسلم هم من اليهود الذين عرفوا بالحرص الشديد على العناد والتعجيز. ولقد سألوا الرسول عليه السلام ليتعرفوا على مدى قدرته في تشخيص حقيقة الروح التي غابت عن عالم الحس . ومن هنا جاءت الإجابة القرآنية بأن ذلك من اختصاص علم ا لله تعالى وحده.

د ـ إن استصحاب سبب نزول الآية أمر يساعد على فهمها، مما يجعل رأي الأستاذ المحترم مرجوحا. ذلك أن معرفة سبب النزول أصبح عاملا ضروريا لمن أراد تفسير القرآن، مما حدا بالعلامة الواحدي [3]

أن يقول :

[لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها، وبيان سبب نزولها][4]

---

[1] أنظر في ذلك : فتح القدير للشوكاني 254/3 .

[2] أنظر : أصول الفقه لـ : خلاف، ص : 189 ـ 190.

[3] الواحدي هو : علي بن أحمد، ويكنى أبا الحسين، نحوي، مفسر، توفي سنة 427 هـ. أنظر : أنباء الرواة : 19/1.

[4] أنظر أسباب النزول للواحدي، ص : 3. وقال ابن تيمية :

(معرفة سبب النزول تعين على فهم مراد الآية، لأن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب) انظر في ذلك : الاتقان للسيوطي : 48/1.

هـ - إن سبب نزول الآية ﴿ ويسألونك عن الروح ﴾ يفيد أن الروح المسؤول عنه هو الروح الذي به حياة البدن، وهو ما نلمسه في الحديث الذي أخرجه الشيخان عن عبد الله بن مسعود[1] رضي الله عنه قال :

(بينما أنا مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو يتوكأ على عسيب[2] مرّ بنفر من اليهود، فقال بعضهم : سلوه عن الروح ؟ .... فقاموا إليه فقالوا : يا أبا القاسم، حدثنا عن الروح، فقام ساعة ينظر، فعرفت أنه يوحي إليه، فتأخرت حتى صعد الوحي، ثم قال : ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي،[3] وما أوتيتم من العلم إلا قليلا - الاسراء 85)،[4] ويستفاد من سبب النزول المشار إليه أعلاه ما يأتي :

- أن الروح المسؤول عنها هي روح بني آدم على أساس وروده معرفا بـ (ال) .

- كون اليهود يحرصون في أسئلتهم على إيرادها معقدة وصعبة حتى يختبروا نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن هنا جاء الجواب من قبل المولى تبارك اسمه أن حقيقة أمر الروح من اختصاص علم الله وحده .

- إننا لا ننكر على الباحث المفضال جواز إطلاق الروح على القرآن في آيات أخرى ولكن ننكر عليه تفسير هذه الآية التي معنا بكون الروح الوارد فيها هو القرآن بدلا من الروح البدنية .

---

[1] هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي أحد السابقين الأولين، أسلم قديما، وصحب النبي عليه الصلاة والسلام، وهو أول من جهر بالقرآن في مكة، مات في المدينة المنورة سنة : 32 هـ، وقيل غير ذلك . أنظر ترجمته في الإستيعاب لابن عبد البر 110/3 .

[2] العسيب : سعف النخل، وأهل العراق يسمونه : الجريد.

أنظر في ذلك : جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير :218/2 .

[3] قوله تعالى : [من أمر ربي] قال ابن القيم :

ليس المراد هنا [بالأمر] الطلب اتفاقا، وإنما المراد به : المأمور، والأمر يطلق على المأمور كالخلق على المخلوق،

ومنه قوله تعالى : (لما جاء أمر ربك) سورة هود آية : 101 .

وقال ابن بطال :

[معرفة حقيقة الروح مما استأثر الله بعلمه، بدليل هذا الخبر، والحكمة في إبهامه اختبار الخلق ليعرفهم عجزهم عن علم ما لا يدركونه حتى يضطرهم إلى رد العلم إليه. اهـ]

أنظر في ذلك : هامش جامع الأصول : 217/2 .

[4] صحيح البخاري - باب قول الله تعالى : (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) وفي تفسير سورة الاسراء، باب [ويسألونك عن الروح].

وفي الاعتصام، باب ما يكره من كثر السؤال. وغيرها من المواضيع .

وكذلك :

- صحيح الامام مسلم، في صفات المنافقين، باب سؤال اليهود الرسول صلى الله عليه وسلم عن الروح .

- الترمذي في التفسير، باب : ومن سورة بني اسرائيل - الاسراء - .

3 ـ بمعنى الرحمة والعناية، كقوله سبحانه :

﴿ وأيدهم بروح منه ﴾[1] .

4 ـ بمعنى عيسى عليه السلام، كقوله سبحانه :

﴿ إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ﴾[2] .

5 ـ بمعنى الحياة التي تدب في جسم الانسان، وهي آخر حلقة من حلقات الخلق، قال عز من قائل :

﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾[3]

وكقوله أيضا في سورة الاسراء عند أغلب المفسرين :

﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ﴾[4]

---

[1] سورة المجادلة، آية : 22.

[2] سورة النساء، آية : 171 .

[3] سورة الحجر، آية : 29 .

[4] سورة الاسراء، آية : 85 .

أنظر اصطلاحات الروح في القرآن الكريم : قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم للدامغاني، ص: 212، وما بعدها.

المطلب الثاني

الروح عند المفسرين والمتكلمين

أولا : عند المفسرين

لئن اضطربت آراء المفسرين وتعددت في حقيقة الروح[1] إلا أن الأكثرية الساحقة منهم تميل إلى أن الروح هو :

- (الذي به حياة البدن)[2]
- أو أنه :(شيء بمفارقته للبدن يموت الانسان)[3]
- أو أنه : (الروح الذي في الحيوان)[4] .
- أو أنه : (ذات لطيفة كالهواء، سارية في الجسد كسريان الماء في عروق الشجر)[5] .

التعليق :

على الرغم من تباين التعريفات في العبارة، إلا أن المفسرين متفقون على الحد الأدنى من تعريف الروح، وهو الشيء الذي يعتبر به البدن حيا . في حين يبقى أمر تشخيص الروح، أو تحديد ملامحه، من الأمور الغيبية التي تستعصي عن الحواس إدراكها. و لله در من أدرك ذلك، فقال :

(والحكمة في ذلك تعجيز العقل عن إدراك مخلوق مجاور له، ليدل على أنه عن إدراك خالقه أعجز)[6] .

---

(1) أورد المفسر الامام الشوكاني أن أقوال العلماء في حقيقة الروح بلغت إلى ثمانية عشر ومائة قول. أنظر فتح القدير للشوكاني: 254/3

(2) أنظر زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : 60/5

وكذا: الصاوي على الجلالين : 306/2 .

(3) أنظر تفسير روح البيان للبرسوى : 197/5 .

(4) الكشاف للزمخشري 263/2، وكذا تفسير ابن عطية : 180/9 .

(5) تفسير ابن كثير : 61/3 .

(6) تفسير النسفي : 325/2 - 326 .

علاقة الروح بالنفس :

وإذا كان الجمهور يرى أن الروح هو ما به حياة البدن، فإنه لم يفرق بين الروح والنفس، بل جعلهما أمرا واحدا[1] .

(غير أن النفس تنفرد أحيانا عن الروح، فتأخذ معنى الذات بجملتها، كقوله تعالى :

﴿ فسلموا على أنفسكم ﴾[2] ،

﴿ يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها ﴾[3]

وتطلق النفس على الروح وحدها، كما في قوله سبحانه :

﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ﴾[4] .

وقوله تعالى :

﴿ أخرجوا أنفسكم ﴾[5] .

أما الروح فلا تطلق على البدن، لا بإنفراده ولا مع النفس) ا هـ[6]

---

(1) أنظر الروح للعلامة ابن القيم، ص : 217 .

(2) سورة النور، آية : 65 .

(3) سورة النحل، آية : 111 .

(4) سورة الفجر ، آية : 27 .

(5) سورة الأنعام، آية : 93 .

(6) أنظر الروح لابن القيم نفس الصفحة .

ثانيا : الروح عند المتكلمين

للوقوف على حقيقة الروح عند المتكلمين، لابد من الإشارة إلى أنهم افترقوا في شأنها ما بين ناف، ومثبت. وتبعا لذلك، ارتأينا تصنيفهم إلى فرقتين، و هما على التوالي :

1 ـ دعاة الاتصال :

أنكر بعض أئمة المعتزلة وجود الروح ككيان مستقل عن الجسد.

ـ فذهب بعضهم إلى إنكاره بناء على عدم خضوعه للحواس[1] .

ـ وذهبت فرقة إلى أن الروح عبارة عن النسيم الداخل والخارج بالتنفس[2] .

ـ وذهبت أخرى إلى أن الروح لا يعدو أن يكون مجرد مجرى الدم الصافي، تقوى الحياة باعتداله، وتفنى بفنائه[3] .

ـ وذهبت أخرى إلى أن الروح عبارة عن (الحياة أو المزاج أو نفس البدن)[4] .

التعليق :

يلاحظ أن هذه الفرق مجتمعة، أو متفرقة، لم تدعم رأيها بدليل معتبر، ومن هنا، فإن آراءها مرجوحة بما يأتي :

أولا : من القرآن الكريم

قال سبحانه :

﴿ ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا

---

(1) انظر مقالات الاسلاميين للأشعري : 27/2 .

(2) انظر شرح المواقف للجرجاني : 250/7 .

(3) المصدر نفسه .

(4) مجموع الفتاوى لابن تيمية 31/3، وكذا : رسالة العقل والروح، له أيضا : 21/2 .

أنفسكم ... الآية ﴾[1] .

فالشاهد من الآية :

﴿ أخرجوا أنفسكم ﴾ دليل واضح على استقلال الروح عن الجسد[2] .

ـ وقول ا لله تعالى أيضا :

﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين اثنين لعلكم تذكرون ﴾[3] .

دليل ساطع على إطراد الزوجية في كل شيء، بما فيه الانسان الذي يشتمل على الروح والجسد، فضلا أنه لا يحمل إسم الانسان إلا بمجموع الروح والجسد كما مر في مبحث الانسان .

ثانيا : كون النفس ـ الروح ـ هي النسيم الداخل والخارج من فم الجسد أمر ترفضه التجربة، بمعنى ان الانسان في مقدوره أن يتوقف إراديا عن التنفس ولو لمدة قصيرة، في حين يبقى عاجزا كل العجز عن التصرف في روحه .

ثالثا : وبالدليل العقلي أيضا نلاحظ أن الانسان قد يكون في انشغال فكري عميق إزاء البحث في مسألة معينة، يشعر أثناء عملية التفكير كأنه خارج عن ذاته، وهذا ما يدل على استقلال الروح عن البدن[4] .

رابعا : دعوى أن النفس هي الدم غير كافية، حيث أن الدم كائن محسوس، ملموس، والنفس ـ الروح ـ كائن غيبي، وشتان ما بين الاثنين من فرق .

---

(1) سورة الأنعام، آية : 93 .

(2) أنظر : الفصل في الملل والنحل لابن حزم : 202/5 بعض التصرف .

(3) سورة الذاريات، آية : 49.

(4) المصدر السابق، بتصرف .

2. دعاة الإنفصال :

والذين أثبتوا وجود الروح ككيان مستقل عن البدن هم جمهور علماء من ملة أهل الاسلام[1] .

ولكنهم اختلفوا في وصفها، وذلك تبعا لرؤية كل عالم، وفيما يأتي نماذج من تلك الآراء .

الرأي الأول :

يرى أن الروح هي[2] جسم، ذو صورة، كصورة الجسد في الشكل والهيئة[3] .

الرأي الثاني :

وهذا الرأي بالغ في تجسيد الروح، حتى اعتبرها ذات أعضاء مثل أعضاء الجسد، مع الفارق أن الروح تسللت في البدن[4] .

الرأي الثالث :

يرى أن الروح جسم لطيف، شفاف، مشتبك بالجسم، كاشتباك العود الأخضر بالماء، فتكون سارية في جميع البدن[5] .

---

(1) أنظر : الفصل في الملل والنحل لابن حزم : 202/5،

وكذا : شارح العقيدة الطحاوية، ص 444 .

(2) الروح تذكر وتؤنث، أنظر : المعجم الوسيط : 382/1.

(3) نسب هذا القول للامام مالك، من خلال بيت شعري :

لمالك هي صورة كالجسد فحسبك النص بهذا السند

أنظر : تحفة المريد على جوهرة التوحيد، للبيجوري، ص : 197.

(4) عزا هذا الرأي الامام اصبغ نقلا عن ابن القاسم إلى عبد الرحيم بن خالد عن تحفة المريد، نفس الصفحة .

-(5) نسب هذا القول إلى الإمام الجويني ـ إمام الحرمين ـ وهو ما رجحه الإمام النووي واختاره . عن تحفة المريد، نفس الصفحة .

الرأي الرابع :

وهو للإمام الفخر الرازي،[1] حيث يرى أن الروح :

(جوهر جسماني، نوراني، شريف، حاصل في داخل هذا البدن).[2]

الرأي الخامس :

وهو لأبي حامد الغزالي[3] ، حيث يقول بأن :

[ألفاظ : النفس، الروح، القلب، العقل، قد تطلق على معنى واحد هو : الجوهر القائم بالانسان، من حيث هو حقيقته، وبه يكون التكليف والخطاب من ا لله تعالى][4]

وفي موضع آخر، يقول :

هو الروح الانساني المتحمل لأمانة ا لله، المتحلي بالمعرفة، المركوز فيه العلم بالفطرة، الناطق بالتوحيد، بقوله : بلى.[5]-[6]

الرأي السادس :

وهو للإمام الطحاوي،[7] حيث يعرف الروح بأنه :

[إن النفس جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس، وهوجسم نوراني، علوي، خفيف، حي، متحرك، ينفذ في جوهر الأعضاء، ويسري فيها سريان الماء في الورد][8]

---

[1] تقدمت ترجمته .

[2] أصول الدين، للرازي، ص : 117.

[3] أنظر ترجمته في فصل : البعث عند الفلاسفة .

[4] أنظر : الاحياء للغزالي : 3/3 ـ 4.

[5] أنظر : معارج القدس في مدارج النفس، للغزالي، ص : 17.

[6] قوله : بلى، إشارة إلى آية الأعراف رقم : 172، [ألست بربكم قالوا بلى].

[7] الطحاوي هو أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك ... محدث، فقيه، كان شافعيا ثم تحول إلى الأحناف، توفي عام : 321هـ/933م، من آثاره: مشكل الآثار .... ترجمته في : ليسان الميزان : 274/1، تذكرة الحفاظ : 808، الفهرست : 260. مرآة الجنان : 281/2، البداية والنهاية : 174/11.

[8] شارح العقيدة الطحاوية، ص : 443.

الرأي السابع :

وهو للإمام ابن تيمية[1] ، الذي يعرف الروح قائلا :

[والروح المدبرة التي تفارقه بالموت، هي الروح المنفوخة فيه، وهي النفس التي تفارقه بالموت][2]

كما حاول في موضع آخر أن يربط رأيه برأي السلف، فيقول :

(.... يعرفون - أي السلف - وجود النفس التي هي روح الانسان التي تفارق بدنه حين الموت)[3]

ويلاحظ من تعريفي هذا العالم أنه لم يبذل قصارى جهده في تحديد معالم الروح، كما فعل أصحاب الآراء السابقة.

ومن ثمة، يرى على الإجمال، أن الروح الإنسانية هي التي يفتقد البدن الحركة والحياة بدونها.

[1] ابن تيمية : (621 - 728) هـ، هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم .... الحراني، الدمشقي، أبو العباس تقي الدين ابن تيمية، الإمام، العالم، المفسر، الفقيه، المجتهد، الحافظ، ألف في مختلف العلوم الاسلامية، من آثاره : مجموع الفتاوى في مجلدات، وهو بمثابة الموسوعة الدينية، أنظر ترجمته في :

الدرر الكامنة : 154/1، البدر الطالع : 63/1،

البداية والنهاية : 163/14، طبقات الحنابلة : 387/2، وغيرها .

[2] رسالة العقل والروح، لابن تيمية : 36/2 .

[3] أنظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، له أيضا : 211/3.

الرأي الثامن :

للإمام ابن القيم[1] الذي يرى أن الروح :

[جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس، وهو جسم نوراني، علوي، خفيف، حي، متحرك، ينفذ في جوهر الأعضاء، ويسري فيها سريان الماء في الورد][2]

فهذا التعريف لا يكاد يختلف حتى في العبارة مع تعريف أبي جعفر الطحاوي السابق، ولا غرابة في ذلك، فهما من أشد علماء السلف حماسا للعقيدة السلفية، والدعوة إليها، والدفاع عنها. وتلك ميزة تتجلى في مؤلفاتهما على الاجمال.

[1] ابن القيم (691-751)هـ، هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي، الدمشقي، أبو عبد الله، شمس الدين، المعروف : بابن القيم الجوزية، من كبار فقهاء الحنابلة، محدث، فقيه، مفسر، متكلم ... ولد بدشق، تتلمذ على ابن تيمية، قال ابن حجر العسقلاني :

(هو الذي هذب كتبه، ونشر علمه، واعتقل معه في قلعة دمشق) ا هـ .

من آثاره : الروح ـ زاد المعاد ـ الطب النبوي ، وغيرها

أنظر ترجمته في :

ـ الدرر الكامنة : 21/4 ، النجوم الزاهرة : 249/10

ـ بغية الوعاة : 62/1 ، كشف الظنون : 168/89 .

[2] الروح لابن القيم، ص : 178 ـ 179 .

الموازنة والترجيح :

يستشف مما سبق عرضه من آراء لدعاة اتصال الروح، ودعاة انفصالها، أن مذهب الانفصال أو استقلال الروح عن الجسد أرجح للاعتبارات التالية :

1- إن الروح جسم مخالف بالماهية لهذا البدن المحسوس، والدليل على ذلك : خفيته عن الحواس، فضلا عن أثر حركة البدن حين حياته، وانعدام الحركة حين موته .

2- إن الزوجية القرآنية أزالت كل لبس واضطراب عن وجود الروح، كحقيقة مزاوجة ومكملة للجسم .

3- إن دعاوى أهل الاتصال مرجوحة بالزوجية القرآنية، علاوة على الردود التي أوردناها في حينها.

4- إن ما يهم المسلم من الناحية الاعتقادية التسليم بوجود الروح ككيان مستقل عن البدن، أما الخوض في وصفه، والرغبة في الوقوف على حقيقته، فمما استأثر ا لله بعلمه .

وكل المحاولات من هذا القبيل إجهاد للعقل، وتبديد لطاقته الفعالة التي ينبغي أن توظف في تدبر العالم الحسي، واستغلال كنوزه، والانتفاع بها، حتى تعود على الانسانية بالفائدة .

وما أرحم ا لله بعباده، حين دعاهم إلى التأمل، والتدبر، في هذا الكون الفسيح، حتى يترسخ الايمان في النفوس. وينشط العباد في طاعة ا لله سبحانه، والسعي في خدمة الانسانية في مختلف نواحي الحياة. قال عز من قائل :

﴿ إن في خلق السماوات والأرض، واختلاف الليل والنهار، لآيات لأولي الألباب، الذين يذكرون ا لله قياما وقعودا، و على جنوبهم، ويتفكرون في خلق السماوات والأرض، ربنا ما خلقت هذا باطلا، سبحانك، فقنا عذاب النار ﴾.[1]

[1] سورة آل عمران، آيتا : 190 - 191 .

المطلب الثالث

الروح عند فلاسفة الإسلام

تمهيد :

إن الإنسان منذ أن وجد على ظهر الأرض، على وعي تام بأن هناك شيئا زائدا على هذه الجثة المحسوسة[1] ، التي يسكن داخلها، وعلى مر الأزمنة والعصور حاول التعرف على هذا السر المكنون، ولكن بدون جدوى، لأنه سر من أسرار الله في خلقه وآياته في عباده[2]، كيف لا، وهو القائل في محكم كتابه :

﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾[3]

﴿ وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾[4] .

حقا يشعر المرء من أمر النفس أنها في جسمه، ولكن في أي عضو من هذا الجسم تسكن؟[5]

ورغم صعوبة الموضوع وغموضه،[6] انطلق العقل الإنساني القاصر عن إدراك الغيب[7] في خوض غمار هذا البحر المتلاطم الأمواج، غير خائف ولا مبال، ساعيا كل السعي أن يحدد ماهية النفس، ويفهم طبيعتها، أو أن يصل إلى جواب يطمئن إليه عن بضعة أسئلة تنتابه : من أين هذه النفس ؟ وكيف أتت ؟ وإلى أين المصير بعد الفناء ؟[8] .

وهذه المحاولات المتشعبة المستمرة من صفوة العقول المتألقة المتطلعة إلى معرفة المجهول، التي لا تعرف الحدود الجغرافية، أو العرقية، أو الدينية، هي التي شكلت هذا التراث الضخم من الفلسفة خاصة والذي سمي بـ : (مبحث النفس في الفلسفة) والذي قيل فيه على سبيل المبالغة : ربما كان في تاريخه ما يلخص تاريخ الفلسفة بأسرها[9] .

---

[1] الرازي : معالم أصول الدين، ص : 114 .

[2] الدكتور مدكور : في الفلسفة الإسلامية 123/1.

[3] سورة الاسراء، آية : 85.

[4] الذاريات، آيتا : 21.20.

[5] ابن رشد : تهافت التهافت ص : 316 .

[6] التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة 198/1 .

[7] مقدمة ابن خلدون، ص : 460 .

[8] أنظر مشكلة الفيض في الاسلام د/ محمد عبد الرحيم الزيني، ص : 45 .

[9] الدكتور مدكور : المصدر السابق 124/1 ببعض التصرف.

إذن فلا عجب أن نجد فلاسفة الإسلام ممن أدلوا برأيهم في هذا الموضوع، ولكن مع ملاحظة تأثرهم بنظرية الفيض، وعلاقتها بالنفس .

ومن هنا لابد من الوقوف على حقيقة الفيض، وبيان علاقتها بالفكر الفلسفي الإسلامي حتى يتسنى لنا أن نوازن ونرجح في نهاية المطاف .

أولا : تعريف الفيض لغة :

كلمة الفيض لها مشتقات كثيرة منها :

(فيض، ومصدرها : الفيض، والفيوض : بضم الفاء وكسرها والفيوضة، والفيضوضة، والفيضان) (ترجع إلى معنى واحد : هو السيلان عن كثرة أو امتلاء)

(ومنه : فاض الماء : إذا كثر وسال، فاض النهر، أو الإناء امتلأ حتى طفح، وقد يتجوز باللفظ، فيستعمل لمجرد الكثرة، ومنه : فاض الخير إذا كثر).

(وفاضت نفسه : إذا مات، تشبيها بفيضان الماء من الإناء.

وكذلك فيض المعرفة الذي بصدده : تشبيها لتتابع الصور في الانطباع بتدفق الماء من النبع).ا.هـ[1]

---

[1] أنظر في معاني الفيض :

- ابن منظور : لسان العرب مادة فيض، ص : 3500.
- أساس البلاغة، للزمخشري، ص : 351،352.
- القاموس المحيط، للفيروزبادي : 353/2،354 .
- المعجم الوسيط : 708/2 .
- فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين : 568/7،569.
- مشكلة الفيض في الإسلام، د/ محمد عبد الرحيم الزيني، ص : 9 - 10 .

ثانيا : الفيض في القرآن الكريم

وردت كلمة الفيض في الكتاب العزيز بمعان مختلفة لا تختلف عن مدلولها اللغوي السابق، وإليك تلك الآيات على سبيل المثال :

تفيض : قوله تعالى :

أ- ﴿ ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ﴾[1]

ب - ﴿ تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون ﴾[2]

أفاض :

ج - ﴿ ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء ﴾[3]

د - ﴿ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله ﴾[4]

هـ - ﴿ فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام ﴾[5]

و- ﴿ ولو لا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم﴾[6] .

تفيضون :

ز- ﴿ وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه ﴾[7]

ح - ﴿ هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بيني وبينكم ﴾[8]

---

[1] سورة المائدة، آية : 83.

[2] سورة التوبة، آية 92.

[3] سورة الأعراف، آية : 50.

[4] سورة البقرة، آية : 199.

[5] سورة البقرة، آية : 198.

[6] سورة النور، آية : 14.

[7] سورة يونس، آية : 61.

[8] سورة الأحقاف، آية : 8.

هذه هي اشتقاقات مادة (الفيض) في القرآن الكريم، ولو تتبعنا معانيها عند أهـل التفسـير لما خرج مضمونها عـن المعنـى اللغـوي بشـقيه المعنـوي والمجـازي.[1] فليكـن النمـوذج المنتقـى مـن أصحاب التفسير إذن : مفاتيح الغيب للعلامة الفخر الرازي الفيلسوف والمفسر والأصولي.[2]

أـ فعن معنى آية هذه الفقرة يقول الرازي :

ففيه وجهان :

(الأول : المراد أعينهم تمتلىء من الدمع، حتى تفيض، لأن الفيض : أن يمتلىء الإناء أو غيره حتـى يطلع ما فيه من جوانبه.

(1) أنظر في ذلك على سبيل المثال : ـ الزمخشري : الكشاف [1/348. 349. 638]، [2/208، 242]، [3/516، 517]

ـ البيضاوي : تفسير البيضاوي 1/279، 1/417، 1/341، 1/112، 2/118، 1/440، 2/393.

ـ السجستاني : غريب القرآن ، ص : 5، 19، 51، 61 .

ـ الراغب : المفردات في غريب القرآن ، ص : 387 وما بعدها .

(2) تقدمت ترجمته .

والآخر : أن يكون المراد المبالغة في وصفهم بالبكاء، فجعلت أعينهم كأنها تفيض بنفسها).[1]

- **وعن فقرة - ب -** يقول :

(كقولك تفيض دمعا، وهو أبلغ من يفيض دمعها، لأن العين جعلت كأن كلّها دمع فائض).[2]

- **وعن فقرة - ج -** يقول :

(وقوله : أفيضوا كالدلالة على أن أهل الجنة أعلى مكانا من أهل النار).[3]

- **وعن فقرتي : د، هـ** يضيف قائلا :

(الافاضة : الاندفاع في السير بكثرة، وإفاضة الماء من هذا، لأنه إذا صب تفرق، والإفاضة في الحديث إنما هي الاندفاع فيه بإكثار .

وقوله تعالى : (أفضتم : أي دفعتم بكثرة).[4]

- **وعن فقرات : و - ز - ح،** يقول :

(الافاضة هنا الدخول في العمل (ولو قوليا) على جهة الانصباب إليه وهو الانبساط في العمل).[5]

---

(1) الفخر الرازي مفاتيح الغيب : 57/12 .

(2) الفخر الرازي مفاتيح الغيب : 129/16 .

(3) الفخر الرازي مفاتيح الغيب : 76/14 .

(4) الفخر الرازي مفاتيح الغيب : 147/5 .

(5) الفخر الرازي مفاتيح الغيب : 99/17 .

ثالثا : تعريف الفيض في الفلسفة

تباينت آراء الفلاسفة في التعبير عن ماهية الفيض وحقيقته، وكانت الأفلاطونية الحديثة[1] تعبر دائما عنها بتشبيهات وتخييلات تلتحق بالشعر والخيال أكثر مما تعبر عن الواقع في نفس الأمر.[2]

قال أفلوطين[3] :

إن تفكير الله[4] في نفسه، وكماله نشأ عنه فيض، وهذا الفيض صار هو العالم، وكما يبعث اللهيب ضوءا، والشمس نورا، والنار حرارة، والنبع ماء، والثلج بردا، والزهر عرفا، كذلك صدر من الله شعاع كان هو العالم).[5]-[6]

ولعل من هذا المنطلق عرف الفيض بأن : (جميع المخلوقات فاضت عن الذات العلية، فمنها مبدؤها، وإليها معادها).[7]

---

(1) إشارة إلى الفيلسوف المصري أفلوطين، مبدع الأفلاطونية الحديثة، عن الموسوعة الفلسفية المختصرة 66

(2) أنظر مشكلة الفيض عند فلاسفة الاسلام . د/ عبد الرحيم الزيني، ص : 12 .

(3) أفلوطين (204 -270) ولد في ليكوبوليس - مصر - فيلسوف، متأثر بأفلاطون مؤسس الأفلاطونية المحدثة. اهـ عن : الموسوعة الفلسفية المختصرة، ص : 66، المنجد في اللغة والأعلام، ص : 56 .

(4) عبارة (تفكير الله) تدل على تغلغل الفكر الوثني في نفس الفيلسوف، لأن التفكير عملية ذهنية من خصوصيات الانسان، فسبحان الله عما يصفون ويشركون .

(5) عبارات : اللهيب، الشمس، النار ... أشياء مادية يمكن أن ينعكس أو يصدر منها شيء، لكن أن تشبه الذات الالهية بذلك، فهو ما ترفضه العقيدة قطعا .

(6) عمر فروخ : تاريخ الفكر العربي، ص : 132.

(7) جميل صليبا : المعجم الفلسفي : 173/2 .

أو أنه : (فكرة تفسر علاقة الخالق بمخلوقاته ... وتتم هذه العلاقة :

إما :

بخلق الكون من العدم، أو : بالتطور، أو : بفيض من ا لله.

دون أن يتأثر الجوهر الالهي بما يفيض عنه، وكلما بعد الفيض عن مصدره، قل عنصره الالهي، كضوء القنديل : يقل كلما بعد عن مصدره ... و المخلوقات درجات تقل روحانيتها كلما بعدت عن الخالق).ا هـ.[1]

وإذا كان هذا عرضا مختصرا لمدلول الفيض من الوجهة الفلسفية، فإن معنى الفيض أخذ شكله المحدد والواضح عند فلاسفة الإسلام، إذ بدأ الفارابي[2]، فحاول صياغة نظرية الفيض في شكل علمي عقلي، أراد من خلالها التوفيق بين النظرية من حيث المضمون في إطارها الأفلوطيني، وبين المفهوم الديني الذي جاء به القرآن الكريم، فيما يتعلق بفعل الخلق.[3]

---

[1] أنظر الموسوعة العربية الميسرة 1349/2 .

[2] الفارابي أبو نصر محمد ت 950 م، ولد في : فاراب ـ تركستان وتوفي في دمشق، من أعظم الفلاسفة، لقب بالمعلم الثاني بعد أرسطو. حاول التوفيق بين أفلاطون وأرسطو .

من آثاره :

إحصاء العلوم، آراء أهل المدينة الفاضلة، وغيرها كثير .

أنظر ترجمته في :

أخبار الحكماء : 182، طبقات الأطباء 134/2 .

[3] أثولوجيا أرسطو . نشر د/ بدوي ، ص : 134.

ذلك أن الفارابي قد أضفى على واجب الوجود، أو المبدأ الأول أو - الله سبحانه - كل صفات التنزيه، فهو كامل، لا وجود أكمل من وجوده ... وهو عالم يدرك الأمور كلها، ولا يحتاج لذات يستفيد بعلمها[1] ليس فيه نقص أصلا ولا بوجه من الوجوه، ليس له ضد، وهو غير منقسم، ولا مادة له، وهو عقل وعاقل ومعقول.[2]

هو سبب أول لسائر الموجودات : على أنه أول فاعل لها، ثم على أنه غاية لها، وصورة لها، وهو خلو وبرئ من أنحاء النقص كلها، وهو أزلي بجوهره من غير أن يكون به حاجة إلى شيء آخر يمد بقاءه.[3]

إذن فا لله سبحانه له كل صفات الكمال والجلال، وهو فوق العالم، ومغاير له، فالسؤال المطروح هنا : كيف يتصل ا لله - وهذه صفاته - بهذا العالم، وظواهره المتغيرة والمتكثرة، وجوهر العالم، هو المادة ؟ ما هي الصلة التي تربط بينهما ؟

لا يمكن أن تكون صلة مباشرة لشدة تباينها، لذلك لجأ الفارابي ومن بعده فلاسفة الاسلام إلى نظرية الأفلوطينية، إلا أنهم طوروها، وحوّروها، وهي في أبسط صورها عندهم كما يلي[4] :

ا لله نشأ عنه فيض، وهذا الفيض هو العالم المخلوق، بيد أنه كانت الكائنات قد انبثقت وفاضت عن واجب الوجود، فهي أبدا تحن إلى العودة إلى منبعها ومصدرها الأصلي : فكل كائن يحاول الوصول إليه، أما ذلك المصدر والمنبع الأول فمستقر في نفسه، مكتف بذاته،

---

(1) الفارابي : فصوص الحكم، ص : 20 .

(2) الفارابي : السياسة المدنية، ص : 15 .

(3) الفارابي : رسالة في الملة الفاضلة ص : 33 .

(4) مشكلة الفيض عند فلاسفة الاسلام . د/ محمد عبد الرحيم الزيني، ص 13.

ثم هذه الكائنات التي صدرت عن الله تكون سلما نازلا من درجات الكمال : فكل شيء أقل مما فوقه، وأفضل مما تحته، ويستمر التناقص في الكمال، حتى ينعدم تماما، ويتلاشى النور في الظلام، ويصل في النهاية إلى المادة : هي نهاية السلم التنازلي، ومن خصائص هذا الفيض :

1- أنه فعل ضروري ناشئ عن طبيعة المبدأ الأول، ليس بالقصد والاختيار، بل بالإيجاب[1].

2- أن الفائض مباشرة عن الأول لا يكون إلا واحدا يحمل في ذاته الكثرة.

3- لا يحتاج الله في فيض العالم عنه إلى شيء خارج عن ذاته، لا إلى عرض يطرأ عليه، ولا إلى حركة يستفيد بها، ولا إلى آلة خارجية عن ذاته، بل العالم يفيض عنه لذاته، وبذاته.[2]

4- سلسلة الموجودات مترتبة من حيث درجة الأفضلية والكمال من أعلى إلى أسفل : ففي القمة العالم العلوي، ويليه العالم السفلي، بكل ما يحويه من موجودات، حتى يصل الفيض إلى المادة الجامدة .

والخلاصة أن نظرية الفيض في مفهومها الفلسفي، نظرية فلسفية تاريخية وضعها أصحاب الأفلاطونية المحدثة، لتفسير كيفية خلق العالم، وكيف صدرت الكثرة عن واحد، وصاغوها بأسلوب شعري خيالي، مليء بالتشبيهات والتخييلات، ثم انتقلت إلى العالم الإسلامي، بالرفض الشديد من الكثرة الغالبة - وإن كنا لا نعدم لها أنصارا - وهكذا في النهاية أصبحت نظرية تاريخية

---

(1) بينيس : مذهب الذرة عند المسلمين. الترجمة العربية ص : 61 ، نقلا عن مشكلة الفيض، ص 14 .

(2) صليبا : تاريخ الفلسفة العربية، ص: 150 - 151 .

عالمية كثر اللغط حولها، تصور الفكر الديني في لحظة تاريخية معينـة متسـلقا علـى نظريـة أفلوطـين، وتعبر عن تطور التفكير البشري في لحظة من لحظاته، أكثر مما تعبر عن تفسير مقبول للعالم.[1]

---

[1] مفهوم نظرية الفيض : تاريخ الفلسفة الاسلامية كوربان 192/1

وأيضا : ـ تاريخ الفلسفة العربية صليبا، ص : 151 .

ـ تاريخ الفلسفة العربية الفاخوري والجر، 262/1، 113/2 .

ـ نشأة الفكر : د/ النشار، 241/1 .

ـ مذهب الذرة عند المسلمين بينيس ـ الترجمة العربية، ص :61 .

ـ الشرق الفنان، د/ زكي نجيب محمود، ص : 84 ـ 85 .

ـ إخوان الصفا : جبور عبد النور، ص : 36 .

ـ إخوان الصفا : عمر الدسوقي، ص : 140 .

ـ النزعات المادية : حسين مروة ، ص :72 -79 .

رابعا : تعريف النفس/الروح عند الفلاسفة

بعد استعراض مادة الفيض من حيث اللغة، ودلالتها في القرآن الكريم، إضافة إلى ذكر مضمونها كنظرية فلسفية حاولت الجمع بين الطرح الأفلوطيني والمفهوم الديني، ثم اعتبار رأي نصر الفارابي[1] بمثابة المعلم الثاني الذي يعد أول من أدخل نظرية الفيض في الفلسفة الإسلامية ، ودافع عنها[2] لا بأس أن نشرع في ذكر بعض الآراء الفلسفية التي عرفت النفس من خلال الزاوية الفيضية، وها هي تلك الآراء باختصار :

1- أبو نصر الفارابي :

لئن اهتم هذا الفيلسوف بالنفس كثيرا، وحدد معالم النفس في الإسلام[3] فإننا في هذه العجالة لا نجد تعريفا مستقلا للنفس، اللهم إلا من خلال جمع الآراء المنتشرة هنا وهناك .

- ففي فقرة يحاول الفارابي التفريق بين النفس والجسد يقول : (أنت من جوهرين : أحدهم : مشكل، مصور، مكيف، مقدر، متحرك، ساكن، متحيز، والثاني : مبائن للأول في هذه الصفات، غير مشارك له، يناله العقل، ويعرض عنه الوهم، فقد جمعت بين من عالم الخلق ومن عالم الأمر، لأن روحك من أمر ربك، وبدنك من خلق ربك).[4]

---

[1] تقدمت ترجمته .

[2] أثولوجيا أرسطو 134 (ضمن أفلوطين عند العرب).

[3] انظر : الدكتور مدكور في الفلسفة الاسلامية 133/1.

[4] فصوص الحكم، ص : 9، عبارة : عالم الأمر ، تعني كل الموجودات الخارجة عن الحس، والخيال، والجهة، والمكان، والتحيز . وعالم الخلق : كل ما يقع عليه من مساحة وتقدير وهو عالم الأجسام. نقلا عن : المضنون الصغير للغزالي، ص : 7 .

- وفي فقرة ثانية يقول عن حقيقة النفس بأنها (جوهر غير جسماني، وليس بمتحيز، ولا بِمُتَمَكِّنٍ في وهم، ولا يدرك بالحس، لأنه من حيز الأمر)[1] .

- وفي فقرة ثالثة : (إن النفس حادثة عن واهب الصور[2] عند حدوث الشيء المستعد لقبولها ـ لقبوله فيه ـ وهو البدن، أو ما في قوته أن يكون بدنا)[3] .

ويفهم في الأخير من خلال ما تقدم ، أن الفارابي يرى أن النفس هي : جوهر جسماني، ليس بمتحيز، إنه من عالم الأمر، حادث عن واهب الصور عند استعداد البدن لقبوله .

2. **ابن سينا :** [4]

أما هذا الفيلسوف في تعريفه للنفس، فإن في عبارته اضطراب، حين يجعل العقل قوة من قوى النفس، وحين يقول بنظرية الفيض وأن العقل فاض عن الأول، ثم فاضت عنه النفس، لكن الأرجح حسب الدكتور الأهواني[5] ، أن العقل قوة من قوى النفس، وأن النفس عند مفارقتها للبدن قد تسمى نفسا، ولكن الأصح أن يقال عنها عقل .

---

(1) الدكتور مدكور في الفلسفة الاسلامية 133/1، الأهواني ابن سينا، ص: 55 .

(2) واهب الصور : هو عالم العقل الفعال، عن أبي العلا عفيفي : الناحية الصوفية في فلسفة ابن سينا ص : 408.

(3) الفارابي : الدعاوى القلبية، ص : 10 .

(4) تقدمت ترجمته .

(5) الأهواني : أحوال النفس لابن سينا، ص : 53.

3. إخوان الصفا : [1]

لا يمكن الحديث عن فيض النفس بدون التعرض لجماعة إخوان الصفا، لقد عالجت فيما عالجت هذه المشكلة، ووجدت في النهاية حلا يخدم أهدافها فهي جماعة توفيقية تلفيقية أخذت من كل فلسفة، ومن كل دين، ووفقت بين الأديان كلها، وبين المذاهب الفلسفية القائمة إذ ذاك من فارسية وهندسية ويونانية وإسلامية، ثم بين الأديان والفلسفة[2] وقد أخذوا في رسائلهم من كل فن نتفا بلا إشباع ولا كفاية، وفيها خرافات وكنايات ... و قد غرق الصواب فيها لغلبة الخطأ عليها[3] .

---

[1] إخوان الصفا جمعية ذات طابع ديني وسياسي ظهرت حوالي : 983م، اسماعيلية النزعة، جمعوا بين الفكر الاسلامي واليوناني، دونوا رسائلهم وتعاليمهم في : 52 رسالة، عقيدتهم : أن العالم صادر عن الله، وأن علة كل فيض، قد فاض من عنده بالتسلسل ... ـ اهـ .

ـ أنظر ترجمتهم في أعلام الفلسفة : العرب والأجانب للأستاذ روني ايلي ألفا ج 59/1 .

[2] أنظر : دي بور ، تاريخ الفلسفة في الاسلام، ص 113 .

وكذا هينرش شيدر : نظرية الانسان الكامل، ص :29 ترجمة د/ بدوي .

[3] أنظر : الامتاع والمؤانسة للتوحيدي 6،5/2.

النفس عند إخوان الصفا :

ـ الإنسان عندهم يتكون من جوهرين مقترنين : أحدهما : هذا الجسد المحسوس ذو الأبعاد المتعددة، والآخر : هذه النفس الروحانية[1]

لكن ما هذه النفس الروحانية ؟

النفس جوهرة روحانية نورانية، حية بذاتها، علامة بالقوة، فعالة بالطبع، تتعلم، وتفعل في الأجسام.[2]

وإخوان الصفا يكررون هذه المعاني بعبارات مختلفة في كل رسائلهم[3] كما أنهم متأثرون بالأفلوطينية فيرون أن سبب هبوط النفس من عليائها أنها وقعت في الخطيئة، فمن ثم سقطت في سجنها المؤقت وهو الجسد[4].

كما يصور الإخوان بأن النفس البشرية فيض من النفس الكلية التي هي عندهم فوق الفلك، والتي تأتي عندهم في المرتبة الثالثة بعد ا لله والعقل.[5]

وهي على العموم تعني أن النفس :

جوهرة روحانية فيض من النفس الكلية هبطت من العلياء بسبب الخطيئة .

---

(1) الرسائل : ج 3 ص : 4 .

(2) الرسائل : ج1 ص : 197 .

(3) الرسائل : ج3 ص : 67، 188، 279 .

(4) الرسائل : ج4 ص232 .

(5) الرسائل : ج 3 ص 187، وهذه المراتب هي التي قالت بها الأفلاطونية المحدثة. أنظر : مشكلة الفيض عند فلاسفة الاسلام، د/ الزيني، ص : 59 من الهامش 55 .

نقد وتعقيب :

بعد هذه الجولة السريعة عن حقيقة النفس، وصلتها بالفيض، لابد من تسجيل هذه الملاحظات ولو على سبيل الايجاز :

1 -- من باب الانصاف - ينبغي الاعتراف بأن موضوع النفس ككيان مستقل أضحى جليّ الملامح على يد الفيلسوفين الكبيرين : الفارابي وابن سينا. وفي هذا مساهمة فعالة في تأصيل حقيقة النفس التي خفيت عن الحواس، والتي تستحق بكل جدارة أن تضاف إلى الرصيد الفكري للفلسفة الاسلامية كما تعتبر أيضا السد المنيع لصد محاولات إنكارها، وذلك من قبل دعاة الفكر المادي الذين لا يؤمنون بما وراء الحس والطبيعة .

2 - أما عن نظرية الفيض التي تنشد على جهة الإجمال تفسير كيفية خلق العالم فإنها تفتقر إلى الأدلة العلمية،وذلك إنطلاقا مما يأتي :

أ - إن نسبة التأثر في إحداث العالم إلى عقول الأفلاك، قال به بعض فلاسفة اليونان، وإذا تساءلنا لم اقتصرت سلسلة العقول على عشرة فقط؟ فالجواب أن دعاة هذه النظرية على مذهب من يرى أن الأرض مركز العالم وأن الكواكب السيارة تسعة، وقد ثبت علميا خطأ هذه النظرية وتبين أن الشمس هي مركز العالم، وأن الأرض والكواكب الأخرى هي التي تدور حولها، وأن فلك القمر الذي نسب إلى عقله تدبير الكون قد وطئه الإنسان بقدمه في أول مركبة فضائية، وذلك يوم الأحد1969/7/20 الموافق لـ 1389/6/6 هـ[1] .

[1] أنظر الروح في دراسات المتكلمين والفلاسفة، د/ المسير ص : 69 وما بعدها ، بتصرف

ب ـ ذكر أبو حامد الغزالي[1] أن ما قيل في العقول العشرة وتأثيرها في العالم (تحكمات باطلة، وأنها على الحقيقة ظلمات بعضها فوق بعض لو حكاها الإنسان في منامه لاستدل به على سوء مزاجه ....).[2]

كما قد رفض هذه النظرية ابن رشد،[3] وهدم الأساس القائل : بأن الواحد من جميع الجهات لا يصدر عنه إلا واحد .

قال ابن رشد في تهافت التهافت : (والعجب كل العجب كيف خفي هذا على أبي نصر ـ الفارابي ـ وابن سينا، لأنهما أول من قال هذه الخرافات فقلدهما الناس، ونسبوا هذا القول إلى الفلاسفة).[4]

ج ـ رغم فساد هذه النظرية وعدم إجماع الفلاسفة على تبنيها، فإنه حاول بعض المفكرين المعاصرين تبريرها إسلاميا، حين حمل العقول العشرة على الملائكة، وزعم أن العقل العاشر هو جبريل عليه السلام، وأن قوله تعالى :

﴿ ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ﴾[5]

يشير إلى أن الأفلاك التسعة، فالعرش هو الفلك المحيط، وتحته ثمانية أفلاك.[6]

---

(1) ـ (3) : أنظر ترجمتهما في فصل : البعث عند الفلاسفة . وصما عمالنوادى : ص : 132 ، 119

(2) أنظر تهافت الفلاسفة للغزالي، ص : 90 .

(4) أنظر تهافت التهافت لابن رشد ، ص : 145 .

(5) سورة الحاقة، آية : 17 .

(6) الباحث هو الدكتور محمد البهي في كتابه الجانب الالهي من التفكير الاسلامي ج 2 ص 77 وما بعدها . نقلا عن الروح في دراسات الفلاسفة للدكتور المسير ص : 75 .

3 - إن القول بنظرية الفيض، سواء تعلق الأمر بالنفس، أو العالم يتصادم مع الحقائق الدينية، فحقيقتها تبقى غيبية عن العقل البشري القاصر[1] عن إدراك كنه الغيب، بما فيه قصة الخلق فلا يصح البث في ذلك إلا من خلال الوحي والنبوة[2] . كما أن إطلاق الفلاسفة لفكرة العقول العشرة لا حقيقة بها عند الرسل وأتباعهم، فإذا زعم الفلاسفة أن العقل الأول أبدع ما دونه من العقول والأفلاك إلى أن ينتهي الأمر إلى العقل العاشر الذي هو مبدع ما تحت فلك القمر فهذا كله من أعظم الكفر عند الرسل وأتباعهم من أهل الملل. فإن مضمون ذلك أن ملكا من الملائكة خلق كل ما تحت السماء، وملكا فوقه خلق كل ما سوى الله سبحانه وهذا من أعظم الكفر في دين المرسلين .

قال سبحانه : ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ﴾[3]

فأخبر أن الملائكة لا تسبقه بالقول، ولا تعمل إلا بأمره، فضلا أن يكون ملك هو خلق كل شيء.[4]

كما أن الآية تنفي أن يكون البشر - أيا كان مستواه العقلي - قد حضر قصة الخلق، حتى يزعم بفكره التائه أن النفس فاضت من كذا، والعالم فاض من كذا، قال سبحانه : ﴿ ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم ﴾.[5]

---

[1] أنظر مقدمة ابن خلدون ص : 460 . وكذا العقيدة الاسلامية للميداني ص : 21 .

[2] أنظر كتاب البدء والتاريخ للمقدسي ج 2 ص : 1 .

[3] سورة الأنبياء، آيات : 21-28.

[4] أنظر اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية : 212/3 .

[5] سورة الكهف آية : 51 .

4 - إن ربط فيض النفس با لله سبحانه يأباه العقل السليم، والنقل الصحيح، ألم يقل المولى تبارك اسمه :" ا لله خالق كل شيء "[1]

والنفس والروح من الأشياء المخلوقة باعتبار دخولها في كلمة شيء . وقد تنزه ا لله عزوجل في أن يكون مشابها لهذا الشيء أو ذاك قال عز من قائل :

﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾.[2]

وإذا كانت الآيتان القرآنيتان ترفضان الفيض بشكل أو بآخر، فلا مفر من اعتبار هذا الرأي مجانبا للصواب، كما تشهد بذلك نصوص أخرى، منها مثلا :

قوله تعالى :

﴿ فعال لما يريد ﴾[3]

وقوله أيضا :

﴿ إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ﴾[4]

وقوله أيضا :

﴿ ألا له الخلق والأمر ﴾[5]

وهي تدل على الاجمال انفراد ا لله سبحانه بالفعل، والخلق، والأمر، ولا أحد يشاركه في ذلك كائنا من كان .

---

[1] سورة الزمر، آية : 62.

[2] سورة الشورى، آية : 11 .

[3] سورة البروج، آية :16 .

[4] سورة يس، آية :82 .

[5] سورة الأعراف، آية : 54 .

المبحث الثالث

*****

تحديد مصطلح الموت

ويشتمل على المطالب التالية :

المطلب الأول : الموت لغة واصطلاحا .

المطلب الثاني : الموت بين القضاء والأجل .

المطلب الثالث : حكمة اختفاء الأجل .

المطلب الرابع : أثر تذكر الموت في إصلاح النفوس .

المطلب الأول

الموت في اللغة والاصطلاح

أ.تعريف الموت لغة :

إن الحياة والموت إسمان متناقضان، لا يجتمعان، ومن هنا فإن معاجم اللغة تعرف كل واحد منهما على أنه نقيض الآخر .

- ففي تعريفها للحياة، ورد أن : [الحياة نقيض الموت، والحي من كل شيء نقيض الموت].[1]

- وفي تعريفها للموت، أشارت إلى أن [الموت ... ضد الحياة][2]

وأصل الموت في لغة العرب : [السكون، وكل ما سكن، فقد مات].[3]

ومن المعاجم اللغوية من راعت الدلالة الشرعية لكلمة : الموت، فوضعت تعريفا مستوحى من مظهر جثة الميت التي تفتقر إلى حركة الحياة، فنصت على أن : (الموت هو زوال القوة الحاسة).[4]

وفي هذا إشارة إلى أن الموت ما هو إلا مفارقة الأرواح للأبدان .

ومهما يكن من أمر، فإن المعاجم اللغوية اتفقت على الاجمال بأن الموت هو مفارقة البدن للروح، مما يجعله ساكنا، غير متحرك .

---

[1] لسان العرب لابن منظور : 774/1.

[2] المصدر نفسه 547/3 .

[3] المصدر نفسه .

[4] المفردات في غريب القرآن، للراغب، ص :476 .

ب ـ تعريف الموت اصطلاحا :

إذا كانت الموت يعني سكون الجثة، وافتقارها إلى الحركة، فإن الاصطلاح الشرعي لم يتوقف عند هذا الحد، لأن الروح المفارقة للبدن، تجعله : ساكنا، جامدا، أما الروح فينتقل إلى عالم البرزخ .

ومن هذه الزاوية لاحظ بعض أئمة التفسير أن الموت من المنظور الشرعي هو :

(انقطاع تعلق الروح بالبدن، ومفارقته، وحيلولته بينهما وتبدل حال، وانتقال من دار إلى دار) [1]

فهذا التعريف ـ في اعتقادي ـ جاء جامعا مانعا، حين جمع بين الدلالة اللغوية والشرعية .

فالدلالة اللغوية توقفت عند حد (انقطاع تعلق الروح بالبدن)

والدلالة الشرعية أضافت حقائق منها :

1 ـ مفارقة الروح للبدن مما يعني عدم عودة الروح إلى البدن في الدنيا وهذا رد لطيف ووجيه على دعاة تناسخ الأرواح .

2 ـ تبدل حال، قد يراد بذلك تغيّر الجثة من حيث التعفن، أو إطلاع الروح بعد استقلالها عن البدن على عالم البرزخ الذي يختلف كثيرا عن عالم الحس والشهادة .

3 ـ موافقته للعقيدة التي تعني أن أرواح الموتى لن تعود إلى الأبدان حتى يوم البعث، حيث يرى الإنسان نتائج أعماله، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر. قال سبحانه :

﴿ قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾.[2]

---

[1] التذكرة في أحوال الموتى والآخرة للقرطبي، ص : 4 .

[2] سورة الجمعة، آية : 8 .

المطلب الثاني

الموت بين القضاء والأجل

أ . قضاء الموت وحتميته

إذا كان الموت يعني انقطاع صلة الروح بالجسد، فإن هذا الانقطاع أصبح مطردا يشمل كل الناس، بل أضحى شبحا مخيفا يتوعد الجميع في أعز ما يحبون من التعلق بالحياة، والأهل، والأولاد . فيباغتهم على حين غفلة، ودون سابق إنذار، ولعله من هذا الجانب كره الناس لقاءه، وراحوا يتشبثون بالحياة، حتى ولو كانت تتسم بالآلام والمعاناة .

ولقد صدق الشاعر في وصف هذا الإحساس حين قال :

نحب العيش بغضا للمنايا * ونحن بما هوينا الأشقياء [1]

ويقول أيضا في السياق نفسه :

سألناها البقاء على أذاها * فقالت عنكم حضر البقاء [2]

ولقد وصف القرآن الكريم هذا النفور النفسي من الموت، فقال جل شأنه :

﴿ قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ﴾[3]

وبيّن أنه قضاء حتمي، لا مفر منه، وأن كل نفس ذائقة لهذا الكأس المر.

فقال سبحانه :

﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾.[4]

---

[1] البيتان للشاعر أبي العلاء المعري، أنظر لزوم ما لا يلزم : 59/1 .

[2] البيتان للشاعر أبي العلاء المعري، أنظر لزوم ما لا يلزم : 61/1.

[3] سورة الجمعة، آية : 8.

[4] سورة آل عمران، آية : 158.

كما لفتت آية قرآنية أخرى أنظار العباد إلى عجزهم، وحدود قدرتهم في التصدي للموت، فضلا عن دعوتها لهم بضرورة الانصياع لقوة المولى تبارك اسمه التي تتصرف في الخفاء كيف تشاء، ومتى تشاء ، فقال جل جلاله في ذلك :

﴿ فلو لا إذا بلغت الحلقوم، وأنتم حينئذ تنظرون، ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون، فلو لا إن كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين ﴾.[1]

فالموت من خلال هذا الوصف القرآني، وإن كان حتما مقضيا، وبرهانا ساطعا على قدرة الواحد الديان، فإنه في الوقت نفسه دلالة على التنظيم الرباني لهذا الكون، لأنه لولا الموت هذا، لتكدست الجموع البشرية في هذه الدنيا، ولااختل توازن الكون، وبهذا يصبح بحق ضرورة إنسانية، وعبرة للأجيال اللاحقة، حين تعتبر عن طريق الدراسة والملاحظة من الأخطاء التي وقع فيها من قبلها .

ولعله من هذا الجانب جاءت آيات تذكر وتنذر، فقال سبحانه : ﴿ أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون ﴾.[2]

وعن فرعون اللعين، يقول سبحانه :

﴿ فأخذه ا لله نكال الآخرة والأولى إن في ذلك لعبرة لمن يخشى ﴾.[3]

فا لله تعالى ذكر قصته في هذا المضمار لتكون عبرة ودرسا لمن بعده.[4]

[1] سورة الواقعة آيات : 83 - 87.

[2] سورة يوسف آية : 109 .

[3] سورة النازعات، آيتا : 25، 26 .

[4] أنظر في ذلك : تفسير ابن كثير 468/4، وكذا الفكر التاريخي في الاسلام، عبد اللطيف شرارة، ص :11،12.

ب ـ الأجل :

نهاية الإنسان في هذه الحياة مرتبطة بحلول موعد أطلق عليه القرآن الكريم إسم الأجل. والأجل هو هذا الوقت المحدد في علم ا لله سبحانه لمفارقة الأرواح لأجساد ها أو : (بطلان حياة الحيوان فيه)[1]

بحيث تجهل كافة المخلوقات موعد رحيلها عن هذه الدنيا ، وقد جاء في الكتاب الحكيم ما يبين خلال آيتين كريمتين هما :

1 ـ قوله تعالى : ﴿ وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن ا لله كتابا مؤجلا ﴾.[2]

2 ـ قوله سبحانه : ﴿ فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾[3]

فهاتان الآيتان تصرحان بحلول الموت، وفق أجل معلوم، سواء كان الموت عاديا، أو قتلا، أو حرقا ... فإن الميت على أية حال مات بأجله (الذي قدره ا لله تعالى، وعلم أنه سيموت فيه، وموته بفعله تعالى، ولا يتصور تغيير هذا المقدر بتقديم ولا تأخير)،[4] وهو مذهب أهل السنة .

في حين يرى بعض أئمة المعتزلة[5] ، وهو في سياق تمثيل الميت بالمقتول فيرون : [أن للمقتول أجلين : الموت، القتل، وأنه لو لم يقتل لعاش إلى أجله الذي هو الموت]، واستدلوا لذلك بالدليل العقلي :

---

[1] أنظر شرح المقاصد للتفتازاني 314/4.

[2] سورة آل عمران، آية : 145 .

[3] سورة الأعراف، آية : 34 .

[4] المواقف للايجي :136/1.

[5] هذا الرأي للكعبي، أنظر : شرح العقائد النسفية للتفتازاني، ص : 109

(أن ذلك ـ أي القتل لو لم يكن فعلا للعبد، لما استحق الذم، ولما صح عقابه، والقصاص منه، باعتباره جانيا ... كما أنه لو كان ميتا بأجله، لما استحق القاتل الذم، ولا العقاب، ولا القصاص، إذ ليس موت المقتول بخلقه ولا بكسبه)[1] .

رد أهل السنة :

(و أما الجواب عن استدلالهم العقلي، فإن وجوب العقاب، والضمان، على القاتل، تعبدي، لارتكابه المنهي عنه، وكسب الفعل الذي يخلق ا لله تعالى عقبيه الموت بطريق جري العادة، فإن القتل فِعل القاتل كسبا، وإن لم يكن له خلقا، والموت قائم بالميت، مخلوق لله تعالى، لا صنع فيه للعبد تخليقا ولا اكتسابا).[2]

المقارنة والترجيح :

عند التمعن في الرأيين، نلاحظ أن ما ذهب إليه بعض أئمة المعتزلة في هذه المسألة مبني على التصور بأن الإنسان القاتل حر فيما فعل، بدليل استحقاقه لطائلة اللوم، والعقاب، والقصاص، و... ومن هنا لم يدر في خلده أن وراء ذلك إرادة ا لله تعالى التي تتصرف في الخفاء، وهي المؤثر الحقيقي في الأشياء .وقد جاء الحديث النبوي الذي وضح ما أشكل في حقيقة الأجل الذي أشارت إليه الآيتان السابقتان ونص الحديث :

---

[1] أنظر شرح العقائد النسفية للتفتازاني، ص : 109 .

[2] المصدر السابق .

(... قد سألت ا لله لآجال مضروبة، وأيام معدودة، وأرزاق مقسومة لن يعجل شيئا قبل أجله، ولن يؤخر شيئا عن أجله ... الحديث)[1]

فالحديث يشير باختصار إلى أن لكل نفس أجلا محددا في علم ا لله تعالى، فهذا يموت بسبب المرض، والآخر بسبب القتل، أو الحرق، أو غير ذلك .

ولا تعارض بين تعدد الأسباب التي هي من فعل الانسان، وبين حقيقة الأجل الذي كان من اختصاص علم ا لله تعالى الذي يؤثر في الأشياء كيف يشاء ومتى شاء .

كما أن أهل السنة في هذه المسألة أصوب رأيا حين أدركوا حكمة الجمع بين تصرف الانسان في كونه حرا، قادرا على مباشرة الأسباب، وبين قدرة ا لله عزوجل الذي اختص بالتأثير في الأشياء .

كما أن الإنسان يُحاسب على قدر استجابته للتعاليم الدينية، سواء كان الأمر تعلق بالترك أو الفعل .

ومن هنا لا مجال للاعتقاد بأن المقتول قد قطع عليه أجله، وأنه لو لم يقتل لعاش إلى أجله، فكأنه بهذا التصور المعتزلي يضحى الميت ذا أجلين وهذا باطل، لأنه لا يليق أن ينسب إلى ا لله تعالى أنه جعل له أجلا يعلم أنه لا يعيش إليه البتة، أو يجعل أجله أحد الأمرين، وهو ما يتعارض مع صفة الإرادة الإلهية التي تقتضي أن يكون كل شيء وفق مراد ا لله ومشيئته.[2]

---

[1] صحيح الامام مسلم، كتاب : القدر، الحديث تحت رقم 2663.

[2] أنظر شرح العقيدة الطحاوية، ص : 149 بتصرف .

المطلب الثالث

حكمة اختفاء الأجل

إنه من رحمة المولى تبارك اسمه، أن أخفى على الناس آجالهم، وموعد رحيلهم عن الدنيا، حتى يريحوا عقولهم عن البحث في متاهات هذا القضاء الحتمي من جهة، ويكونوا أكثر استعدادا لملاقاته بمختلف أنواع الطاعة، وضروب العبادة من جهة أخرى .

ذلك أن مشاهدة الناس يموتون، ويرحلون، تاركين وراءهم كل غال وثمين، من أكثر الدوافع على تذكر الموت، وأبلغها في التأثير على النفس من أجل إصلاحها، وتهذيبها، حتى يصل بها إلى أعلى مستوى من الكمال البشري .

وإذا كان الموت على البال، فإن الدنيا تصغر في الأعين، ويقبل الإنسان على محاسبة نفسه، وتقويم ما اعوج منها، مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم : (الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت ... الحديث).[1]

ومن هنا جاءت نصوص من الذكر الحكيم تدعو إلى المزيد من الحيطة، واليقظة، لتربط العبد بخالقه، فيراقب نفسه، ويحاسبها على ما قدمت لغد، قال جل جلاله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد، واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴾.[2]

فالمتدبر لمحتوى هذه الآية الكريمة يستوحي عظمة التربية القرآنية للمسلم، فيعلم أن النظرة المطلوبة، هي نظرة محاسبة وتدقيق، ومراجعة وفحص، ومطابقة مع شرع الله سبحانه .

---

(1) رواه الترمذي بسند حسن شداد بن أوس، سنن الترمذي رقم 2467، 208/4 .

(2) سورة الحشر آيتا : 18، 19.

(ولن تتم هذه النظرة المطلوبة على صورتها الإيمانية إلا إذا استجمعت الشرطان الرئيسيان هما :

الإيمان أولا، والعلم بمنهاج ا لله ثانيا، وبدونهما ستظل النظرة ناقصة وغير كاملة)[1]

كما تعتبر هذه الآية قاعدة أساسية للبناء والتكوين، والتربية والإعداد، إنها نظرة المؤمن في نفسه، وفي عمله، لينضبط بميزان الإسلام.

وتتوالى الآيات القرآنية لتعطي محاسبة النفس عمقا أبعد، ومعنى أوسع، وممارسة أدق، قال سبحانه : ﴿ إن ا لله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ﴾[2]

﴿ إن ربك لبالمرصاد ﴾[3]

وفي حديث الرسول عليه الصلاة والسلام حين سئل عن الإسلام، والإيمان، والإحسان، أجاب عن الإحسان، فقال : ﴿ أن تعبد ا لله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ﴾[4]

فها هنا تبرز حقيقة المراقبة للنفس، وتعمل الكوابح واللجم حتى تحفظها من الهوى، لتستقيم على أمر ا لله، وبهذا يحمد المؤمن ربه على نعمة اختفاء الأجل، ليعيش على درب اليقظة، والاستعداد لممارسة شتى أنواع الأعمال التي تخلد إسمه في قائمة الخالدين الصالحين ليلتقي با لله عبر الموت على حسن الخاتمة، ومسك النهاية، ليفوز بالرضوان والمغفرة.[5]

---

[1] أنظر منهاج المؤمن بين العلم والتطبيق د/ عدنان النحو، ص : 142 .

[2] سورة آل عمران، آية : 5 .

[3] سورة الفجر، آية : 14.

[4] صحيح الامام مسلم، باب1، حديث رقم 1

[5] منهاج المؤمن نفس الصفحة بتصرف .

المطلب الرابع

أثر تذكر الموت في إصلاح النفوس

إن للموت أبلغ الأثر في إصلاح النفوس، وتقويم السلوك، ذلك أن النفس الإنسانية شديدة التعلق بالدنيا، والرغبة في العيش فيها طويلا، أما إذا كان الموت نصب العين، وخاصة عند مشاهدة موت عزيز، أو فقد حبيب، فإن ذلك يدعو إلى تذكر الآخرة، والاستعداد لها بالتوبة، والاستغفار، ورد المظالم .

ولعل أخطر ساعة في حياة الانسان، بل أكثرها إيقاظا للضمائر، وتنبيها من كل غفلة، هي تلك اللحظة التي يعاني فيها المرء من سكرات الموت، أو يعاني فيها غيره من الأقرباء، والأحباء، ومن ثمة، جاء في الأثر : أنها من أبلغ الدروس والعبر التي تهيج فيها المشاعر، وتستيقظ فيها القلوب.

قال عليه الصلاة والسلام :

" كفى بالموت واعظا ".[1]

ومن هنا جعلها القرآن الكريم من الآيات الكبرى الدالة على وجود الله سبحانه، وتعرفنا بقدرته وقهره. قال جل شأنه : ﴿ فلو لا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين ﴾.[2]

---

(1) أورده العلامة القرطبي في كتابه : التذكرة في أحوال الموتى والآخرة، ص : 8 .

(2) سورة الواقعة، آيات : 83 - 87 .

والآية الكريمة دعوة إلى التأمل والاعتبار من حالة المحتضر الذي أشرف على الرحيل إلى عالم الآخرة بعدما تفارق روحه بدنه الذي يصبح بعد لحظات جثة هامدة، ومن هنا يتضح أن عملية الموت ماهي إلا انفصال للروح عن الجسد، فالروح من قبيل الكائن الغيبي، والبدن من قبيل الكائن المشاهد المحسوس .

وعند تدبري لمضمون هذه الآية الكريمة تذكرت مباشرة قولة أحد الفلاسفة الأمريكيين - رويس -[1] الذي عبّر بذكائه عن حقيقة الروح، فضلا عن وجودها من خلال جملة في غاية البيان والوضوح، وهاهو يقول :

(إننا مضطرون إلى الإيمان بوجود شيء غير مرئي، ولا محسوس يسكن الكائن الحي، لأننا نرى آثار هذا الشيء حين يكون، ونفتقدها حين يذهب، أما هذا الشيء نفسه فلا ينكشف لنا منه شيء في حضوره أو غيبته).[2]

أجل، لقد أدرك الروح حين كانت في الجسد، وفقدها حين غادرته، وهذا ما يعني وجودها على الرغم من عجز الحواس عن إدراكها .

ومن العينات التي احتفظت بها كتب التراث في ميدان الزهد والمواعظ، ما يسوقه العلامة

---

[1] رويس جوزيا - 1855 -1916، فيلسوف أمريكي، ولد في كاليفورنيا، من أهم الناطقين بلسان المذهب المثالي ... له إنتاج وفير ... وله تأثير كبير على رجال اللاهوت في ذلك العصر. اهـ عن الموسوعة الفلسفية المختصرة، ص : 228.

[2] انظر حياة الفكر في العالم الجديد، د/ زكي نجيب محمود، ص : 131 .

القرطبي[1] في الاعتبار بالموت، حين يقول :

(من أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاثة :

1- تعجيل التوبة .

2- قناعة القلب .

3- نشاط في العبادة .

ومن نسي الموت عوجل بثلاثة :

أ- تسويف التوبة.

ب - ترك الرضى بالكفاف.

ج - التكاسل في العبادة).[2]

وعن الآثار النفسية التي تستوحى من الموت، تابع يقول : " تذكر الموت يردع عن المعاصي.

- يلين القلب القاسي .

- يذهب الفرح بالدنيا .

- يهون المصائب".[3]

[1] القرطبي هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي من كبار المفسرين، محدث، صالح، متعبد، من أهل قرطبة ... قال عنه الذهبي : " إمام متفنن، متبحر في العلم، له تصانيف مفيدة، تدل على كثرة الاطلاع ..." من آثاره الخالدة في التفسير : (جامع أحكام القرآن) التذكرة في أحوال الموتى والآخرة ت : 671 هـ، أنظر ترجمته في : - الوافي بالوفيات للصفدي 122/2، - طبقات المفسرين للسيوطي 28، - طبقات المفسرين للداودي 65/2، نفح الطيب للمقري 210/2.

[2] - [3] انظر التذكرة في أحوال الموتى والآخرة للقرطبي، ص : 9 -12.

ويستشف مما سلف من خلال تدبر ظاهرة الموت الحقائق الآتية :

1- إن الموت دلالة عظمى على قدرة الله المتصرف في الخفاء .

2- إن في حكمة الموت دليل ساطع علة وجود الروح ككيان مستقل، ويتضح ذلك في إحساسنا بأثره حين يكون الجسد حيا، وبفقدانه حين يموت، مع أن الروح لم ينكشف لنا منه شيء .

3- إنه يعكس بحق عدالة الله سبحانه في خلقه حين فرضه على الخلق كافة.

4- أنه آية عن عجز الإنسان، وحدود قدرته، ولو دفع كل غال ونفيس ما استطاع رد هذا القضاء المحتوم .

5- إنه تخفيف على المريض من مشقة المعاناة، وللأهل من ثقل الخدمة .

6- إنه ضرورة إنسانية اقتضتها سنة الله في الكون، فلو تراكم البشر في هذه الحياة، لا اختل نظام الكون، وفقد توازنه .

7- إنه فرصة ليتوب المنحرف، ويهتدي الضال، ويرتدع المتجبر .

8- إنه تذكير بفناء العالم المشاهد، وإقبال لعالم الغيب. ذلك أن فناء الإنسان الذي هو جزء من هذا الكون، دليل على فناء الكون نفسه .

إنه أولا وأخيرا دليل على قصر نظر محكمة البشر التي تتميز بالعدل النسبي وقدوم محكمة الإله التي تتميز بالعدل المطلق فتجازي المحسن عن إحسانه، والمسيء عن إساءته، ومن هنا ندرك أن الدنيا دار عمل، والآخرة دار جزاء وفصل .

المبحث الرابع

*****

البرزخ وأقوال العلماء فيه

ويشتمل على المطالب التالية :

المطلب الأول : تعريف البرزخ لغة واصطلاحا .

المطلب الثاني : أقوال العلماء في البرزخ .

المطلب الثالث : الأدلة على ذلك .

المطلب الأول
تعريف البرزخ لغة واصطلاحا

أ. تعريف البرزخ لغة :

كلمة البرزخ تعني (الحاجز بين الشيئين، حتى لا يختلط أحدهما بالآخر).[1]

ولعل هذا الحاجز أو الفاصل، مقتصر على ما هو مادي، محسوس. وذلك مثل الذي ورد في سورة الرحمن، وهو قوله سبحانه : (بينهما برزخ لا يبغيان)[2]

وفي سورة الفرقان، قوله تعالى :

﴿ وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات، وهذا ملح أجاج، وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا ﴾.[3]

فالضمير في قوله (بينهما)يعود إلى البحرين قطعا، ومن ثمة لا داعي لتفسير أحدهما بالنهر إعتبارا لحلاوة مياهه، والآخر بالبحر إبقاء لحقيقة مياهه التي تتميز بالملوحة.[4] ومن هنا ينبغي فهم البحرين على حقيقتهما اللغوية، وأن أحدهما ذا ماء حلو، والآخر ذا ماء مالح، وأن السر في عدم اختلاطهما يعود إلى قدرة ا لله تعالى .

---

[1] لسان العرب لابن منظور : 193/1، وكذا المعجم الوسيط 48/1 .

[2] سورة الرحمن، آية : 20 .

[3] سورة الفرقان، آية : 53.

[4] هذا الرأي لابن كثير في تفسيره : 321/3 يتنافى مع الاعجاز العلمي القرآني، وقد قيل أن الملاح (كوستو) اكتشف ذلك في البحر، واندهش من قدرة ا لله تعالى .

المطلب الثاني

أقوال العلماء في البرزخ

إذا كان التعريف الاصطلاحي السابق للبرزخ ينحصر في الحاجز بين الدنيا والآخرة، فإنه يعني تلك المدة بين الموت والبعث،[1] وعلى هذا يمكن القول بأن كل من مات دخل في البرزخ، [2] وبالتالي يعاين أحداثا لم يكن قد ألفها في الدنيا، ومنها رؤية ملكي السؤال بعد أن تعاد إليه روحه، ومعرفة حاله من النعيم والعذاب، وذلك تبعا لما مات عليه الإنسان .

ومن هذا المنطلق يمكن تصنيف آراء العلماء حول هذه النقطة إلى ما يأتي :

1- فرقة تقول بعودة الروح إلى البدن في القبر، ومساءلة صاحبها من طرف ملائكة السؤال. وهذا الرأي لأهل السنة.

2- فرقة تقول أن السؤال يقع للروح لا للبدن، وهذا الرأي لابن حزم.[3] وهو من أهل السنة أيضا.

3- فرقة أخرى تنكر ذلك جملة وتفصيلا، وينسب ذلك إلى ضرار بن عمرو[4] من أئمة المعتزلة.[5]

---

[1] أنظر التذكرة للعلامة القرطبي، ص 177 .

[2] نفس المصدر .

[3] تقدمت ترجمته .

[4] هو ضرار بن عمرو الغطفاني، قاضي من كبار المعتزلة، طمع في رئاستهم فلم يدركها، فخالفهم، فكفروه، وطردوه، وشهد عليه أحمد بن حنبل عند القاضي سعيد بن عبد الرحمن الجمحي فأفتى بضرب عنقه، فمات نحو 190هـ أنظر ترجمته في : لسان الميزان 303/3 .

[5] حصر انكار عذاب القبر ونعيمه الذي هو من البرزخ على ضرار بن عمر فيه من المغالطة ذلك أن العلامة القرطبي أضاف أسماء من المعتزلة أنكرت عذاب القبر جملة منها : ضرار بن عمرو، بشر المريسي، يحي بن كامل، وغيرهم . التذكرة ص : 129، ثم إن البعض الآخر من علماء المعتزلة أنكروا وجود الروح ككيان مستقل باعتباره غير خاضع للحواس .

- وكونه - أي الروح - عبارة عن النسيم الداخل والخارج بالتنفس.

- أو أن الروح عبارة عن مجرى الدم الصافي، ليس إلا .

وقد بينا ضعف شبههم عند الحديث على الروح عند المتكلمين . ومن هنا يحق لنا أن نتساءل ؟

إذا كان هؤلاء ينكرون حقيقة الروح ككائن مستقل عن البدن فكيف يقع في منظورهم السؤال على الميت في القبر. مع أن أهل السنة يجزمون بعودة الروح إلى جزء من أجزاء البدن، يتم بواسطة ذلك تحاوب الميت مع سؤال الملائكة ؟

اللهم إلا أن يذهب أحد المعتزلة فيقول إن السؤال للبدن وحده وهو ما تأباه النصوص التي استدل بها أهل السنة.

المطلب الثالث

الأدلة على إثبات البرزخ

أ.أدلة أهل السنة :

من أدلة أهل السنة في إثبات نعيم أو عذاب القبر، ومساءلة الملكين للميت، ما يأتي :

1- قول الله تبارك اسمه :

﴿ النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم القيامة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾.[1]

فالعرض هنا قبل يوم القيامة، كما أن المعطوف (ويوم تقوم الساعة) يقتضي المغايرة، فالعرض إذن يكون في البرزخ.[2]

وجاء في فتح الباري : (أن هذه الآية خاصة بالبرزخ، وهي حجة في تثبيت عذاب القبر، واستدلوا بها ـ أي هذه الآية ـ على أن الأرواح باقية بعد فراق الأجساد، وهو قول أهل السنة).[3]

2- قوله سبحانه :

﴿ مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا ﴾[4]

فالفاء للتعقيب، فدخول النار عقب الغرق يكون في البرزخ.[5]

---

[1] سورة غافر، آية : 46 .

[2] أنظر شرح المقاصد للتفتازاني : 112/5 وما بعدها .

[3] أنظر فتح الباري لابن حجر 297/3 .

[4] سورة نوح آية : 25.

[5] الروح في دراسات المتكلمين والفلاسفةص :126 .

3- قول المولى تبارك اسمه في حق حياة الشهداء :

﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل ا لله أمواتا بل أحياء عند ربهم ...﴾[1]

فهذا النعيم قبل يوم القيامة قطعا، لأن لهم حياة خاصة، وهي في البرزخ.[2]

4- السنة :

أ- (ومن السنة، أن الرسول صلى ا لله عليه وسلم مر بقبرين، فقال : إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير).[3]

فهذا نص صريح في إثبات عذاب القبر.

ب - وثبت عن الرسول صلى ا لله عليه وسلم : [يتعوذ من عذاب القبر].[4]

جـ - ومن المشهور في السيرة النبوية [أن الرسول عليه السلام ترك قتلى بدر ثلاثا، ثم أتاهم فقام عليهم، فنادى بعضا منهم : أليس قد وجدتم ما وعدكم ربكم حقا ؟ .... فقيل له : كيف يسمعون وأنى يجيبون، وقد جيفوا ؟ فقال صلى ا لله عليه وسلم : والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا).[5]

---

[1] سورة آل عمران آيتا : 169 - 170 .

[2] أنظر : الروح في دراسات المتكلمين والفلاسفة، ص : 126 وما بعدها .

[3] صحيح البخاري : في الوضوء، باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله.

وفي الجنائز، باب الجريدة على القبر.

صحيح مسلم : في الطهارة ، باب الدليل على نجاسة البول .

سنن الترمذي : في الطهارة، باب في التشديد من البول .

سنن النسائي : في الطهارة، باب التنزه عن البول .

[4] صحيح البخاري : باب التعوذ من عذاب القبر، من كتاب الجنائز

وفي الدعوات : باب التعوذ من عذاب القبر .

[5] أنظر : سيرة ابن هشام : 204/2 والسائل هو عمر بن الخطاب رضي ا لله عنه .

د ـ وأخيرا، ولعله من أشهر الأحاديث وأصرحها في موضوع الحياة البرزخية على الإجمال، وعذاب أو نعيم القبر على الخصوص، ما جاء عن الرسول صلى ا لله عليه وسلم حيث يقول :

(إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه، إنه ليسمع قرع نعالهم، إذا انصرفوا : أتاه ملكان فيقعدانه، فيقولان له :

ما كنت تقول في هذا الرجل، محمد صلى ا لله عليه وسلم ؟ فأما المؤمن، فيقول :

أشهد أنه عبد ا لله ورسوله، فيقال له : أنظر إلى مقعدك من النار، أبدلك ا لله به مقعدا من الجنة، قال النبي عليه السلام : فيراهما جميعا .... الحديث).[1]

ففي هذا الحديث نستوحي الحقائق الشرعية التالية :

1ـ عودة الروح إلى بدن الميت .

2ـ إنه يسمع قرع نعال المشيعين له .

3ـ إثبات القعود للميت، وهذه صفة الجسم المادي، وإن كان هذا القعود ليس من نوع المألوف في الحياة الدنيا، ومن ثمة لا ينبغي قياس أمور الآخرة بأمور الدنيا.[2]

4ـ إثبات السؤال والجواب، مما يوحي بأن الحوار مع ملائكة السؤال يتم بواسطة الروح والبدن معا.

---

[1] صحيح البخاري، في الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر .

ـ صحيح مسلم ، في الجنة، باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار.

ـ سنن أبي داود، في الجنائز، باب المشي في النعل بين القبور .

[2] التذكرة في أحوال الموتى والآخرة، للقرطبي، ص : 124.

وكذا : فتح الباري لابن حجر : 297/3.

وكذا : شارح العقيدة الطحاوية، ص : 451-452 بتصرف .

ب - رأي ابن حزم :[1]

ذهب العلامة ابن حزم إلى أن عذاب القبر ومسألته إنما هو للروح فقط، بعد فراقه للجسد، قبر، أو لم يقبر، وإنما قيل (عذاب القبر) ... لأن المعهود في أكثر الموتى أنهم يقبرون، ومن ظن أن الميت يحيا في القبر فقد أخطأ . واستدل بما يأتي :

1- آية سورة غافر :﴿ النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ﴾[2]

والعرض لا يكون إلا للأرواح .

2- آية سورة الزمر : ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها، والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت، ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى ﴾.[3]

فقد نص القرآن على أن روح من مات يمسكها الله ولا ترجع إلى جسده.

3- لو كان هناك حياة للبدن في قبره لكان الله تعالى قد أماتنا ثلاثا، وأحيانا ثلاثا، وهذا باطل، وخلاف القرآن في قوله تعالى : (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين)[4]

فليس هناك حياة ثالثة، اللهم إلا من أحياهم الله تعالى آية لنبي من الأنبياء.

4- خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم لقتلى بدر إنما هو للروح فقط، أما الجسد فلا حس له .

5- قال ابن حزم بالنص :

لم يأت قط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في خبر صحيح أن أرواح الموتى ترد إلى الأجساد عند المسألة، ولو صح ذلك لقلنا به، وإنما انفرد بهذه الزيادة من رد الأرواح

---

[1] تقدمت ترجمته .

[2] سورة غافر، آية : 46.

[3] سورة الزمر، آية :42.

[4] سورة غافر، آية : 11.

- إلى البدن في القبر - المنهال بن عمرو[1] وحده وليس بالقوى .

[1] المنهال بن عمرو الأسدي ذكره ابن حجر العسقلاني في : تقريب التهذيب بأنه صدوق من الدرجة الخامسة وقال عنه : رُبَّما وهم . التقريب ص: 348

وفي معرض حديثه عن طبقات الرواة، ومنها: الخامسة التي ينتمي إليها المنهال بن عمرو، يقول ابن حجر :

الخامسة من قصر عن درجة الرابعة وإليه الاشارة بـ : صدوق سيء الحفظ، أو صدوق يهم أوله أوهام، أو يخطئ، أو تغير بآخره ....اهـ عن التقريب ص :9 من المقدمة .

- كما أن المحدثين الذين رووا أحاديث سؤال الملكين للميت في القبر كلهم مرّوا على الراوي : المنهال بن عمرو .

منهم أبو داود الطيالسي في مسنده.

عبد بن حميد في مسنده.

أحمد بن حنبل في مسنده، وكلهم عن المنهال بن عمرو عن زادان عن البراء بن عازب عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان في جنازة، فانتهوا بها إلى القبر ... وفيه أن ملائكة السؤال تسأل الميت في قبره .

أنظر في ذلك : التذكرة في أحوال الموتى والآخرة للقرطبي، ص : 120/119.

ثم ساق ابن حزم رواية أخرى مفادها أن :

عبد الله بن عمر[1] دخل المسجد فأبصر ابن الزبير[2] مطروحا قبل أن يصلب ... فمال إلى أمه ـ أي أم ابن الزبير ـ فعزاها وقال :

إن هذه الجثث ليست بشيء، وإن الأرواح عند الله. وأخيرا لجأ ابن حزم إلى تأويل آية :

﴿ ربنا أمتنا اثنتين ﴾[3]

بأنها على معنى آية البقرة

﴿ وكنتم أمواتا فأحياكم ﴾[4]

على ما ذهب إلى ذلك عبد الله بن مسعود،[5] والذي يتلخص رأيه على الإجمال :

---

[1] عبد الله بن عمر بن الخطاب، صحابي جليل من المشهورين برواية الأحاديث النبوية الشريفة. وأول مشاهده غزوة الخندق، كان من أوعية العلم، وكانت وفاته بمكة سنة 73 للهجرة، أنظر ترجمته في : الاستيعاب لابن عبد البر 80/3.

[2] عبد الله بن الزبير بن العوام، أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق، كان مشهورا بالتقوى والشجاعة. قتله الحجاج بن يوسف، وصلبه وكان ذلك سنة 73 هـ . أنظر ترجمته في :

ـ الاستيعاب، 39/3.

[3] سورة غافر، آية :11.

[4] سورة البقرة، آية : 28.

[5] عبد الله بن مسعود قال عنه الذهبي : هو الامام الرباني أبو عبد الله، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخادمه، وأحد السابقين الأولين، من كبار البدريين ومن نبلاء الفقهاء والمقربين. مات بالمدينة سنة 32 هـ، أنظر ترجمته في :

ـ الاستيعاب : 111/3.

فالموتتان : موتة العدم، وموتة الدنيا .

والحياتان : حياة الدنيا، وحياة الآخرة حين البعث.[1]

الموازنة والترجيح :

إن التأمل في أدلة الفريقين يقودنا إلى ترجيح مذهب أهل السنة القائل بأن البرزخ إسم لعالم ما بعد الموت، بما فيه عذاب أو نعيم القبر. ونستطيع أن نلمس ذلك في النواحي التالية :

1 - إن آية سورة غافر : ﴿ النار يعرضون عليها غدوا وعشيا، ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾.[2]

حتى وإن اتفق أهل السنة مع ابن حزم على أن ذلك العرض يكون في البرزخ، إلا أن أهل السنة اعتبروا ذلك في القبر حين تعود الروح إلى البدن، ويتقوى رأيهم بما جاء في قوله تعالى : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة ﴾[3] بأنها نزلت في عذاب القبر.

وعلى فرض أن صيغة (نزلت) من تعبير الراوي، فإنه لا يمكن أن يقال مثل هذا على جهة الرأي.[4]

2- دعوى ابن حزم بأننا لو سلمنا بعودة الروح في القبر لكانت الإحياءات ثلاثة وهذا باطل، فالجواب أن إثبات الواحد أو الاثنين لا ينافي الثاني والثالث .

ثم أن الظاهر في قوله تعالى في سورة البقرة (ثم يحييكم) المتعلق بالحياة الأخرى يوم القيامة لم يتعرض لحياة القبر لخفاء أمره، وضعف أثره في معرض الترغيب في الإيمان.[5]

---

[1] أنظر تفسير ابن كثير 67/1.

[2] سورة غافر، آية : 46.

[3] سورة ابراهيم، آية : 27.

[4] أنظر التذكرة للقرطبي، ص : 145.

[5] أنظر شرح المقاصد للتفتازاني 112/5.

3- كون الرسول صلى ا لله عليه وسلم خاطب أصحاب قتلى بدر إنما كان للروح . مردود بما يأتي:

أ- إن الرسول عليه السلام نظر إلى جثثهم وخاطبهم، وهذا دليل على سماعهم وعدم قدرتهم على الرد .

ب - لو سلمنا بعدم إحساسهم بالخطاب فما الغاية من مخاطبة الرسول للجثث ؟

جـ - ثم إن السائل سأل الرسول عليه السلام أتخاطب جثثا وقد جيفت ؟

فكان جواب الرسول عليه السلام بأنهم لا يقدرون على الإجابة فضلا عن سمعهم أكثر من سمع الأحياء . وهذا دليل على إثبات الحياة للميت ولكن ليست من نوع المألوف في الدنيا الذي هو عالم الحس .

4- دعوى إنكار ابن حزم لنعيم أو عذاب القبر على أساس إنعدام نص صحيح من سنة الرسول صلى ا لله عليه وسلم مردود بما يأتي :

1- إن أحاديث إثبات سؤال الملكين للميت في القبر مبثوثة في الصحيحين وغيرهما، فكيف غابت عن عالم مثل ابن حزم ؟

2- إن حديث المنهال بن عمرو على الرغم من الاتفاق على ضعفه، إلا أنه يترقى إلى الحديث الحسن لغيره على أساس أنه تقوى بطرق أخرى وخاصة طريقة الصحيحين .

وقد جاء تعريف الحديث الحسن لغيره بأنه :

الحديث الضعيف الذي تعددت طرقه، ولم يكن سبب الضعف فسق الراوي أو كذبه،[1] مع أن المنهال بن عمرو لم يكن فاسقا أو كاذبا كما مر سابقا .

5- أخيرا إن حقيقة عذاب أو نعيم القبر، وعودة الحياة إليه مما يجب التصديق به،[2] فلا ينبغي أن نقيسه بأحوال الدنيا،[3] فشتان ما بين عالم الحس والغيب. فضلا أن هذا من خصوصيات القدرة الإلهية.

---

[1] أنظر تيسير مصطلح الحديث د/ محمود الطحان ص: 50.

[2] - [3] : التذكرة للقرطبي ص 124 - 126.

المبحث الخامس

*****

تحديد مصطلح البعث

ويشتمل على المطالب التالية :

المطلب الأول : البعث في اللغة والاصطلاح .

المطلب الثاني : معاني البعث وأسماؤه في القرآن الكريم.

المطلب الثالث : البعث في السنة النبوية الشريفة .

المطلب الرابع : مكانة البعث في العقيدة الإسلامية .

المطلب الخامس : حكمة البعث .

المطلب الأول

البعث في اللغة والاصطلاح

1. البعث في اللغة :

لكلمة البعث معان متعددة، نقتطف منها ما يأتي :

- البعث في كلام العرب على أوجه هي :

بمعنى : الارسال : كقوله تعالى : ﴿ ثم بعثنا من بعد موسى ﴾[1]

معناه : أرسلناه .

بمعنى : إثارة بارك أو قاعد، تقول بعثت البعير، فانبعثت، إذا أثرته فثار .

والبعث أيضا : الإحياء من ا لله تعالى للموتى، كقوله تعالى :

﴿ ثم بعثناكم من بعد موتكم ﴾[2] أي أحييناكم[3]

الباعث : إسم من أسماء ا لله تعالى.

البعث : النشر، يوم البعث : يوم القيامة.[4]

فيصبح المعنى على الإجمال : بأن البعث هو إرسال الموتى بعد إحيائهم إلى ساحة يوم القيامة إستعدادا للحساب والجزاء .

---

(1) سورة يونس، آية : 75 .

(2) سورة البقرة، آية : 56.

(3) أنظر لسان العرب لابن منظور 230/1.

(4) أنظر مفردات الراغب، ص : ، مختار الصحاح، ص: 57.، المعجم الوسيط 62/1.

52

2. البعث في الإصطلاح :

ولئن لم أتمكن من الاطلاع على التعريف الشرعي الجامع لكلمة البعث من خلال المصادر المتوفرة عندي، إلا أنني أحاول صياغة التعريف وفق ما أستوحيه من بعض آيات القرآن التي تحمل نفس المعنى، منها :

- قوله تعالى :

﴿ وأقسموا با لله جهد أيمانهم لا يبعث ا لله من يموت ﴾[1]

[أي أقسموا بأغلظ الأيمان بأن ا لله لا يحي الموتى يوم القيامة][2]

- وقوله سبحانه :

﴿ ويقول الإنسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا ﴾[3]

أي استبعد هذا الكافر المتسائل، إعادته حيا بعد موته.[4]

- وقول جل شأنه :

﴿ قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ﴾[5]

أي قالوا على جهة التحسر : من أخرجنا من القبور التي نرقد فيها ؟

فدلالة هذه الآيات تحمل صيغ : البعث، الإخراج، الاحياء .

وكلها تعني الحياة بعد الموت، ولا تكاد تخرج عن المعنى اللغوي تقريبا .

- وقوله تبارك إسمه :

﴿ قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم ﴾[6]

أما هذه الآية فتفيد المعنى اللغوي بعبارة التأكيد، فضلا عن كشف السر الذي تحمله عقيدة البعث،

---

(1) سورة النحل، آية :38 .

(2) أنظر الكشاف للزمخشري، 517/2

(3) سورة مريم، آية : 33.

(4) أنظر تفسير ابن كثير، 131/3.

(5) سورة يس، آية : 52.

(6) سورة التغابن، آية : 7 .

ألا وهو الإخبار بما عملته يد الإنسان في الحياة الدنيا، مما يعني أن غاية البعث الحساب والجزاء .
مصداقا لقوله تعالى :

﴿ إن إلينا إيابهم، ثم إن علينا حسابهم ﴾[1]

أي إلينا وحدنا رجوعهم بعد الموت، وعلينا وحدنا الحساب والجزاء[2]

ومن خلال هذا العرض السريع لتلك الآيات الكريمة يمكن صياغة التعريف الشرعي للبعث وهو :
إعادة الحياة إلى أجساد الموتى يوم القيامة وحشرهم للفصل والقضاء .

فقولنا :

- (إعادة الحياة إلى أجساد الموتى) رد على دعاة البعث الروحي من الفلاسفة .
- (يوم القيامة) رد على دعاة التناسخ الذين ينكرون البعث .
- (حشرهم للفصل والقضاء) توضيح لغاية البعث التي لم تنحصر عند حد عودة الأرواح إلى الأجساد، بل الأمر أخطر، وأعظم مما ينتظر الناس من الشدة، والضيق، فضلا عن كشف كل صغيرة وكبيرة أسرها الإنسان في الحياة الدنيا .

---

(1) سورة الغاشية آيتا : 25،26.

(2) أنظر فتح القدير للشوكاني 341/5.

المطلب الثاني

معاني البعث وأسماؤه في القرآن الكريم

أولا : معاني البعث في القرآن الكريم :

يجد المتصفح لكتاب ا لله سبحانه أن كلمة البعث جاءت على صيغ متنوعة، فضلا عن المعنى الشرعي الذي سبقت الإشارة إليه . وإليك جملة منها :

1 - **البعث بمعنى الإلهام**، كقوله تعالى :

﴿ فبعث ا لله غرابا يبحث في الأرض ﴾.[1]

2 - **البعث بمعنى الإحياء في الدنيا**، كقوله جل شأنه :

﴿ ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون ﴾،[2]

أي أحييناكم بعد أن مكثتم ميتين يوما وليلة.[3]

3 - **البعث بمعنى اليقظة من النوم**، كقوله سبحانه :

﴿ ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ﴾[4]

أي يوقظكم في النهار لتبلغوا الأجل المسمى لانقطاع حياتكم، والدليل على ذلك سياق الآية فيما قبلها :

﴿ وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ﴾،[5]

وليس ذلك بالموت الحقيقي، بل هو قبض للأرواح.[6]

---

[1] سورة المائدة، آية : 31.

[2] سورة البقرة، آية : 56.

[3] صفوة التفاسير : 60/1 .

[4] سورة الأنعام، آية : 60 .

[5] سورة الأنعام، آية : 60.

[6] أنظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي :8/ 60

وكقوله تعالى أيضا :

﴿ فأماته الله مائة عام ثم بعثه ﴾[1]

4 ـ **البعث بمعنى التسليط**، كقوله تبارك إسمه :

﴿ بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد ﴾[2]

5 ـ **البعث بمعنى الإرسال**، كقوله عزوجل :

﴿ وهو الذي بعث في الأميين رسولا ﴾[3]

6 ـ **البعث بمعنى التعيين**، كقوله جل إسمه :

﴿ فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ﴾[4]

7 ـ **البعث بمعنى الإخراج من القبور**، كقوله جل جلاله :

﴿ وأن الله يبعث من في القبور ﴾ [5]

8 ـ **البعث بمعنى الآخرة**، كقوله تعالى :

﴿ وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث، فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون ﴾[6]

ويتأكد الأمر أنه أراد بالبعث ـ الآخرة ـ ما بعد الآية التي تعني أنه لا ينفع يومئذ الاعتذار، قال تعالى :

﴿ فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون ﴾[7] [8]

---

[1] سورة البقرة آية : 259.

[2] سورة الاسراء، آية :5 .

[3] سورة الجمعة، آية : 2.

[4] سورة النساء، آية : 35 .

[5] سورة الحج، آية : 7 .

[6] سورة الروم، آية : 56.

[7] سورة الروم، آية :57 .

[8] أنظر قاموس القرآن، أو إصلاح الوجوه والنظائر للدامغاني، ص : 73 وما بعدها .

ثانيا : أسماء البعث في القرآن الكريم

وردت أسماء كثيرة في الكتاب العزيز تخص عقيدة البعث باعتبارها مدخلا لعالم الآخرة الذي يجمع الناس كافة للحساب والجزاء، وذلك أنه ما من شيء عظيم تعددت أسماؤه، وتنوعت صفاته، ألا ترى أن السيف له من الأسماء ما يصل إلى خمسمئة إسم، وكذلك القيامة، لما عظم أمرها، وكثرت أهوالها، سماها الله في كتابه بأسماء كثيرة، ووصفها بأوصاف متنوعة.[1]

وفيما يأتي طائفة من تلك الأسماء :

1 - يوم البعث :

سمي بذلك لعودة الروح إلى البدن، وخروج الإنسان حيا من القبر، قال تعالى :

﴿ لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث ﴾ [2]

2 - يوم القيامة :

سمي بذلك لقيام الناس لرب العالمين،[3] ويستأنس ذلك بقوله تعالى :

﴿ ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾[4]

---

[1] أنظر في ذلك التذكرة للعلامة القرطبي، ص : 216 وما بعدها بتصرف.

[2] سورة الروم، آية : 56 .

[3] وردت في ذلك أوجه، اخترنا هذا الوجه لأنه تقوى بالحديث الصحيح الذي رواه الامام مسلم عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : (يوم يقوم الناس لرب العالمين)، قال : يوم يقوم أحدكم في رشحه - عرقه - إلى نصف أذنيه ... التذكرة للقرطبي ص: 214.

[4] سورة المطففين آيات : 4-6 .

فالآية كما هي صريحة تشير إلى أن وراء البعث الاستعداد والقيام لملاقات الله تعالى حتى يحاسب الناس، ويجازيهم عن أعمالهم .

3 - يوم الفصل :

سمي بذلك لأن الله يفصل فيه بين عباده فيما كانوا يختلفون، مصداقا لقوله تعالى:

﴿ إن يوم الفصل كان ميقاتا ﴾[1]

﴿ هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون ﴾.[2]

4 - يوم الدين :

سمي بذلك للدلالة على الجزاء والحساب، قال الشاعر :

حصادك يوما ما زرعت وإنما * يدان الفتى يوما كما هو دائن [3]

وجاء في ذلك قوله تعالى :

﴿ وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين ﴾ [4]

﴿ مالك يوم الدين ﴾.[5]

5 - يوم الحسرة :

سمي بذلك لشدة تحسر الناس وندامتهم على التقصير والتفريط في الدنيا، وجاء في ذلك قوله تعالى: ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون ﴾.[6]

---

[1] سورة النبأ، آية : 17 .

[2] سورة الصافات، آية : 21.

[3] أورده الدكتور عمر الأشقر في كتاب : اليوم الآخر - القيامة الكبرى، ص :22.

[4] سورة الانفطار، آيتا : 17 - 18.

[5] سورة الفاتحة، آية : 4 .

[6] سورة مريم، آية : 39 .

6 - يوم التلاق :

وسمي بهذا الإسم : إما لملاقات آدم بآخر أولاده، أو يلتقي فيه العباد جميعا، أو يلتقي فيه الخالق بالمخلوق، أو الظالم بالمظلوم، وقد يقال أن اللقاء هذا يشمل كل ما يلقاه الإنسان من خير وشر[1] وسند هذا كله، قوله سبحانه :

﴿ رفيع الدرجات، ذو العرش، يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده، لينذر يوم التلاق ﴾ [2]

7 - يوم التناد :

سمي بذلك لكثرة ما يقع من مناداة، فكل إنسان ينادي باسمه للجزاء، وأصحاب الجنة ينادون أصحاب النار؛ وأصحاب النار ينادون أصحاب الجنة، وأهل الأعراف ينادون هؤلاء وهؤلاء [3] إلى غير ذلك من الأسماء التي سمي بهذا اليوم العظيم، وقد صدق العلامة القرطبي[4] حين قال:

﴿ ولا يمتنع أن تسمى بأسماء غير ما ذكر بحسب الأحوال الكائنة فيه من الازدحام والتضايق، واختلاف الأقدام، والخزي، والهوان، والذل ... وهكذا ﴾ [5]

---

[1] أنظر تفسير ابن كثير، 74/4 .

[2] سورة المؤمنون ـ غافر ـ آية :15.

[3] أنظر : اليوم الآخر ـ القيامة الكبرى ـ للأشقر ص : 28 .

[4] القرطبي ... 671 هـ ... 1273 م، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي أبو عبد الله القرطبي من كبار المفسرين، محدث، صالح، متعبد، قال عنه الذهبي : إمام متفنن، متبحر في العلم، ومن أجل مصنفاته : جامع أحكام القرآن في التفسير، التذكرة في أحوال الموتى والآخرة، وغيرها ، انظر ترجمته في الوافي : 122/2، نفح الطيب 210/2، الديباج 308/2، وغيرها .

[5] أنظر : التذكرة، ص : 233 .

كما يلاحظ فيها التسمية باليوم أخذا من الظرف الزماني الذي يرافق هذه الحياة الثانية.

كما جاءت أسماء أخرى بعبارة الدار أخذا من الظرف المكاني الذي تستلزمه الحياة المادية في الآخرة، كدار القرار، دار الخلد، وغيرها.

كما وردت أسماء فيها معان التحقق، الوقوع، مثل : الحاقة، الواقعة. إلى غير ذلك من الأسماء التي تصور ما يجري في هذا اليوم العظيم من خلال دلالة الألفاظ القرآنية، إضافة إلى الصور والتعابير التي ضمنها القرآن الكريم، وأبرز عظمتها وجلالها، لما فيها من نعيم مقيم، وعذاب أليم.[1]

---

[1] أنظر في ذلك :

- مشاهد القيامة في القرآن، سيد قطب، ص : 57 وما بعدها.
- العقيدة الاسلامية وأسسها لعبد الرحمن حبنكة الميداني، ص : 628، بتصرف.
- اليوم الآخر - القيامة الكبرى، د/ الأشقر ، ص :20 وما بعدها بتصرف.

المطلب الثالث

البعث في السنة النبوية

لم تغفل السنة النبوية الشريفة الحديث عن البعث، باعتباره مدخلا ليوم الحساب والجزاء .

ونلمس ذلك على سبيل المثال في بعض الأحاديث التي تحدثت عن كيفية تركيب الخلق يوم القيامة.

جاء في الحديث النبوي، قوله صلى ا لله عليه وسلم :

(وليس شيء من الإنسان إلا يبلى، إلا عظم واحد، وهو عجب الذنب،[1] ومنه يركب الخلق يوم القيامة)[2]

وفي رواية أخرى :

[إن في الانسان عظما لا تأكله الأرض أبدا، فيه يركب يوم القيامة، قالوا : أي عظم هو يا رسول ا لله ؟ قال : عجب الذنب][3]

وفي رواية :

[كل ابن آدم تأكله الأرض إلا عجب الذنب، منه خلق، وفيه يركب][4]

فمجموع هذه الروايات تفيد تركيب خلق ابن آدم من هذا العظم المسمى : عجب الذنب الذي أشار إليه الرسول صلى ا لله عليه وسلم .

---

[1] عَجْبُ الذنب : هو العظم الأسفل بين الأليتين الهابط من الصلب يقال لطرفه : العصعص، ويقال : عجب الذنب. اهـ

أنظر الاستذكار لابن عبد البر، تحقيق د/ عبد المعطي أمين قلعجي 355/8 .

وكذا : جامع الأصول في أحاديث الرسول : 422/10.

[2] صحيح البخاري في تفسير سورة الزمر، باب قوله تعالى : ﴿ ونفخ في الصور فصعق ...﴾

صحيح مسلم ، في الفتن، باب ما بين النفختين .

[3] صحيح مسلم الموضع نفسه .

[4] موطأ الامام مالك : في الجنائز، باب جامع الجنائز .

المطلب الرابع

مكانة البعث في العقيدة الإسلامية

1 - احتلت عقيدة الإيمان بالبعث الأخروي الصدارة في الكتاب والسنة وهذا بعد الإيمان با لله عزوجل بطبيعة الحال، باعتباره أساس العقائد كلها، منه بدايتها وإليه نهايتها .

كما أن الإيمان بها يعني التصديق، والجزم، واليقين، بكل الأخبار السمعية التي وردت في شأنها، سواء تعلق الأمر بالبعث بالذات، أو مما يليه من الحقائق الشرعية مثل : الحشر، الحساب، الجزاء .

ومن هنا أصبحت هذه العقيدة من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة، ووقع الإجماع عليها من طرف كافة علماء الإسلام .

قال سبحانه :

﴿ ومن يكفر با لله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا ﴾ [1]

﴿ والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم ﴾ [2]

﴿ بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد ﴾ [3]

أما في السنة النبوية، فقد جعل الايمان بعقيدة البعث من أركان الايمان، جاء ذلك في قوله عليه السلام عندما سئل عن الايمان ؟

فقال :

(أن تؤمن با لله وملائكته وكتبه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث الآخر).[4]

ومن هنا أضحى كل من ينكر هذا المعتقد كافرا بالإجماع. [5]

كما أن الايمان بهذا المعتقد في حقيقة الأمر يعكس الايمان با لله عزوجل،

---

[1] سورة النساء، آية : 136 .

[2] سورة الأعراف، آية : 147 .

[3] سورة الروم، آية :16 .

[4] صحيح البخاري في الايمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم.

صحيح مسلم في باب الاسلام والايمان والاحسان

سنن أبي داود، في السنة، باب في القدر .

سنن النسائي، في الايمان، باب صفة الايمان والاسلام.

[5] أنظر : الشفا، للقاضي عياض : 291/2، و كذا : مراتب الاجماع لابن حزم ص: 175 - 176 .

لأنه هو الذي خلق هذه العوالم بشقيها : المحسوس، والغيبي، فجعل عالم الدنيا للتكليف والاختبار، وعالم الآخرة للجزاء و الحساب.

ولا عجب إذن، من أن تحتل هذه العقيدة هذه المكانة حين يربطها المولى تبارك إسمه في كثير من آيات الكتاب العزيز بالإيمان به مباشرة، حتى نؤمن بوعده ووعيده، فنمتثل للأول بالطاعة، وننكف بالثاني عن المعصية .

ومن تلك النصوص التي ربطت الايمان با لله مع الآخرة، قوله سبحانه :ـ ﴿ من آمن با لله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [1]

ـ ﴿ إنما يعمر مساجد ا لله من آمن با لله واليوم الآخر ﴾[2]

ـ ﴿ ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن با لله واليوم الآخر ﴾[3]

وفي مجال الترغيب والترهيب بواسطة هذا المعتقد، نجد قوله سبحانه :

ـ ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى ﴾[4]

فهذه في مجال الترغيب ، وقبلها آيات في الترهيب، وهي :

﴿ فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى﴾ [5]

وقد سبقنا في ذكر الترغيب تيمنا واستبشارا به، وذلك أن تلك الآيات ذكرت الترهيب أولا ثم الترغيب ثانيا.

وخلاصة الأمر أن هذه العقيدة تهدف أساسا إلى تحصين المسلم بالذات من شر وباء الإلحاد الذي تنوعت أساليبه، وتزينت بمختلف أشكال الإغراء والاثارة، حتى يقف كالطود الشموخ، فلا تثنيه عن أداء رسالته سموم صيف، أو زمهيرة شتاء . إضافة إلى تعلقها بذلك الجزاء الرباني السخي، ليزهد في الدنيا ويرغب في الآخرة، قال تعالى :

﴿ تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا ﴾.[6]

---

[1] سورة البقرة، آية : 62 .

[2] سورة التوبة، آية :18.

[3] سورة البقرة، آية : 232 .

[4] ـ [5] سورة النازعات، آيات 37 ـ 41.

[6] سورة مريم، آية : 63.

2 ـ وإذا كان هذا الركن يشترك مع بقية أركان العقيدة في الأساس والمنطلق، فإن عقيدة الإيمان بالبعث لا تنحصر عند التصديق بالبعث كحادث زمني معين، يعني أن يصدق المرء بالبعث الجسدي بعد قيام الساعة فقط، بل الأمر يتعدى إلى الجزم بالحقائق الشرعية الأخرى التي تلي البعث مثل الحساب والفصل، والجزاء .

وإذا كان الجزاء ينصب على النظر فيما قدمته يد الإنسان من عمل في الحياة الدنيا، فإن هذه العقيدة ربطت بين الإيمان جملة كأساس، وبين العمل كنتيجة وغاية، ومن هنا نلاحظ حجم الترابط بين العقيدة والشريعة، وهو ما يتضح فيما يأتي :

مصطلح العقيدة والشريعة في القرآن :

عبّر القرآن الكريم عن العقيدة على جهة الإجمال بالايمان، وعن الشريعة بالعمل الصالح، وجاء في كثير من آي القرآن ما يؤكد ذلك، منها :

1ـ ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا ﴾.[1]

2ـ ﴿ من عمل صالحا من ذكر و أنثى فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾.[2]

ففي هاتين الآيتين علقتا الوعد بالجنة لأولئك الذين نهجوا منهج الصالحين في سلوكهم وأعمالهم.

وفي آية أخرى جمعت بين الوعد والوعيد في آن واحد، وهي قوله تعالى :

3ـ ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها، تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ﴾ [3]

وفي أخرى وعدت أهل الاستجابة والولاء بالجنة، وأهل الكفر والتمرد بالنار.

4ـ ﴿ للذين استجابوا لربهم الحسنى، والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه، لافتدوا به أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد ﴾ [4]

[1] سورة الكهف آيتا : 107 ـ 108 .

[2] سورة النحل، آية : 97.

[3] سورة الرعد، آية : 35.

[4] سورة الرعد، آية : 18 .

د- إن من أخذ بالعقيدة وأخل بالشريعة - العمل - أو أخذ بالشريعة وألغى العقيدة لا يكون مسلما عند الله ولا يسلك في حكم الإسلام سبيل النجاة أو الرشاد.[1]

[1] أنظر الاسلام عقيدة وشريعة لـ : شلتوت ص : 22 - 24 بتصرف.

المطلب الخامس
حكمة البعث

يقضي الإنسان حياته الممنوحة له، إلى أن يحين موعد رحيله من هذه الدنيا، فلا تمنعه قوة ولا ترده حيلة، وتعجز الإنسانية جمعاء أمام هذا القدر الإلهي المحتوم :

﴿ قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾[1]

فهل تنتهي قصة الإنسان بالقبر ؟ وهل هناك من ضرورات تستدعي أن يكون للإنسان غد؟ ولأعماله جزاء ؟

ذلك ما نحاول الإجابة عنه من خلال الفقرات التالية :[2]

1- الجانب النفسي :

إن لكل إنسان أماني كثيرة، قد لا يحققها في حياته، وأنه دائما تواق لحياة أبدية، ولكن الحياة هذه خضعت لقانون الموت.

والغريب أن الإنسان عندما يكون على أبواب حياة ناجحة بعدما كسب من العلم أو المعرفة، وارتقى في درجات الثراء أو الرخاء فإنه فجأة تداهمه دعوة الموت ... ولقد أكدت إحصائية، عن أثرياء مدينة لندن على سبيل المثال، أن حالهم المادي يستقر فيما بين : 45-65 سنة من أعمارهم، ثم يبدأون يربحون ما بين : خمسة آلاف إلى عشرة آلاف جنيه في السنة، وفي هذا الوقت الثمين تتوقف فجأة حركات قلوبهم، ويرحلون إلى عالم مابعد الموت .

ولا يوجد على ظهر الأرض من يفكر في الغد مثل الإنسان، وسواء كان أمر الغد يعني ما بعد اليوم، أو المستقبل على جهة الإجمال، فإن طبيعة التطلع إلى ذلك تكاد تنفرد به طبيعة الإنسان خاصة.

ولعله من هذه الناحية، جاء النداء القرآني الكريم يكشف عن هذا التعلق بالمستقبل، إضافة

---

[1] سورة الجمعة، آية : 8 .

[2] اقتبست هذه المظاهر من الاسلام يتحدى لوحيد الدين خان ص : 91 - 100 .

إلى دعوته لتوظيف ذلك في الأعمال الصالحة والآثار الخالدة حتى تحمد عاقبة الإنسان، قال سبحانه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ﴾ [1]

والغد في هذه الآية حسب سياقها يفيد معنى القيامة،[2] كما صرحت بذلك آية أخرى في حق قوم نبينا صالح عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام : ﴿ سيعلمون غدا من الكذاب الأشر ﴾[3]

وكلمة (الغد) هنا وإن كانت تعني الآخرة باعتبار نهاية المطاف إلا أنها وردت مورد الإبهام إيماء إلى أنه مما لايكاد يخفى.[4]

كما تفصح في الوقت ذاته على مدى تأصل فكرة التطلع إلى المستقبل في النفس البشرية حتى تستشرف مكنونه، وتتعرف على النتائج التي سجلتها في الحياة الدنيا .

2 - الجانب الأخلاقي والسلوكي :

أ- إن طبيعة الإنسان التي تحب العدل، وتكره الشر، وتميز بين الخير والشر، ولكن هذا الإنسان كثيرا ما يحيد عن هذه الفطرة، حين يظلم أحدا من الناس، بالاعتداء عليه، أو على ماله، أو على عرضه، بل على نفسه التي بين جوانحه، والتي هي أغلى شيء عنده، وهذا ما يلاحظ في عالمنا المعاصر من صور مرعبة من الاغتيالات، والاعتقالات، وصور شتى لمظاهر الاختطاف، والسطو، وهكذا ... فهل معنى ذلك أن عالم الدنيا هذا وجد ليكون مسرحا للمآسي ؟ ثم لا ينال الظالم والمظلوم جزاؤهما ؟[5]

---

[1] سورة الحشر، آية : 18 .

[2] أنظر : تفسير ابن كثير 342/4، والكشاف للزمخشري 86/4 .

[3] سورة القمر، آية :26 .

[4] أنظر الكشاف 39/4 .

[5] ومن باب العبرة، والانتباه، والدرس، أنقل ما ورد في أسبوعية (السفير) الجزائرية، عدد : 26 تاريخ 18 - 7 -1421 هـ الموافق لـ : 16 -10 -2000 م، ما صرح به الرئيس الأمريكي بيل كلينتون حول إلتزامه الخلقي إزاء دولة إسرائيل : لن يسامحني الله إذا تخليت عن إسرائيل ... لأن إرضاءها هو إرضاء، للرب.

ومن هذا المقطع يدرك المسلمون تعنت اسرائيل المستمر، ورفضها لسائر القرارات الدولية التي تدين الظلم.

ذلك أن الظلم حيث كان، وأنى كان، محل استهجان، واستنكار من جميع الديانات، بما في ذلك ديانة التوراة التي يتبجح بها اليهود أنفسهم. واسمع ياكلينتون إلى ما يقوله رب البشرية جمعاء الذي تزعم أنك ترضيه .

وأن دعوى اليهود على حق تستحق في نظرك الالتزام الخلقي نحوها قال تعالى : ﴿ ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين، قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين، ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين ﴾ البقرة آيات :92-95.

إن هذا الوضع من وجهة الأخلاق مرفوض، وناقص، مما يستدعي العلاج بالتشريع العادل الذي يثيب المحسن، ويعاقب العاصي، وهذا التشريع وإن كان مطلوبا في الدنيا، فإنه قد يتملص منه شخص لسبب أو لآخر، ومن ثمة جاءت عقيدة البعث كسد منيع، لتجمع البشرية في صعيد واحد، لترى جزاء من أذعن للتشريع في الدنيا، أو تمرد عنه.

وهذا ما تحرص عليه عقيدة البعث في الإسلام من خلال نصوصها، قال سبحانه :

﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات، سواء محياهم أو مماتهم ساء ما يحكمون ﴾[1]

وقال أيضا :

﴿ أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون ﴾[2]

ب - وما دام سلوك الإنسان متأرجحا بين الاستقامة والانحراف وذلك تبعا لما يحمله في قلبه من عقيدة، فما هي الوسيلة المثلى لإجباره على سلوك طريق الحق والصواب ؟

إن رهبة القانون الوضعي،[3] لم تعد تجدي نفعا في قمع مظاهر الانحراف والانحلال المنتشرة هنا وهناك، ولن يفلح في هذه الحالة سوى الباعث الديني الداخلي في الإنسان، إنه الايمان بالله سبحانه، والرغبة في ثوابه، والرهبة من عقابه. قال سبحانه :

﴿ فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى، وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى ﴾.[4]

---

[1] سورة الجاثية، آية : 21 .

[2] سورة القلم، آيتا : 35، 36.

[3] إن السر في عدم فعالية القوانين الوضعية يكمن في فشلها وعدم قدرتها على قمع الجرائم، لأنها تفتقر إلى العنصر الروحي الذي يضفي عليها طابع التقدير والاحترام .

أنظر في ذلك مثلا : الاسلام و أوضاعنا القانونية للمرحوم عبد القادر عودة ص : 37 - 38 .

- وقد جاءت إحصائية في أن الولايات المتحدة رصدت 60 مليون دولار، وسطرت عشرات الملايير من المطبوعات، وأعدمت 300 شخص، وسجنت أكثر من 500ألف شخص، وبلغت الغرامات 16 مليون دولار، وغيرها من وسائل الردع، من أجل أن تمنع تعاطي الخمر ، إلا أنها فشلت في الأخير، مما جعلها تضطر إلى إلغاء ذلك القانون .

أنظر في ذلك مثلا : الايمان والحياة لـ : د/ القرضاوي، ص : 225 .

[4] سورة النازعات، آيات : 37 - 41.

فهذه الآية لعمري هي الميزان الدقيق لمعرفة الإنسان نفسه، هل هو من السالكين درب الصالحين، أم نهج المنحرفين الطالحين[1]

وإن حاجة الانسان، فردا كان أم جماعة، لنصب هذا الميزان أمام عينه، لدافع أساسي إلى الاعتقاد بالآخرة، لتنظيم حياته، وإقامتها على أسس عادلة، وذلك لما لها من دور في تقويم السلوك، وتهذيب الأخلاق، وإذا كان من بعض الفلاسفة[2] من أنكر الألوهية بالعقل النظري، إلا أنه أكد أهميتها كقاعدة خلفية لإقامة المبادئ الأخلاقية بالعقل العملي،[3] لأن الوازع الديني الذي يستمد الرقابة الذاتية من الايمان با لله تعالى، له أبلغ الأثر في تهذيب الأخلاق، وتقويم السلوك. لأن الايمان بالبعث لا يتوقف عند حد البعث فحسب، بل يعني الاستعداد لمرحلة أخرى تالية تعني المحاسبة والمجازاة عن الأعمال في الدنيا .

كما أن اعتقاد الناس بذلك من شأنه أن يلطف من وعيد الموت[4] وكابوسه، ومن ثمة ينطلقون بطاقة وافرة من البسالة والتجلد في مواجهة صعاب الحياة، ومشاكل الدنيا، فيسعون مقبلين غير مدبرين إلى استئصال الشر والفساد، وزرع الخير والصلاح، غير متأثرين بسموم صيف أو زمهريرة شتاء .

وأخيرا وليس آخرا فإن غاية الاعتقاد بيوم البعث تدعونا إلى تسجيل هذه الحقائق ابتغاء العبرة والدرس، وهاهي كالتالي :

1- إن التمعن في دراسة الكون والحياة والانسان يؤدي ويقود إلى الإيمان بالخالق العظيم، العدل الحكيم .

2- إن معرفة الحكمة من الخلق التي يستدعيها التأمل في الكون، وقوانينه الصارمة، وسننه الثابتة لا تترك مجالا لتصور اللعب، واللهو، والعبث، في أي حدث من أحداثه، بل كل فيه جد، لاهزل يصاحبه، ولا عبث يخالطه.

3- إن ملاحظة العلاقة الأخلاقية والتكوينية بين الخالق الحكيم والانسان المدرك، الواعي المميز، تهدي إلى أن الانسان خلق في هذه الحياة الدنيا للإمتحان، والامتحان يستلزم الجزاء .

---

[1] أنظر : صفوة التفاسير للصابوني، 516/3 الهامش .

[2] إشارة إلى فيلسوف ألمانيا كانط .

[3] أنظر : الروح في دراسات المتكلمين والفلاسفة، د/ محمد سيد الميسر ص : 166

[4] أنظر إنسانية الانسان لـ : رالف براتون بري، ترجمة : سلمى الخضراء الجيوسي، ص : 225.

4ـ كما إن دراسة الظواهر الجزئية في نطاق هـذا الكـون المـدروس، المشاهد تـدل علـى أن كمـال مقتضيات العدل، وكمال مقتضيات الحكمة، لم يتحققا فيه .

وحين نلاحظ هذا، نلاحظ أيضا أن صفات الخـالق العظيمـة الـتي منهـا : العـدل والحكمـة والعلم والقدرة، فإننا نرى قوانينه الصارمة، وسننه الثابتة في الكون، فإننانهتدي فكريا إلى أن حيـاة أخرى غير هذه الحياة قد رتبت في برنامج الوجود الكبير لإقامة العدل وكمال الحكمة، وفيهـا يتـم تحقيق الجزاء الأمثل الذي وعد ا الله به عباده .

وبهذه الحقائق نهتدي إلى معرفة الحكمة الالهية من إعـداد حيـاة أخـرى فيهـا مـن أصنـاف النعيم للمؤمنين العاملين، وأنواع العذاب والآلام للكافرين والجـاحدين. مصداقـا لقولـه سـبحانه : ﴿ إن سعيكم لشتى، فأما من أعطى واتقى، وصدّق بالحسنى، فسنيسره لليسـرى، وأمـا مـن بخـل واستغنى، وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى وما يغني عنه ماله إذا تردى ﴾[1] [2]

كما أن الاعتقاد بيوم الجزاء يساهم في تقوية الايمان من خلال الأعمال التالية :

أـ تدبر القرآن باعتباره مدرسة التقويم الروحي والتثبيت الخلقي.

ب ـ إستشعار عظمة ا الله بالاعتقاد بأنه مطلع على الأعمال، ومحاسب عليها.

ج ـ طلب العلوم الشرعية ومعرفة أحكامها مما يعني ضمان المسلك والطريق.

دـ تنويع العبادات التطوعية فضلا عن الاجبارية أمر مـن شـأنه في أن يسـاهم في توثيـق الصلـة بـين العبد وربه من جهة، وبين الناس من جهة أخرى.

هـ ـ الخوف من سوء الخاتمة، وذلك بالاحتياط، والمراقبة الذاتية، ومخالطة الصالحين من أهل التقوى والفلاح.

وـ الإكثار من ذكر الموت باعتباره بوابة الآخرة، مما يدعو إلى التوبة النصوحة .

زـ تذكر موقف الآخرة، لأن ذلك يولد النور في القلب، فيبصر به الوعد والوعيـد، والجنـة والنـار، ويعلم من خلال ذلك ما أعد لأهل طاعته، وما توعد به أهل معصيته .

ح ـ قصر الأمل، وذلك بالاعتقاد بالرحيل عن الدنيا يوما ما .

ط ـ تعظيم حرمات الشرع التي تعني التزام الحدود والأوامـر، بمعنـى امتثـال الأوامـر، والكـف عـن النواهي .

---

[1] اقتبست تلك الحقائق من كتاب : العقيدة الاسلامية للميداني، ص : 622 وما بعدها بتصرف.

[2] سورة الغاشية آيات: 4ـ11.

ي ـ الولاء والبراء، وذلك بموالاة المؤمنين، وحبهم، ونصرتهم، والتفاني في إسعادهم.

ومعاداة الكافرين باعتبارهم خطر على الفكرة الاسلامية التي أملتها العقيدة على المسلم، وأوصته بالاستمساك بها، وعدم التنازل عنها. لأن الفكرة الإسلامية في الصميم تدعو المسلمين لأن يعيشوا الإسلام منطلقا، غير مجزء، غاية منشودة، فمتى اختل واحد من هذه الثلاثة؟ حدث التعثر، ووقعت المأساة. وهو ما يلاحظ اليوم في دنيا المسلمين.[1]-[2]

---

[1] انظر : ظاهرة ضعف الايمان : الأعراض ـ الأسباب ـ العلاج لـ : محمد صالح المنجد ص : 35 وما بعدها بتصرف .

[2] تلك الشروط الثلاثة من استنباط الدكتور علي جريشة

في كتابه : المشروعية الاسلامية العليا . و أجهل الصفحة والطبعة لفقداني إياه .

الفصل الثاني

*****

البعث من منظور الفكر البشري

ويشتمل على المباحث التالية :

المبحث الأول : البعث عند الفلاسفة الالهيين : أفلاطون.

المبحث الثاني : البعث عند فلاسفة الإسلام : دعاة البعث الروحي.

المبحث الثالث : البعث عند فلاسفة الإسلام : دعاة البعث الروحي والجسدي.

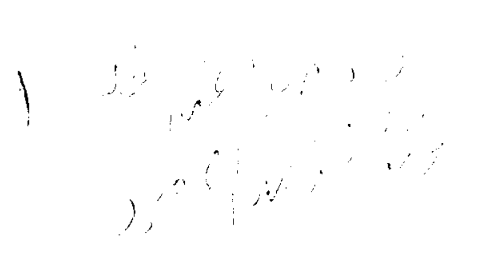
المبحث الرابع : البعث عند المتكلمين.

المبحث الخامس : البعث عند التناسخية .

المبحث السادس : دعوى البعث في الدنيا .

المبحث السابع : دعوى تحديد زمن الساعة ـ قرب البعث ـ .

المبحث الثامن : البعث في الفكر المادي .



المبحث الأول

البعث عند الفلاسفة الالهيين

من الفلاسفة الالهيين الذين اعتبروا أول مؤلف منهجي وضع الألوهية كنظرية فلسفية في بلاد الإغريق[1] :

الفيلسوف اليوناني الشهير : أفلاطون،[2]

بل تاريخ البرهنة الفلسفية على وجود الاله قد بدأ بعصر أفلاطون.[3]

وعلى هذا الأساس اخترت - أفلاطون — كنموذج للوقوف على رأيه في مسألة البعث، وتشخيصه للنفس الإنسانية.

رأي أفلاطون في البعث :

يلخص الشهرستاني رأي أفلاطون في البعث فيقول :

والعالم عنده عالمان :

" عالم العقل، وفيه المثل العقلية، والصور الروحانية، وعالم الحس، وفيه الأشخاص الحسية والصور الجسمانية كالمرآة المجلوة التي تنطبع فيها صور المحسوسات، فإن الصور فيها مثل الأشخاص،

---

[1] أنظر : مشكلة الألوهية للدكتور محمد غلاب، ص : 33 .

[2] أفلاطون (427 -337) ق.م، من مشاهير فلاسفة اليونان، تلميذ سقراط ومعلم أرسطوطاليس، من آثاره : الجمهورية، السياسي، المحاورات ... أنظر ترجمته في : موسوعة أعلام الفلسفة 97/1.

[3] أنظر : الروح في دراسات المتكلمين والفلاسفة د/ الميسر، ص : 174 .

وكذلك العنصر في ذلك العالم مرآة لجميع صور العالم، يتمثل فيه جميع الصور كلها، غير أن الفرق المنطبع في المرآة الحسية صور خيالية ترى أنها موجودة تتحرك بحركة الشخص، وليس في الحقيقة كذلك، وأن المتمثل في المرآة العقلية صور حقيقية روحانية هي موجودة بالفعل، تحرك الأشخاص ولا تتحرك، فنسبة الأشخاص إليها كنسبة الصور في المرآة إلى الأشخاص، فلها الوجود الدائم، ولها الثبات القائم، وهي تتمايز في حقائقها تمايز الأشخاص في ذواتها .... ثم أضاف يقول : وإذا اتفقت العقلاء على أن هناك حسا ومحسوسا، وعقلا ومعقولا، وشاهدنا بالحس جميع المحسوسات، وهي محدودة ومحصورة بالزمان والمكان، فيجب أن نشاهد بالعقل جميع المعقولات، وهي غير محدودة ومحصورة بالزمان والمكان فتكون مثلا عقلية ".

ثم تحدث عن النفس، فقال :

إن النفوس كانت في عالم الذكر مغتبطة مبتهجة بعالمها، وما فيه من البهجة والسرور، فأهبطت إلى هذا العالم حتى تدرك الجزئيات ما ليس لها بذاتها بواسطة القوى الحسية، فسقطت رياشها قبل الهبوط، فهبطت حتى يستوي ريشها وتطير إلى عالمها بأجنحة مستفادة من هذا العالم ".[1]

ويمكن إجمال رأي أفلاطون فيما يأتي :

1- النفس الإنسانية لها وجود مستقل، ومتقدم على البدن في عالم المثل .

2- النفس الإنسانية قديمة قدم عالم المثل، الذي هو العالم الحقيقي، بحيث أن عالم الحس عبارة عن ظل لتلك الآثار، وهو حادث .

3- هبوط النفوس من عالم الذكر إلى العالم هذا من أجل أن تدرك الجزئيات بواسطة القوى الحسية، ثم تعود إلى عالم المثل.

---

[1] أنظر الملل والنحل للشهرستاني، 2/89 - 90 .

4ـ البعث هو عودة الروح إلى عالمها بعد مفارقة البدن الذي يتحلل ويفنى.[1]

وقد كان لهذه النظرية الأفلاطونية كبير الأثر عند بعض فلاسفة الإسلام الذين ذهبوا في اتجاه البعث الروحي دون الجسدي، وقد تجلى هذا خصوصا في الفيلسوف الشيخ الرئيس ابن سينا [2] الذي نتناول رأيه لاحقا، وقد اتهمه الشهرستاني[3] بالتعصب لأفلاطون ونصرة مذهبه [4] .

---

[1] وإن كان أفلاطون يذهب إلى القول بالبعث الروحي في هذا السياق فإنه توجد فقرة له في كتاب البدء والتاريخ لأبي زيد أحمد بن سهل البلخي 130/2 توحي بأن أفلاطون يقول بالبعث الروحي والجسدي. وإليك تلك الفقرة بنصها : (وحكى يحي النحوي عن أفلاطون أنه قال : النفس جوهر قائم بنفسه والنطق والحياة لها بذاتها، فإذا فارقت بدنها وكانت خيرة بقيت مغبوطة مسرورة، وإن كانت شريرة بقيت تائهة في الأرض متحيرة تحوم حول قبر صاحبها إلى النشأة الأخرى)، ثم علق البلخي قائلا : وهذا قول سديد ورأي صواب يشبه أن يكون من مشكاة النبوة والوحي لأنه مقارب لقول الربانيين، والله أعلم. ا.هـ

[2] سبقت ترجمته .

[3] الشهرستاني محمد بن عبد الكريم أبو الفتح ت 548هـ / 1153م متكلم، من فلاسفة الاسلام، ومؤرخي الأديان، اشتهر بكتابه : الملل والنحل استعرض فيه المذاهب الفلسفية والدينية، وكذا كتابه :

نهاية الاقدام في علم الكلام، فهو مؤلف نفيس في علم الكلام، يدل على باعه، وسعة أفقه في هذا الفن .

أنظر ترجمته في :

ـ تذكرة الحفاظ : 1113.

ـ شذرات الذهب : 149/4.

ـ طبقات الشافعية : 78/4.

[4] أنظر : الملل والنحل 135/2 .

وكذا :

الروح في دراسات المتكلمين والفلاسفة، ص :174 وما بعدها بتصرف .

المبحث الثاني

البعث عند فلاسفة الإسلام

دعاة البعث الروحي

أولا : ابن سينا[1] :

عاش الفيلسوف ابن سينا حياته كلها محبا للفلسفة، معجبا بما أخرجه الفكر الفلسفي اليوناني من ثمارها، مما أثر فيه، وفي تفسيره للوجود، وفي نظرته إلى الفلسفة بشكل عام .

ويمكن ملاحظة ذلك من خلال تفسيره لمفهوم الإنسان[2] كما مرَّ تعريف ذلك، فضلا عن تعصبه لمجاراة الفيلسوف اليوناني أفلاطون عندما اختار البعث الروحي، الأمر الذي عرضه لتهمة التعصب له من طرف العلامة الشهرستاني كما مر قريبا، وفيما يأتي بيان لذلك .

---

[1] سبقت ترجمته.

[2] لا بأس من عرض تلك المحاولة التي قام بها ابن سينا حينما سعى جاهدا لاثبات تلك الحقيقة المجردة المغايرة للجسم كل المغايرة، والمتميزة عنه، بحيث يشار إليها بكلمة - أنا - وتجلى ذلك في براهينه المشهورة التي تتخلص فيما يأتي :

أ - أن الجسم ليس محلا للحكمة.

ب - النفس تدرك الكليات بلا آلة .

جـ - الجسم ليس محلا للعلوم، وإلا زالت العلوم بالمرض .

د - ضعف أحوال البدن بمرور الزمن، بينما تزداد خبرات الانسان. وكل هذا تدعيم لرأيه بأن الانسان بروحه لا بمادته .

أنظر في ذلك :

الشفاء : النفس ص : 190 - 196 .

النجاة : ص : 280 - 297 .

وقبل الوقوف على حقيقة رأي الفيلسوف ابن سينا في البعث، لا بأس من الإشارة إلى أنه انطلق في البرهنة على البعث الروحي دون الجسدي من زاويتين هما :

الأولى : إغفاله مادية الإنسان، وتركيزه على الجانب الروحي فقط .

الثانية : تأويله للنص الديني بدون مبرراته[1] مما عرضه للنقد، والتكفير،[2] والخصومة من قبل المخالفين الذين يذهبون إلى القول بالبعث الروحي والجسدي تصديقا للوحي، واتباعا للنصوص التي بلغت حد الاستفاضة والاطناب وخاصة في موضوع الآخرة على جهة الاجمال .

[1] سدا لذريعة التأويل الفاسد، وضع العلماء الأصوليون الشروط لذلك وقبل عرض تلك الشروط، لابد من تعريف التأويل أولا :

التأويل :] هو إخراج اللفظ عن ظاهر معناه إلى معنى آخر يحتمله، وليس هو الظاهر فيه [أما شروطه فهي :

1 ـ أن يكون اللفظ محتملا ـ أي للتأويل ـ ولوعن بعد المعنى الذي يؤول إليه، فلا يكون غريبا عنه كل الغرابة.

2 ـ أن يكون ثمة موجب للتأويل بأن يكون الظاهر مخالفا لقاعدة مقررة معلومة من الدين بالضرورة .

3 ـ ألا يكون التأويل من غير سند . ا. هـ أنظر في ذلك :

ـ إرشاد الفحول من علم الأصول للشوكاني، ص 176 ـ 177 بتصرف .

ـ أصول الفقه لأبي زهرة، ص : 106 ـ 107 بتصرف . ـ أصول الفقه لخلاف، ص : 164 بتصرف .

[2] أنظر على سبيل المثال كفر من أنكر البعث الجسدي :

ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم 137/4.

ـ الشفا للقاضي عياض، ص:290/2.

الحجة في البعث الروحي وحده هي ما يأتي :

1- إن الحجة التي اعتمدها ابن سينا على أن البعث للروح وحدها عمد إلى تحديد ماهية الإنسان، فهاهو يقول :

" الإنسان إذا بدا له أن يتأمل في الشيء الذي لأجله يقال له :[هو] ويقول بنفسه : [أنا]، يخيل إليه أن ذلك بدنه وجسده ، ... ثم إذا فكر، علم أن يده، ورجله، وأضلاعه، وسائر أجزائه الظاهرة لو لم تكن له من بدنه لم يبطل ذلك المعنى الذي يشير إليه، ومنه عرف أن هذه الأجزاء من بدنه غير داخلة في هذا المعنى منه، حتى يبلغ إلى الأعضاء الرئيسية كالدماغ والقلب ... وما جرى مجراها، فكثير منها عند مفارقتها لا يبطل هذه الحقيقة منه دفعة واحدة، بل عسى بعد مدة قليلة أو كثيرة ... ويبقى القلب والدماغ، أما الدماغ فقد يحتمل أن يفارقه جزء منه ويكون ذلك المعنى، أي إحساس الفرد بذاتيته ثابتا منه ...

أما في التحقيق : فإن الإنسان، أو الشيء المعتبر من الإنسان الذي هو الواقع عليه معنى (أنا) منه، فهو ذاته الحقيقية، وهو الشيء الذي يعلم منه أنه هو ـ هو النفس ضرورة][1]

2- أما الحجة الثانية، ولعلها الأخطر، تأويله لنصوص البعث : الروحي والجسدي بدون مبرر شرعي، وهو ما يتجلى في قوله : (يجب أن نعلم أن المعاد ـ البعث ـ منه ما هو مقبول من الشرع، ولا سبيل إلى إثباته إلا عن طريق الشريعة، وتصديق النبوة، وهو الذي للبدن عند البعث، وخيرات البدن وشروره معلومة لا تحتاج إلى أن تعلم، وقد بسطت الشريعة التي أتانا بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حال السعادة والشقاوة التي بحسب البدن، ومنه ما هو مدرك بالعقل والقياس

[1] أنظر رسالة أضحوية في أمر المعاد، لابن سينا، ص :95.

البرهاني، وقد صدقته النبوة، وهو عن السعادة والشقاوة اللتين للأنفس، إلا أن الأفهام تقصر عنها لما نوضح من العلل)[1]

ثم يضيف في موضع آخر، فيقول : (يجب أن يقر عندهم ـ أي العامة ـ أمر المعاد على وجه يتصورن كيفيته وتسكن إليه نفوسهم، ويضرب للسعادة والشقاوة أمثالا مما يفهمون ويتصورنه، أما الحق فلا يلوح لهم منه إلا أمرا مجملا، وهو أن ذلك شيء لا عين رأته، ولا أذن سمعته، وأن هناك من اللذة ما هو ملك عظيم، ومن الألم ما هو عذاب مقيم).[2]

وفي نص آخر يقول أيضا :

(أما الشرع فينبغي أن يعلم فيه قانون واحد، وهو أن الشرع والملل الآتية على لسان نبي من الأنبياء يرام بها خطاب الجمهور كافة .. ولعمري لو كلف الله رسولا من الرسل أن يلقى حقائق هذه الأمور إلى الجمهور، من العامة، الغليظة طباعهم، المتعلقة بالمحسوسات الصرفة أوهامهم، ثم سامه أن يكون منجزا لعامتهم الإيمان والإجابة، غير ممهل فيه، ثم سامه أن يتولى رياضة نفوس الناس قاطبة حتى تستعد للوقوف عليها، لكلفه ذلك شططا، وأن يفعل ما ليس فيه قوة البشر، اللهم إلا أن تدركه خاصية إلهية، وقوة علوية، وإلهام سماوي، فتكون حينئذ وساطة الرسول مستغنى عنها، وتبليغه غير محتاج إليه).[3]

[1] أنظر أحوال النفس لابن سينا، تحقيق د/ الأهواني، ص : 127 ومابعدها.

[2] أنظر رسالة أضحوية في أمر المعاد، ص : 19 .

[3] أنظر رسالة أضحوية في أمر المعاد، ص : 44 ومابعدها .

مناقشة ابن سينا :

إن الآراء التي اعتمد عليها ابن سينا في تبنيه البعث الروحي تفتقر إلى الأدلة الكافية، وذلك نظرا لما يأتي :

أولا : في اعتماده على مصطلح الإنسان بأنه ذلك الكائن الذي يصح أن يطلق عليه (أنا) وقد سبق عرض براهينه المشهورة التي يفهم منها أنه همش الجانب المادي من الإنسان و لم يعر له أدنى اهتمام .

وقد بيّنا في مبحث الإنسان عند المتكلمين أن الانسان إسم لمجموع الروح والبدن، وذلك جمعا بين النصوص، وخاصة القرآن الكريم[1] ومن هنا يتجلى أن ابن سينا قد جانف الصواب والحقيقة .

ثانيا : تناقض ابن سينا

ويتضح من خلال إقراره بأنه لا يثبت البعث إلا من خلال طريق الشريعة، ثم أن هذا البعث وخاصة في شقه الكيفي يدرك بالعقل والقياس البرهاني .

ولسنا ندري أي عقل يستطيع وصف عالم الآخرة بما فيه من حقائق. ثم إن هذا العقل محدود الطاقة. وخاصة في فهم حقيقة الروح التي بين جوانح الانسان الذي يعيش في عالم الحس والشهادة، فكيف الأمر بعالم الغيب يا ترى ؟

ثالثا : دعواه أن هذه الحقائق، وخاصة ما تعلق بالبعث،يرام بها خطاب الجمهور، إنه لم يوضح هذا الجمهور، مع أن الشريعة الإسلامية خاطبت الناس قاطبة بلغة العموم لا التخصيص، وخاصة في الآيات المكية التي تهتم بشؤون العقيدة، وإليك بعضا منها :

[1] راجع ردنا على الفخر الرازي في معرض الحديث عن الانسان عند المفسرين، ص :21 - 22.

قوله تعالى :

﴿ يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ﴾[1]

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ﴾[2]

﴿ يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ﴾[3]

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ﴾[4]

﴿ يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم ﴾[5]

﴿ يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه ﴾[6]

- فهذه الآيات لم تخصص أحد دون آخر، فعبارة (الناس) في مجموعتها تقصد البشرية عامة، أعني أولئك الذين كانوا أحياء في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وسمعوا به مباشرة، أو عن طريق الدعاة من عهد الصحابة إلى يوم يبعثون .

- ثم آيات القرآن المفتتحة بندائها للمؤمنين (يا أيها الذين آمنوا) لم تخصص مؤمنا دون آخر، وكذلك آية الإنسان .

وبالتالي فإن عبارة [يرام بها خطاب الجمهور] وما شاكلها تحمل في طياتها نسبة الكذب إلى الأنبياء فيما يتعلق بالتبليغ[7] .

---

(1) سورة الحج، آية : 5.

(2) سورة لقمان، آية : 33 .

(3) سورة فاطر، آية :5 .

(4) سورة الحشر، آية : 18 .

(5) سورة الانفطار، آية : 6 .

(6) سورة الانشقاق، آية : 6.

(7) أنظر الشفا للقاضي عياض في تكفير من نسب الكذب إلى الرسل :284/2 .

وهو ما يحمل الإساءة إليهم فضلا عن التكفير وخاصة في صنف العلماء والفلاسفة في حجم الفيلسوف ابن سينا .

رابعا :

وآخر الردود التي نختم بها وقفتنا مع ابن سينا هي قضية التأويل التي جعلته يستبعد البعث الجسدي مع الروحي، ذلك أن التأويل المستساغ ما كان ذا سند شرعي يعضد موقفه. وهو ما افتقرت إليه دعاوي فيلسوفنا.

ثم إن على فرض كونه ارتكز على تأويل مقبول شرعا، فكيف يؤول النص الصريح في البعث الجسدي، وهو قوله تعالى : ﴿ قال من يحي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة ﴾[1]؟

فالآية كما هي واضحة تحمل تساؤل الكافر[2] وتعجبه من إعادة الحياة يوم البعث إلى العظام التي رمت وتحولت إلى تراب، وهنا تأتي الإجابة الواضحة أن الذي يعيد إليها الحياة هو الذي أودع فيها الحياة أولا. فالآية أولا وأخيرا لا تستبعد البعث الجسدي وخاصة في حق الله تعالى القدير، العزيز، الحكيم .

كما أن إجماع العلماء في مختلف العصور والأزمان قائم على احترام هذه الحقائق لكونها مما نطق بها القرآن، فضلا عن كونها من الغيبيات التي لم يُطلع الله أحدا من عباده إلا أن يشاء كما في حق الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، الذي تحدث عن ذلك الشيء الكثير .

---

[1] سورة يس، آيتا: 78 ـ 79 .

[2] إشارة إلى أبي بن خلف الذي جاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بعظم مفتت يذوره في الهواء وقال له :أتزعم يا محمد أن الله يبعث هذا؟ فأنزلت الآية .اهـ أنظر :

ـ تفسير ابن كثير : 581/2، ـ فتح القدير للشوكاني :383/4.

ثانيا : ابن رشد[1]

تمهيد :

كان من المفروض أن نتناول موضوع البعث عند ابن رشد بعد استعراض رأي أبـي حـامد الغزالي[2] أولا، وذلك نظرا إلى أن الفيلسوف أبا الوليد ألف كتابه (تهـافت التهـافت)ردا علـى : (تهافت الفلاسفة) لأبي حامد الغزالي، ولكن عمدنا إلى تقديم رؤية ابن رشد للأسباب التالية :

أـ إن ابن رشد يقول بالبعث الروحي مثل سلفه ابن سينا، ومراعاة للسياق وضعناه في المرتبة الثانيـة كما هو واضح من العنوان .

ب - إن ابن رشد يتفق مع ابن سينا في قضية التأويل للآيات القرآنية التي تقول بالبعث الجسدي .

ج - إن أبا حامد الغزالي يقول بالبعث الروحي والجسدي معا.

وهو بهذا يمثل جبهة العلماء والفقهاء والمتكلمين الذين أجمعوا على ذلـك. وبـه نختـم الحديـث عـن البعث من وجهة الفلسفة بالذات .

ولهذا لا غرو من البدايـة بـابن رشـد حتـى نستوضح رأيـه في البعـث مـن خـلال كتابيـه: تهـافت التهافت، مناهج الأدلة . ولكن قبل ذلك، لا بد من عرض هذا التوضيح :

---

[1] ابن رشد أبو الوليد محمد بن أحمد : ( ) (1126 1198) فيلسوف ولد في قرطبة وتوفي في مراكش، درس الطب، والفلسفة، والفقه، شرح كتب أرسطو، حاول التوفيق بين الشريعة والفلسفة. من آثاره : منهاج الأدلة، فصل المقال، تهافت التهافت. وغيرها.

أنظر ترجمته في : عيون الأنباء في طبقات الأطباء :124/3-125.

[2] تأتي ترجمته قريبا .

توضيح :

قبل الشروع في استعراض رأي الفيلسوف ابن رشد في البعث، لابد من الوقوف هنيهة عند الشبهة التي أثارها الفيلسوف الفرنسي رنان،[1] والتي تعني إنكار ابن رشد لخلود النفس، والثواب والعقاب الأخرويين. وقد ذهب رنان إلى أن ابن رشد لام أفلاطون[2] لوما عنيفا على وصفه في أحد كتبه حالة النفوس الإنسانية بعد مفارقتها للأبدان، ومما قاله في تعنيفه :

(أما هذه الخرافات فلا تفيد شيئا، بل هي تفسد عقول العامة، وخصوصا الأولاد دون أن تعود عليهم بفائدة ما، وإنني أعرف أناسا ينبذون كل هذه الأوهام، ومع ذلك فإنهم فضلا وفضيلة عن الذين يعتقدون بها).[3]

---

[1] رينان جوزيف أرنست : [1823 - 1892]م، فيلسوف فرنسي، مؤرخ، توفي والده وهو في سن الخامسة، عين عام : 1862 في الكوليج دوفرانس في كرسي اللغات، من آثاره على سبيل المثال :

أ - ابن رشد والرشدية.

ب - تاريخ أصول المسيحية.

ج - الاصلاح الفكري والأخلاقي ، وغيرها .

أنظر ترجمته في : موسوعة أعلام الفلسفة - العرب والأجانب لـ :روني إيلي ألفا، 518/1 .

[2] أفلاطون : تقدمت ترجمته .

[3] رنان : ابن رشد ومذهبه، ص :157 نقلا عن ابن رشد وفلسفته للأستاذ فرح أنطون، ص : 151.

وأنظر أيضا :

في فلسفة ابن رشد : الوجود والخلود، د/ محمد بيصار، ص : 167

ويقرب من هذا ما قاله في تلخيصه لكتاب أفلاطون، ونصه : (من الأوهام المضرة اعتبار الناس الفضيلة والخير واسطة للوصول إلى السعادة، فإن الفضيلة إذا أنزلت في هذه المنزلة لم تعد فضيلة، ذلك أن الإنسان لا يحرم نفسه الملاذ إلا وهو يأمل أن يعوض عنه مثلها وزيادة، والشجاع لا يطلب الموت في الحرب إلا فرارا من شر أعظم من شر الحرب، والحكيم لا يحترم مال غيره إلا لينال بعد ذلك مضاعف ذلك المال).[1]

فالظاهر من هاتين الفقرتين أن الاعتقاد بحياة النفس بعد الموت ليس بضروري في تحصيل الفضائل النفسية والكمال الانساني، ومعنى ذلك أن الاعتقاد الأخروي لا جدوى له، وليس له من فائدة، اللهم إلا إفساد العقول وشحنها بالأوهام والخرافات التي لا نصيب لها من الحقيقة، ولاحظ لها من الوجود .

وينقل رنان عن ابن رشد فقرة ثالثة هي قوله :

(إن العناية الإلهية منحت الحي الفاني المقدرة على التوالد لتخليد نوعه وتعزيته بهذا الخلود النوعي عن الفناء).[2]

وعلى الرغم من إيثار رنان لهذه الفقرات الثلاث إلا أنه لم يبين المصادر التي لم تنقل إلى العربية . كما أنه سرعان ما يزول الشك عند معاينة نصوص أخرى لابن رشد تنقض دعوى رنان، وتقول بأن ابن رشد يؤيد القول بالخلود والحياة الأخرى، بل بالثواب والعقاب أيضا.[3]

---

[1] رنان - ابن رشد ومذهبه، ص : 156 نقلا عن ابن رشد وفلسفته لـ : فرح أنطون ص :51.

[2] المرجع نفسه نقلا عن فرح أنطون ص: 49 .

[3] أنظر في فلسفة ابن رشد : الوجود والخلود، د/ البيصار : 168 بتصرف .

ويتضح ذلك ما تشتمل عليه كتبه : تهافت الفلاسفة، فصل المقال، الكشف عن مناهج الأدلة، والتي توحي على الإجمال بأن ابن رشد كان يعتقد :

أولا : بحياة أخرى وراء الحياة الدنيا .

ثانيا : بالثواب والعقاب الأخرويين.[1]

- ففيما يتعلق بالنقطة الأولى يرى أن الشرائع كلها متفقة على وجود أخروي بعد الموت، وأن ذلك ثابت من الكتب المنزلة، فقد جاء في الزبور وفي الانجيل وتواتر القول به عن عيسى عليه السلام وهو رأي الصابئة التي يقول عنها ابن حزم : إنها أقدم الشرائع .

وإذا كانت الشرائع قد اتفقت على ذلك، وخاصة الشريعة الاسلامية، كان معنى ذلك قيام الأدلة النقلية في هذه الشريعة على إثبات بقاء النفس وخلودها بعد الموت، كما يؤيد الدليل العقلي أيضا، حيث قام على أن النفس الانسانية لا تفنى بفناء البدن، وإنما تظل خالدة ومتصفة بما اكتسبت في الدنيا، وعن طريق تعلقها بالبدن، من فضائل أو رذائل، وأنها تتعرى حينذاك

[1] مما لا ينبغي انكاره أن ابن رشد يقرر أن النفس الانسانية بعد الموت إما أن تكون سعيدة منعمة بما اكتسبت من فضائل، أو شقية معذبة بما اقترفت من رذائل، حتى إنه ليعد ذلك أصلا من أصول الدين، ويحكم بكفر من يصرف الآيات عن ظاهرها : وهذا النحو من الظاهر إن كان في الأصول فالمتأول له كافر، مثل من يعتقد أنه لا سعادة أخروية ههنا ولا شقاء ... اهـ عن فصل المقال ص 16 ، أنظر : الوجود والخلود، ص : 169 .
ومن هذا النص الذي تكثر أمثاله في كتب ابن رشد يتضح عدم صحة ما ذكره الأستاذ لطفي جمعة في كتابه (تاريخ فلاسفة الاسلام في المشرق والمغرب) فيما يتعلق برأي ابن رشد في الثواب والعقاب، حيث قال : (ولكنه - ابن رشد - قال بغير شك .... : إن الانسان لا يثاب ولا يعاقب إلا في الحياة الدنيا. اهـ . ص : 169 عن الكتاب نفسه. نقلا عن :
الوجود والخلود د/ البيصار، ص : 169.

من الشهوات الجسمانية بحيث يتضاعف بهذا التعري زكاؤها إن كانت زكية، ويزيد خبثها إن كانت خبيثة، وفي هذا يقول :

(ولما كان الوحي قد أنذر في الشرائع كلها بأن النفس باقية، وقامت البراهين عند العلماء على ذلك، وكانت النفوس يلحقها بعد الموت أن تتعرى من الشهوات الجسمانية ، فإن كانت زكية تضاعف زكاؤها بتعريها من الشهوات الجسمانية، وإن كانت خبيثة زادتها المفارقة خبثا لأنها تتأذى بالرذائل التي اكتسبت وتشتد حسرتها على ما فاتها من التزكية عند مفارقة البدن لأنها ليست يمكنها الاكتساب إلا مع البدن).[1]

- أما ما ورد في النقطة الثانية فيمكن أن يكون من كلام أفلاطون وذلك لما يأتي :

أولا : لوروده في تلخيص كتاب لأفلاطون .

ثانيا : أن ما أفاده هو تعليم أفلاطون بحت، إذ مؤداه أن الفضيلة أسمى وأقدس من أن تكون وسيلة لشيء آخر وراءها، سواء كان ذلك الشيء ترغيبا في ثواب، أو تخويفا من عقاب، إذ إن الفضيلة أمر ذاتي، أي أنها غاية، كمالها من ذاتها، وتستمد قيمتها من جوهرها، لا من شيء آخر وراءها، أما إذا أنزلت عن سموها وجعلت سبيلا لجلب لذة أو دفع ألم كان ذلك دحضا لقيمتها وإنكارا لشخصيتها، على أنه لو صح أن هذا من كلام ابن رشد ذاته لما خرج عن أنه مبدأ أفلاطون صيغ في عبارة عربية ونطق به لسان رشدي .

- أما ما جاء في الفقرة الثالثة فإنه يتضمن حكمين :

أ - إثبات الخلود .

ب - إثبات الفناء - نفي الخلود - .

[1] مناهج الأدلة، ص : 243.

ولا يمكن أن يتوارد النفي والإثبات على شيء واحد، وإلا لاجتمع النقيضان، وإذا لابد من أن يكون موضوع كل من هذين الحكمين مغايرا لموضوع الآخر .

وإذا أردنا أن نحقق هذا التغاير على ضوء ما علمناه سابقا فإنه يحق لنا أن نقول : إن الحكم بالخلود إنما موضوعه العقل العام الذي هو عقل الإنسانية، وهذا هو المراد بالخلود النوعي، كما أن الحكم بالفناء إنما هو على العقول الجزئية ـ المنفعلة ـ التي توجد مع الإنسان وتفنى بفنائه .

وهنا تكون نقطة الفصل في تلك المسألة الخطيرة، فإننا إذا راجعنا الأصول المتقدمة التي ارتكز عليها مذهب ابن رشد وجدنا تؤدي بنا إلى القول بالخلود الكلي، أي بأن العقل العام الذي هو مشترك بين جميع أفراد الانسان هو وحده الأزلي الخالد الذي لا يعتريه تغير، ولا يطرأ عليه فساد. أما العقل المنفعل الذي يفسره ابن رشد بالاستعداد الشخصي، فكما أنه حادث يولد مع الانسان، هو كذلك فإن بفناء الإنسان، وزائل بزواله، فليس هناك بعد مفارقة النفس للبدن نفوس جزئية متمايز بعضها عن بعض، ومستقل عند ذاته وجوهره، وإنما كل ما هناك عقل واحد كلي هو عقل الإنسانية جمعاء .

وعلى هذا الأساس يكون كل ما قرره ابن رشد في نصوصه محمولا على الخلود الكلي، وكل ما نفاه محمولا على الخلود الفردي، فكل من طرفي النفي والإثبات صحيح مادام الموضوع في أحدهما مختلفا عنه في الآخر.[1]

---

[1] في فلسفة ابن رشد ـ الوجود والخلود ـ د/ البيصار، ص : 169، 174، 175.

البعث عند ابن رشد

أـ أنكر ابن رشد ما ذهب إليه الغزالي في كتابه تهافت الفلاسفة[1] من أن الفلاسفة ينكـرون حشـر الأجساد، وقال :

(وهذا شيء ما وجد لواحد ممن تقدم فيه قول، والقول بحشر الأجساد أقل ماله منتشر في الشـرائع ألف سنة، والذين تأدت إلينا عنهم الفلسفة هم دون هذا العدد من السنين، وذلك أن قول من قال بحشر الأجساد هم أنبياء بني إسرائيل الذين أتوا بعد موسى عليه السلام، وذلك بين من الزبور ومن كثير من الصحف المنسوبة لبني إسرائيل، وثبت ذلك أيضا في الانجيل وتواتر القول بـه عـن عيسـى عليه السلام، وهو قول الصائبة، وهذه الشريعة : قال أبو محمد بن حزم [2] إنها أقدم الشرائع).[3]

تعقيب :

إن هذا الزعم من ابن رشد لا دليل عليه، وذلك لما يأتي :

1 ـ إجماع الأنبياء كلهم على حقيقة البعث، وحشر الأجساد، وليس ذلك حكرا على بني إسرائيل فقط كما يدعي ابن رشد .

2 ـ كون أمر البعث تواتر أمره في الانجيل صحيح عند الانجيـل الـذي تركـه عيسـى عليـه السـلام، حسبما أخبر القرآن بأن عيسى عليه السلام لم يختلف عن إخوانه الأنبياء في الدعوة إليه، والترغيب والترهيب بواسطته أيضا، لكن الأناجيل المتداولـة حاليـا تفتقـر إلى هـذا التواتـر مـن جهـة، وتتمـيز بركاكة الأسلوب، وتنافر العبارة، مما يعني عدم الاهتمام بأمر البعث، كما نوه به القرآن حين جعله من أهم العقائد بعد الإيمان با لله عزوجل .

[1] أنظر تهافت الفلاسفة للغزالي ص: 34.

[2] تقدمت ترجمته .

[3] أنظر تعافت التهافت لابن رشد، ص : 324.

ب ـ وهناك دعوى أخرى ساقها ابن رشد في كتابه : مناهج الأدلة، يرى فيه أن الشرائع لم تختلف في حقيقة المعاد ـ البعث ـ وصفة وجوده، وإنما اختلفت في طرق التمثيل للجمهور، ثم يقول : (وذلك أن من الشرائع من جعله روحانيا، أعني للنفوس، ومنها من جعله للأجسام والنفوس معا).[1]

تعقيب :

في هذه الفقرة أيضا نلمس تناقض ابن رشد، لما يأتي :

1ـ إدعاء اختلاف بين الشرائع في طرق التمثيل للجمهور، مع أنها ـ أي الشرائع ـ أجمعت على حقيقته وكيفيته، فلا يعقل للأنبياء والمرسلين أن يختلفوا في أصل من أصول الدين .

2ـ كون بعض الشرائع جعلته روحانيا، والأخرى جسمانيا يحتاج إلى دليل يثبت ذلك. وأنى له ذلك .

ج .سعادة الإنسان :

أـ الانسان أشرف من كثير من الموجودات.

ب ـ الإنسان لم يخلق عبثا .

قضيتان اتخذهما ابن رشد لتحديد سعادة الإنسان، فالكون لم يخلق عبثا، مصداقا لقوله سبحانه :

﴿ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ﴾ [2]

ووجود الغاية في الإنسان أظهر منها في جميع الموجودات، وقد نبه الله سبحانه عليها في غير ما آية من كتابه، فقال عزوجل :

﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون ﴾ [3]

---

[1] مناهج الأدلة لابن رشد، تحقيق د/ محمود قاسم ص : 241

[2] سورة ص، آية : 27.

[3] سورة المؤمنون، آية : 115 .

ومادام للإنسان غاية فلتكن خاصة به دون سائر الحيوان، وخاصية الانسان إنما هي من حيث نفس الناطقة، وكما لها في القوة العملية والعلمية، ثم يقول ابن رشد :

(ولما كان الوحي قد أنذر في الشرائع كلها بأن النفس باقية، وقامت البراهين عند العلماء على ذلك، وكانت النفوس يلحقها بعد الموت أن تتعرى من الشهوات الجسمانية، فإن كانت زكية تضاعف زكاؤها بتعريها من الشهوات الجسمانية، وإن كانت خبيثة زادتها المفارقة خبثا لأنها تتأذى بالرذائل التي اكتسبت وتشتد حسرتها على مافاتها من التزكية عند مفارقة البدن، لأنها ليست يمكنها الاكتساب إلا مع البدن).[1]

وإلى هذا المقام الإشارة بقوله تعالى :

﴿ أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب ا لله وإن كنت لمن الخاسرين ﴾.[2]

(واتفقت الشرائع على تعريف هذا الحال للناس، وسموها السعادة الأخيرة، والشقاء الأخير ...) ا هـ .

هكذا يرى ابن رشد السعادة والشقاء، و لم يتعقب أبا حامد الغزالي فقرة فقرة في هذه المسألة، كما فعل في بقية كتابه : تهافت التهافت، بل اكتفى بكلمة عامة .

[1] مناهج الأدلة، ص : 243 .

[2] سورة الزمر، آية : 56.

د. موقفه من النصوص الدينية :

يقوم رأي ابن رشد على تقسيم الناس إلى عوام وخواص، وتقسيم الشريعة إلى ظاهر ومؤول، والظاهر فرض الجمهور، والمؤول فرض العلماء، ولا يحل للعلماء أن يفصحوا بتأويله للجمهور .

وفي مسألة البعث التي نحن بصددها يرى ابن رشد أن المعاد الروحاني لا يفهمه الجمهور، ولا يحرك لديهم بواعث العمل الخير، فلابد من تمثيل هذه السعادة والشقاوة العقلية بأشياء مشاهدة لهم، فإعادة النفوس إلى الأبدان هو نوع من التمثيل للعامة، فها هو يقول :

(فأصحاب الشرائع أخبروا أن الله يعيد النفوس السعيدة إلى أجساد تنعم فيها الدهر كله بأشد المحسوسات نعيما وهو مثلا : الجنة، وأنه تعالى يعيد النفوس الشقية إلى أجساد تتأذى فيها الدهر كله بأشد المحسوسات أذى، وهو مثلا النار)[1]

والحكمة يوضحها قائلا :

(ويشبه أن يكون التمثيل الذي في شريعتنا هذه أتم إفهاما لأكثر الناس، وأكثر تحريكا لنفوسهم إلى ما هنالك، والأكثر هم المقصود بالشرائع، وأما التمثيل الروحاني فيشبه أن يكون أقل تحريكا لنفوس الجمهور إلى ما هنالك، والجمهور أقل رغبة فيه، وخوفا له منهم في التمثيل الجسماني).[2]

---

[1] مناهج الأدلة، ص : 244.

[2] مناهج الأدلة، ص : 244.

هـ. تمويه ومدارة :

حاول ابن رشد في نهاية كتابه : (مناهج الأدلة) أن يجعل قضية البعث مسألة خلافية في فهم حقيقته، وفهم التمثيل الذي يزعم أنه ورد على لسان الشرع .

فذكر أن أهل الإسلام ثلاث فرق :

1- فرقة رأت أن ذلك الوجود هو بعينه هذا الوجود الذي ههنا من النعيم واللذة، أعني أنهم رأوا أنه واحد بالجنس، وأنه يختلف الوجودان بالدوام والانقطاع، أعني أن ذلك دائم، وهذا منقطع .

2- وطائفة رأت أن الوجود متباين، وهذه انقسمت قسمتين :

أ- فطائفة رأت أن الوجود الممثل بهذه المحسوسات هو روحاني، وأنه إنما مثل به إرادة البيان، ولهؤلاء حجج كثيرة من الشريعة فلا معنى لتعديدها .

3- وطائفة رأت أنه جسماني، ولكن اعتقدت أن تلك الجسمانية الموجودة هناك مخالفة لهذه الجسمانية، لكون هذه بالية، وتلك باقية، ولهذه حجج من الشرع .

ثم خلص ابن رشد إلى أن القول بعودة النفوس إلى الأبدان التي كانت يلزمه محالات، مثل أن المادة الواحدة بعينها توجد لأشخاص كثيرة في أوقات مختلفة، وأمثال هذه الأجسام ليس يمكن أن توجد كلها بالفعل، لأن مادتها واحدة ... وأما إذا فرضت أجسام أخرى فليس يلحقها هذه المحالات ..[1]

[1] أنظر مناهج الأدلة، ص : 246.

وقد انتهى إلى هذا الرأي في كتابه : (تهافت التهافت) حيث يقول :

(وأن يوضع أن التي تعود هي أمثال هذه الأجسام التي كانت في هـذه الـدار، لا هـي بعينهـا، لأن المعدوم لا يعود بالشخص، وإنما يعود الموجود لمثل ما عدم، لا لعين ما عدم).[1]

وقد فهم الدكتور محمود قاسم في تعليق له[2] على أن ابن رشد يقول بالبعث الجسدي بنـاء على هذا الرأي.

والحق أن ابن رشد يميل إلى البعث الروحاني إنطلاقا من الحقائق الآتية :

1- إنه لم يصرح بنسبة هذا الرأي لنفسه، وإنما كل ما قاله فيه :

(وأما إذا فرضت أجسام أخر فليس يلحقها هذه المحالات)[3]

فالكلام على سبيل الفرض وليس على الاعتقاد .

2- تصريح ابن رشد في هذه المسألة أن كل إنسان له أن ينظر شريطة ألا يؤدي ذلك إلى إتكـار الوجود جملة.[4]

3- إدعاؤه أن الشريعة أخبرت عن البعث المحسوس لتتحرك فيهم بواعث الخير، وتتوقف بواعـث الشر، ذلك أن التمثيل أتم إفهاما لأكثر الناس.[5]

---

[1] أنظر تهافت التهافت، ص : 327.

[2] أنظر مناهج الأدلة، ص : 246 .

[3] نفس المصدر .

[4] نفس المصدر ص : 247 .

[5] نفس المصدر ، ص : 244 .

4ـ ومن خلال استعراض رأي ابن رشد في البعث، تتجلى الحقائق التالية :

1ـ النفس باقية لا تتعطل بفساد آلة الجسم عندما تموت .

2ـ سعادة الإنسان هي في كمال نفسه الناطقة .

3ـ ما ورد من النصوص الدينية التي تتكلم عن اللذات أو الآلام الحسية يوم القيامة محمول على أنه تمثيل للجمهور ليس إلا .

4ـ البدن عائق للنفس عن اللذة العقلية، وبهذا يتضح أن أبا الوليد يقول بالبعث الروحي كسلفه الشيخ الرئيس ابن سينا.[1]

التعليق :

يستشف مما سبق أن ابن رشد في قضية البعث يتميز بما يأتي :

أـ همش الجانب المادي في الإنسان حين حصر السعادة في كمال النفس الناطقة .

ب ـ الادعاء بأن المعدوم لا يعود بالشخص، وإنما يعود لمثل ما عدم، يدل على إغفال جانب القدرة الإلهية في هذا الشأن بالذات، فليته تدبر قوله تعالى :

﴿ قال من يحي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة ﴾،[2]

فالضمير في قوله [يحييها] يعود إلى تلك العظام نفسها التي أصابها البلى والتفتت، والتي كانت محل التساؤل والتعجب من قبل الذي سأل الرسول صلى ا لله عليه وسلم عن ذلك .

ج ـ الادعاء بأن الشريعة لها ظاهر ومؤول أمر خطير أدى إلى تعسف في تأويل النصوص مما فتح أبوابا للفتن، فضلا عن تعريض الحقيقة العلمية للضياع .

دـ القول بالبعث الروحي مصادم للنصوص القرآنية الصريحة، وإجماع العلماء كافة .

---

[1] أنظر الروح في دراسات المتكلمين والفلاسفة، ص : 200 بتصرف .

[2] سورة يس آيتا : 78 ـ79 .

المبحث الثالث

دعاة البعث الروحي والجسدي

أبو حامد الغزالي[1] :

الرأي الذي انتهى إليه الغزالي في أمر [البعث] هو [البعث] بالجسد والروح معا، كما أجمع عليه العلماء،[2] وقد إطمأن إلى ذلك، ونصب نفسه للدفاع عنه بكل قوة .

لهذا وقف الغزالي من الفلاسفة الإسلاميين القائلين بالبعث الروحي موقف الخصومة، ونازلهم منازلة الابطال، بالحجج الفلسفية والمنطقية التي حاجوا بها فقهاء المسلمين وعلمائهم . ولهذا حمد له المسلمون هذا الموقف، وقدروه، فلقبوه (حجة الإسلام)، فكان بحق أهلا لهذا اللقب لما بذله من جهد، من خلال كتابه القيم : (تهافت الفلاسفة) الذي رد فيه بالخصوص على منكري البعث الجسدي وتشبثهم بالبعث الروحي.[3]

---

[1] الغزالي أبو حامد محمد ت : 505 هـ / 1111م، متكلم، لقب بحجة الاسلام، ولد بالقرب من طوس (خراسان) درس الفقه، والكلام، والفلسفة، علم في المدرسة النظامية ببغداد، وكتب : تهافت الفلاسفة، وفيه كفر الفلاسفة، مر بمرحلة الشك، قادته إلى الصوفية، فترك التدريس، وبعد عشرات سنوات تجول فيها بين دمشق، والقاهرة، ومكة، عاد إلى نيسابور ومنها إلى طوس أين توفي فيها، من آثاره : إحياء علوم الدين، المنقذ من الضلال، وغيرها . انظر ترجمته في : وفيات الأعيان : 216/4، طبقات السبكي : 101/4، اللباب : 170/2.

[2] أنظر مراتب الاجماع لابن حزم ص : 175،

وكذا الشفا لـ : عياض: 284/2.

[3] أنظر الله والانسان، عبد الكريم الخطيب، ص : 294 بتصرف.

رأي الغزالي في الفلاسفة :

بمقياس الباحث النفسي وصف الغزالي الفلاسفة بأنهم قوم تجملوا باعتقاد الكفر تحيزا إلى غمار الفضلاء بزعمهم، وانخراطا في سلكهم، وترفعا عن مسايرة الجماهير والدهماء، واستنكافا من القناعة بأديان الآباء، ظنا بأن إظهار التكايس في النزوع عن تقليد الحق بالشروع في تقليد الباطل جمال .... فأية رتبة في عالم الله أخس من رتبة من يتجمل بترك الحق المعتقد تقليدا بالتسارع إلى قبول الباطل تصديقا دون أن يقبله خبرا وتحقيقا . اهـ[1]

تحديد موطن النزاع :

في مقدمة كتابه : (تهافت الفلاسفة) حدد الغزالي الخلاف مع الفلاسفة في ثلاثة اقسام، والذي يهم موضوعنا هو القسم الثالث، وهو ما يتعلق فيه بأصل من أصول الدين .... منه مثلا : بيان حشر الأجساد، فقد أنكروا ذلك، فهذا الفن ونظائره هو الذي ينبغي أن يظهر فساد مذهبهم فيه دون ماعداه[2] .

أمانة الغزالي :

مع العداء المستحكم بين الغزالي والفلاسفة إلا أنه كان أمينا في نقل آراء خصومه، دقيقا في نسبتها لأصحابها، محايدا في عرض وجهة نظرهم، وهذا من خلال الشهادة التي يدلي بها الدكتور سليمان دنيا في معرض تقديمه لكتاب : التهافت أنه خامره الشك مؤداه :

---

[1] أنظر تهافت الفلاسفة للغزالي، تحقيق : د/ جيهامى، ص : 28.

[2] أنظر تهافت الفلاسفة للغزالي، تحقيق : د/ جيهامى، ص :34 .

أليس يجوز أن يدلس الغزالي على خصومه فيعرض أفكارهم في صورة ركيكة مشوهة حتى يتأتى له ردها وإبطالها ؟

ومما زاد الأمر ريبة في نفس الدكتور أن الغزالي يتهم الفلاسفة بإنكار حشر الأجساد، والقول باستحالته مع أن ابن سينا، على حد تعبير الدكتور يصرح بالبعث الجسماني، في كتابيه : النجاة والشفاء ... ثم يقول الدكتور سليمان دنيا :

وهكذا تصورت الرجلين في ذلكم الوقت.

أحدهما : [ابن سينا] مضطرب متردد .

والآخر : [الغزالي] مفتات متهجم .

ثم لبثت غير مطمئن إلى هذا التصوير إلى أن ساقت لي الصدفة مخطوطا صغيرا لابن سينا عنوانه : (رسالة أضحوية في أمر المعاد)، فلما قرأته وجدنه صريحا في إنكار البعث الجسماني، ووجدته يشتمل على نفس الدليل الذي حكاه الغزالي في التهافت على لسان الفلاسفة. اهـ.[1]

بعد هذه الشهادة يحق لنا مسايرة الإمام الغزالي في حكايته لشبهات المنكرين للبعث الجسماني، وهي كما يأتي باختصار وتصرف :

الشبهة الأولى :

"البعث الجسماني موقوف على إعادة المعدوم، وما عدم لا يعقل عوده واستئناف الخلق إيجاد لمثل ما كان لا لعين ما كان، بل العود المفهوم هو الذي يفرض فيه بقاء شيء وتجدد شيء، كما يقال : عاد فلان إلى الإنعام، أي أن المنعم باق، وترك الانعام ثم عاد إليه،أي عاد إلى ماهو

[1] أنظر تهافت الفلاسفة للغزالي، تحقيق د/ سليمان دنيا، ص : 23 بتصرف .

الأول بالجنس ولكن غيره بالعدد، فيكون بالحقيقة إلى مثله لا إليه ... ".[1]

الجواب :

إن المعدوم ممكن يستوي طرفا وجوده وعدمه، وإلا لما وجد أولا، ويستحيل كون الشيء ممكنا في وقت، ممتنعا في وقت آخر.[2]

كما إن إعادة المعدوم إما أن تكون ممكنة أولا تكون، فإن كانت ممكنة فالمقصود حاصل، وإن لم تكن ممكنة فالدليل العقلي دل على أن الأجسام تقبل العدم، و لم يدل على أنها تعدم لا محالة، فلما ثبت بالنقل المتواتر من دين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أن القول بحشر الأجساد حق، وثبت أن الأجسام لوعدمت لامتنع إعادتها، كان ذلك دليلا قاطعا على أنه تعالى لا يعدم الأجساد بل يبقيها بعينها، وإذا كانت باقية بأعيانها فهي قابلة للحياة والعقل والقدرة، فحينئذ يصح أن عودة ذلك البدن بعينه ممكنة[3]

وقد أشرنا سابقا في معرض الحديث عن البعث في السنة النبوية أن الإنسان يبلى إلا عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة.[4] وعلى هذا فلا يستبعد عقلا أن يعيد الله تعالى تلك المادة الانسانية ويخرجها عن الصفة التي كانت عليها ثم يخرج منها الإنسان يوم البعث، فهذا الإخراج بعينه أو عن مثله لا يستبعد عن قدرة المولى تبارك اسمه .

الشبهة الثانية :

إن رد النفس إلى بدن إنساني مثل الأول لا عينه هو قول بالتناسخ لأنه هو اشتغال النفس بعد خلاصها من البدن بتدبير بدن آخر غير البدن الأول ... وما يدل على بطلان التناسخ يدل

[1] أنظر تهافت الفلاسفة، ص: 210 - 211.

[2] أنظر المقاصد تحقيق د/ خميس، ص : 80.

[3] أنظر أصول الدين للرازي، ص : 126 .

[4] أنظر البعث في السنة النبوية من هذه الرسالة، ص : 96.

والقول بقدم العالم لم يقم عليه دليل عقلي قاطع، وكل مافيه وهم، وافتراض،[1] كما أن مادة الأبدان التي يعتريها الفناء والفساد بالموت تعاد إليها أنفسها حتى وإن تداخلت الأبدان بطريق التغذية فأصبح بعضها غذاء للبعض الآخر، وصدق المولى تبارك اسمه حين قال :

﴿ ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير ﴾،[2]

ثم إن النفس الإنسانية بشقيها : البدني والروحي يطرد فيها معيار الزوجية، حيث يقول الله سبحانه :

﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ﴾.[3]

ومن هنا فالزعم بزيادة الأنفس على الأبدان إدعاء لا أساس له من الصحة حين يفتقر إلى دليل وبرهان .

الشبهة الرابعة :

الإنسان المبعوث المحشور لا يمكن أن يتجدد بدنه دون أسباب وأطوار، فأسبابه هو إلقاء النطفة في الرحم ... وأطواره هي : العلقة، والمضغة، ثم يكون جنينا ثم طفلا ثم شابا ثم كهلا، وهكذا، فانقلابه إنسانا دون تردده في هذه الأسباب محال، فيكون البعث محالا.[4]

ثم من أين لهم أن أسباب الوجود منحصرة فيما شاهدوه أو علموه ؟

---

[1] أنظر الروح في دراسات المتكلمين والفلاسفة ص: 190 بتصرف .

[2] سورة لقمان، آية :28 .

[3] سورة الذاريات : آية : 49 .

[4] أنظر تهافت الفلاسفة ص : 215 .

ولما لا يجوز أن يكون هناك منهاج للأحياء غير ما هو مشاهد ؟

يقول أبو حامد :

لو خلق إنسانا عاقلا ابتداء، وقيل له : إن هذه النطفة القذرة، المتشابهة الأجزاء، تنقسم أجزاؤها المتشابهة في رحم آدمية إلى اعضاء مختلفة : لحمية، وعصبية، وعرقية، وغضروفية، وشحمية، فيكون منها العين على سبع طبقات مختلفة في المزاج، واللسان والأسنان على تفاوتها في الرخاوة والصلابة مع تجاورهما، وهلم جرا ... إلى البدائع التي في الفطرة، لكان إنكاره أشد من إنكار الملاحدة حيث قالوا :

﴿ أإذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد ﴾[1]

.... فأي بعد في أن يكون في الأسباب الإلهية أمر يشبه ذلك، ونحن لا نطلع عليه، ويقتضي ذلك انبعاث الأجساد واستعدادها لقبول النفوس المحشورة ؟[2]

وهل لهذا الإنكار من مستند سوى الاستبعاد المجرد فقط ؟

الشبهة الخامسة :

الفعل الإلهي له مجرى واحد مضروب لا يتغير، قال سبحانه : ﴿ ولن تجد لسنة ا لله تبديلا﴾[3]

فوجود الإنسان بطريق التوالد والتناسل أزلا وأبدا، ومحال أن يحصل التبديل لسنة ا لله، لأن الفعل

---

[1] سورة ق، آية : 3 .

[2] تهافت الفلاسفة، ص : 116.

[3] سورة الأحزاب، آية :62 .

الإلهي يصدر عن المشيئة الإلهية، والمشيئة أزلية على سنن واحدة لا تختلف بالإضافة إلى الأزمان.[1]

الجواب :

إن مرجع الخلاف معهم هنا إلى نظرية السببية،[2] والقول فيها أن ا لله سبحانه قد رتب الأسباب والمسببات ترتيبا عاديا يجوز تخلفه عنه الإرادة الالهية، فالنار ليس من طبعها الإحراق فلا يمكن الكف منه، والسكين ليس من طبعه القطع فلا يمكن المنع منه، وليس هناك دليل على أن الأسباب هي القاعدة وحدها إلا مشاهدة حصول الاحتراق مثلا عند ملاقاة النار، وهذا لا ينهض دليلا على الفاعلية، فالموجود عند الشيء - كما يقول الغزالي - لا يدل على أنه موجود به . كما يجوز أن تخرق العادة معجزة نبي أو كرامة ولي،[3] لأنها مبنية على صلة سببية خفيت على الناس واقتضت حكمة ا لله تعالى إطلاع بعض خلقه عليها وإجراءها على أيديهم، فالمعجزة والكرامة لا تقضيان في ذاتهما إنعدام السببية من أصله، ولكنهما تقتضيان وجود نظام من الارتباطات السببية غير النظام المعروف والمعهود.[4]

---

[1] أنظر تهافت الفلاسفة، ص : 217.

[2] 1 - إن لفظ السببية مشتق من السبب الذي يعني في الأصل اللغوي : الحبل، ثم استعير عرفا لمعنى الحادثة التي يتولد عنها حادثة أخرى، فكأنها حبل موصل إليها، وجرى العرف على أن النار سبب الاحتراق، والضرب للانسان سبب تألمه .

2 - المشاهد في الكون بوجه عام ، هو أن كل حادثة في الكون تسبقها حادثة بإطراد وانتظام، وقد جرت العادة على اعتبار الحادثة السابقة سببا، واللاحقة مسبب ونتيجة ، فالمشاهد أمران : أولهما : الاقتران بين ما يسمى في العادة سببا وما يسمى : مسببا. وثانيهما : الدوام والاطراد، أو الانتظام .

3 - أن تولد حادثة إثر حادثة أخرى باطراد وانتظام واستمرار تدل على صلة بين الحادثتين، والخلاف في وجهات النظر في نوع هذه الصلة، فهي عند البعض صلة تأثير وتسبب، وعند الآخر صلة ناشئة عن طبيعة الحادثتين أو عن خاصة فيهما، وهي ليست كذلك عند آخرين، ولكنها مجرد اقتران جرت به سنة ا لله في الكون .

4 - ويرى أصحاب هذه الآراء جميعا من المفكرين الاسلاميين على اختلاف وجهات نظرهم أن ا لله هو خالق الحداثتين : السبب، والمسبب، وخالق ما بينهما من صلة، سواء أكانت صلة تسبب و تاثير، أو طبيعة كامنة أو خاصة أو اقتران .

5 - وإذا كان ا لله تعالى خالق الأسباب والمسببات وخالقا لما بين السبب والمسبب من صلة توليد أو اقتران، فتخلّف ذلك ممكن عقلا ومنوط بإرادة ا لله سبحانه ومشيئته، ولذلك تكون المعجزات ممكنة، ولايكون هناك خروج عن الاعتقاد بأن ا لله خالق مبدع مطلق الارادة يهيمن على الكون وحوادثه اهـ. نقلا عن الاسلام والفكر العلمي للدكتور محمد المبارك ص : 73،74 .

[3] أنظر : الروح في دراسات المتكلمين والفلاسفة، ص : 192 .

[4] أنظر : الاسلام والفكر العلمي، ص : 74 -75 .

ويستشف مما سبق، أن القول بحشر الأجساد أرجح لما يأتي :

أولا :

أ- تهميش المادة الإنسانية من طرف دعاة البعث الروحي .

ب - الإسراف في تحكيم العقل في الميدان الغيبي .

ج - تجاوز حدود التأويل المقبول شرعا .

د- إغفال القدرة الإلهية .

هذه النقاط الأربعة تكاد تكون محل اتفاق بين الفيلسوفين : ابن سينا وابن رشد القائلين بالبعث الروحي. ويمكن ردها بالحقائق التالية :

1- إن المادة الإنسانية لا يمكن حصرها في نطاق مسمى الإنسان الحقيقي المتمثل في الجانب الروحي، ذلك أن القرآن الكريم وإن كان قد عبر عن الإنسان بالناحيتين : المادية، والروحية، كما سبق وأن أشرنا في مبحث الانسان عند المتكلمين ، إلا أنه عند التمعن فيهما، يتعين الأخذ بمجموعها على أساس أن القرآن يفسر بعضه بعضا، فضلا أن التكاليف الشرعية فرضت على الروح والبدن على السواء.[1]

2- إن تحكيم العقل في ميدان الغيب عامة، والآخرة خاصة، تجاوز لطاقته وقدرته، و من ثمة، فإن التصور العقلي لمسألة كيفية البعث، حتى و إن بلغ هذا العقل الذروة والقمة في التأمل، و الدراسة، فإن ذلك لا يعدو أن يكون مجرد الظن . مما يعني عدم التأكد في صحة النتائج . و تأكد ذلك في عجز أئمة التفسير والفلسفة عن الخروج بتعريف موحد للروح فضلا عن الوقوف على حقيقته وفحواه. هذا عن الروح الذي يسكن الجسد وهو في عالم الحس .

فكيف الأمر بالآخرة التي هي من عالم الغيب؟ ولولا لطف ا لله تعالى بالناس الذي كشف النقاب عنها بالوحي، لنالهم جهد وعناء كبيرين وهو مالاحظناه عند السادة الفلاسفة بالذات .

---

[1] أنظر ترجيحنا في مسمى الانسان في : مبحث الانسان عند المفسرين، ص :21، 22 .

ـ إن الإطلاق في التأويل أدى إلى حمل الكلام على التلبيس بتخييل نقيض الحق لمصلحة الخلق، وذلك ما يتقدس عنه منصب النبوة على حد تعبير اليلسوف أبى حامد.[1]

ثم إن القول : بأن ما ورد في الشرع من صور عن حقائق تخص البعث، أمثال لتقريب المعنى، تحكم لا دليل عليه، بناء على مايأتي :

1 ـ إن التسوية في التأويل بين حقائق البعث، وآيات الصفات الإلهية مرفوض من الناحيتين :

أ ـ إن حقائق البعث كلها نصوص ينبغي الوقوف عندها. وليس هناك من داع إلى صرف اللفظ عن مراده. وتجلى ذلك مثلا في قوله تعالى :

﴿ قال من يحي العظام وهي رميم، قل يحييها الذي أنشأها أول مرة ﴾[2]

فقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم : (قل يحييها) دليل صريح ونص واضح على إعادة الأجساد يوم القيامة. ولا يحتاج إلى تأويل لا من قريب ولا من بعيد .

وقوله أيضا : (وأن الله يبعث من في القبور)[3]

من أصرح الأدلة على إعادة الأجساد وبعثها للحساب . فالجملة الفعلية (يبعث من في القبور) تدل بكل جلاء على البعث الجسدي، لأن ساكن القبر هو ذلك الجسد الذي تعرض للبلى والتفتت مع مرور الزمن، ثم إن الجملة الفعلية في هذا السياق افتتحت بحرف التأكيد : (أنّ) فأين مبرر التأويل هنا يا ترى ؟

ب ـ أما عن آيات الصفات الواردة في التشبيه فإنها تحتمل التأويل بناء على عادة العرب في الاستعارة، وخاصة إذا علمنا أن أدلة العقول دلت على استحالة المكان، والجهة، والصورة، ويد الجارحة ... فوجب التأويل اتقاء للوقوع في التشبيه.[4]

---

(1) أنظر تهافت الفلاسفة لأبي حامد ، ص : 209 .

(2) سورة يس، آيتا : 78 ـ79 .

(3) سورة الحج، آية : 7 .

(4) المصدر السابق بتصرف .

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي
والبحث العلمي

جامعة الجزائر
كلية العلوم الإسلامية

[illegible]

[illegible]

إشراف الأستاذ :
الدكتور / عمار جيدل

[illegible] :
[illegible]

السنة الجامعية
1421-1422/ 1423هـ
2001-2002م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي
والبحث العلمي

جامعة الجزائر
كلية العلوم الإسلامية

[illegible]

[illegible]/1423هـ

[illegible]-2002م

4 ـ وآخر النقاط التي سببت هذا الخلاف في هذه المسألة يعود إلى استبعاد القدرة الإلهية، وتجلى ذلك في تعجب الفلاسفة من عودة الأجسام بعد أن أكلتها أجسام أخرى، هل تسود في حالتها الأولى أم في حالتها الثانية، وهكذا ....

إن الجسم في حالة الموت، يتعرض للبلى، سواء أكل هذا الجسم من طرف آكل ما، أم لا، فإن الآكل والمأكول يتحولان إلى تراب، ثم إن القدرة الالهية لم تستبعد عودة هذا أو ذاك. والآيات القرآنية في هذا السياق واضحة وضوح الشمس في النهار. منها مثلا :

قال سبحانه :

﴿ وقالوا أئذا كنا ترابا وعظاما ورفاتا إنا لمبعوثون خلقا جديدا قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة ﴾[1]

وقوله أيضا :

﴿ أفعينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد ﴾[2]

فهاتان الآيتان الكريمتان وغيرهما، لعمري من الدلائل الساطعة على إطراد القدرة الإلهية في كل شيء. ومن ثمة فإن استبعاد القدرة هنا أو هناك مساس بتوحيد الربوبية يعرض صاحبه لهزات تصيب عقيدته في الصميم .

ثانيا :

والسبب الآخر الذي يكون قد خفي على دعاة البعث الروحي، وهو إطراد الزوجية في الكون والحياة، مما يعني أنها في الوقت الذي اطردت في الدنيا فجعلت المخلوقات زوجين اثنين من أجل التكليف والابتلاء فكذلك في الآخرة تكون الزوجية للجزاء، حيث الجمع بين المادة والروح أتم، والموعود أكمل، فيجب التصديق بذلك وفق الشرع .

---

[1] سورة الاسراء، آيتا : 49 ـ 50 .

[2] سورة ق، آية : 15 .

المبحث الرابع

البعث عند المتكلمين

سبق وأن أشرنا إلى أن البعث محل اتفاق بين متكلمي أهل الإسلام قاطبة.[1]

لكن نقطة الخلاف تبقى واردة في مسألتين هما :

أ- طريق إثبات البعث الجسماني .

ب - كيفية البعث، أي إيجاد بعد العدم المحض، أم الجمع بعد تفريق الأجزاء ؟

- فبالنسبة للنقطة الأولى، هل البعث واجب الوقوع بالدليل الشرعي أم العقلي ؟

فالمعتزلة يوجبون البعث بدليل العقل، وتقريره أنه يجب عقلا ثواب المطيع وعقاب العاصي، وذلك لا يتأتى إلا بإعادتهم بأعيانهم، فيجب ذلك، لأن ما لايتم الواجب إلا به فهو واجب، ولا يكفي المعاد الروحي وحده، لأن المطيع والعاصي هو هذا البدن بآلاته وأعضائه ولا يصل الجزاء إلى مستحقه إلا بإعادتها .

---

[1] أنظر في ذلك : شرح المقاصد للتفتازاني 88/5 ، وأشار إلى أن رأي الحكماء - الفلاسفة - روحاني، بينما جمهور المسلمين جسماني.

نفس المصدر

- كما نقل إتفاق أهل القبلة على البعث، العلامة ابن حزم في الفصل 137/4 ولعله لم يعر الاهتمام لدعاة البعث الروحي من الفلاسفة القائلين بذلك كما أشار في نفس الصفحة إلى تكفير من أنكر ذلك .

ويمكن الرد على دعوى المعتزلة بالوجوب العقلي بأن نقول مع صاحب المقاصد[1] :

إنه إن اعتبر الأمر بحسب الحقيقة فالمستحق هو الروح لأنه مبنى الطاعة والعصيان على الادراكات والارادات والأفعال والحركات وهو المبدأ للكل، وإن اعتبر بحسب الظاهر يلزم أن يعاد جميع الأجزاء الكائنة من أول التكليف إلى الممات، ولا يقولون بذلك . اهـ

الترجيح :

الحق أن العقل يقدم لنا دليلين الإمكان هما :

1 ـ الممكن لا ينقلب مستحيلا، فوجود الإنسان ممكن لذاته، بدليل وقوعه، فعوده ثانيا جائز، لأن مقتضى الذات لا يختلف بحسب الأزمنة .

2 ـ إن الله تعالى محيط بكل شيء علما، وقدرته صالحة لجميع الممكنات، وصحة القبول من القابل، والفعل من الفاعل توجب الصحة، أي صحة الوقوع وجوازه قطعا.[2]

ومن هنا نعلم أن الحشر الجسماني ممكن الوقوع عقلا، فإذا أضفنا إليه الأخبار الشرعية بذلك حكمنا بأن الحشر واجب الوقوع بالشرع لأن المعتمد في حشر الأجساد دليل السمع لا دليل العقل .

دلائل البعث الجسماني :

وردت نصوص كثيرة، وخاصة من الكتاب العزيز، تثبت البعث الجسدي والروحي معا، لأن كمال الإنسان لما هو إنسان لا يتم إلا بالحفاظ على جزئية : البدني والروحي، لا أن ينقلب عن حدود نوعه إلى نوع آخر .

---

[1] أنظر شرح المقاصد : 92/5 .

[2] أنظر المواقف : 295/8 .

كل ما هنالك أن النشأة الثانية ـ البعث ـ أجمل وأسمى، فالروح أكثر إشراقا، والبدن أكثر طهرا في جانب الثواب، وأخبث في جانب العقاب ولو كان البعث[1] للأرواح وحدها لنقص من ملكوت ا لله تعالى هذا النوع الكريم المكرم بين الخلق، المؤلف من روح وجسد، ألا وهو الانسان.

فهو يدرك اللذات الروحية واللذات البدنية، ويتحقق بحكم ا لله وأسرار صنعه فيهما معا، من حيث حرم الحيوان والنبات من الأولى، والملائكة من الثانية. وما جنح من جنح من أصحاب النظريات الفلسفية إلى البعث الروحاني المجرد إلا لاحتقارهم اللذات الجسدية وتسميتها بالحيوانية مع شغف أكثرهم بها، وإنما تكون نقصا في الإنسان إذا سخر عقله وقواه لها وحدها حتى صرفه إشتغاله بها عن اللذات العقلية والروحية بالعلم والعرفان، وأصل هذا الإفراط والتفريط غلو الهنود في احتقار الجسد، وجعلهم مدار تربية النفس على تعذيبه بالرياضات الشاقة، وتبعهم في ذلك نسّاك النصارى كما تبعوهم في عقيدة الصلب والفداء والتثليث " اهـ .

ونحن إذا تتبعنا الأدلة السمعية وجدناها تدل على أن المعاد للجسم كما أن الجزاء واقع عل الجسم أيضا، وإليك بعضا منها :

قوله تعالى :

﴿ وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة، وهو بكل خلق عليم ﴾.[2]

[1] أنظر : الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا، ص : 135 بتصرف .

[2] سورة يس، آيتا : 78-79 .

فالآية كما هي صريحة رد صارخ على من استبعد عقلا عودة البدن يوم البعث، ذلك أن قدرة ا لله تعالى لا يعجزها، ولا يمنعها شيء، كما أنها تدعو العقل البشري لأن يستعمل القياس المنطقي فيهتدي بنفسه أن القادر على الخلق إبتداء قادر أيضا على إعادته وبعثه وحسابه أيضا، أو بعبارة أخرى : قياس النشأة الثانية (البعث) على النشأة الأولى (الحياة في الدنيا)[1] .

وفي هذه الآية الكريمة قطع لدابر التأويل الذي ذهب ضحيته دعاة البعث الروحي من بعض الفلاسفة.

ب ـ قوله تبارك اسمه :

﴿ وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة ﴾[2] .

فالقوم استبعدوا أن يرجعوا أحياء ـ يوم البعث ـ بعد أن صاروا عظاما ورفاتا، وقد كانت أجزاء لبدن حي في عهد الحياة الدنيا، فرد ا لله عليهم ـ بأن البعث غير مستحيل في حق ا لله القادر على كل شيء ـ حتى لو صاروا على أوضاع لا تقبل الحياة اصلا كالحجارة أو الحديد أو شيئا آخر ابعد عن قبول الحياة، فإن ا لله العليم القدير يعيدهم يوم البعث فهو الذي خلقهم بعد أن لم يكونوا أصلا.[3]

---

[1] أنظر على سبيل المثال التفاسير التالية :

ـ تفسير الطبري : 465/10.

ـ تفسير الفخر الرازي : 95/26.

ـ تفسير القرطبي : 40/15.

ـ تفسير أبي العود : 180/7.

ـ تفسير الألوسي : 3/86-87.

ـ تفسير البيضاوي : 287/2.

ـ تفسير ابن كثير : 582/3.

ـ تفسير الشوكاني : 383/4 .

[2] سورة الاسراء، آيات : 49-51.

[3] أنظر :

ـ الروح في دراسات المتكلمين والفلاسفة، ص : 219.

ـ ا لله والانسان / عبد الكريم الخطيب، ص : 272،273.

ج - وفي سورة الغاشية تفصيل دقيق للجزاء وبرهان قوي على أن البعث للجسد والروح فضلا عما يلاقيه الناس من أصناف النعيم أوالشقاء يخص الجسد نفسه الذي استبعده الكفار فضلا عن الفلاسفة الذين قالوا بالبعث الروحي وحده. وهو ما يحكيه القرآن الكريم في هذه الآيات :

﴿ هل أتاك حديث الغاشية[1] وجوه يومئذ خاشعة[2] عاملة[3] ناصبة[4] تصلى نارا حامية[5] تسقى من عين آنية[6] ليس لهم طعام إلا من ضريع[7] لا يسمن ولا يغني من جوع ﴾

هذا عن الشقاء الجسدي .

أما عن النعيم الجسدي فتواصل الآيات تقول :

﴿ وجوه يومئذ ناعمة[8] لسعيها راضية[9] في جنة عالية لا تسمع فيها لاغية[10] فيها عين جارية[11] فيها سرر مرفوعة[12] وأكواب موضوعة[13] ونمارق مصفوفة[14] وزرابي مبثوثة[15] ﴾[16] [17] .

---

[1] الغاشية : إسم للقيامة لما تغشى الناس بأهوالها .

[2] خاشعة : ذليلة .

[3] عاملة : دائبة العمل فيما يشقيها ويتعبها .

[4] ناصبة : من التعب الشديد .

[5] حامية : أي نارا مسعرة.

[6] آنية : متناهية في الحرارة .

[7] الضريع : شيء في النار كالشوك، مرّ منتن .

[8] ناعمة : أي ذات بهجة وحسن .

[9] راضية : مطمئنة .

[10] لاغية : لا تسمع في الجنة شتما أو سبا .

[11] عين جارية : أي أن هذه العين تجري بالماء العذب.

[12] سرر مرفوعة : أسرة مرتفعة مكللة بالزبرجد والياقوت .

[13] أكواب موضوعة : أقداح موضوعة على حافة العيون .

[14] نمارق مصفوفة : مخدّات صُفّ بعضها إلى بعض ليستندوا عليها.

[15] زرابي مبثوثة : طنافس فاخرة مبسوطة في أنحاء الجنة .

[16] سورة الغاشية آيات : 1-16.

[17] المفردات مقتبسة من : معاني القرآن وإعرابه للزجاج، 5/317-318.

وكذا : تفسير المشكل من غريب القرآن لأبي طالب القيسي، ص : 300.

وكذا من صفوة التفاسير للصابوني، 3/551-552 .

فالآيات السابقة إذن تصرح بجلاء أن الجزاء بشقيه : الثواب والعقاب يخص الجسد وهو ما نلمسها في المفردات الحسية، مثل : وجوه ... ناصبة ... الضريع ... لاغية ... سرر مرفوعة ... نمارق ... زرابي .

وهذا الجسد المجزى هو الجسد المبعوث من التراب، بعد أن تفرقت أجزاءه، وغاصت في أحشاء الأرض .

وفي هذا دليل بأن الادعاء على أن التمثيل أو الوصف الذي جاءت به آي القرآن جاء ليقرب المعنى، من أجل تفهيم العوام ، مصادمة لهذه النصوص من جهة، وخرق لإجماع العلماء، ونسبة الكذب إلى الرسل عليهم الصلاة والسلام، فيما يتعلق بالتبليغ من جهة ثانية .

وأمام هذه الحقائق الساطعة نجد من بعض الباحثين المعاصرين[1] من راح يتعاطف مع دعاة البعث الروحي من بعض الفلاسفة، ويزعم أن العقيدة الإسلامية لا يهمها سوى الاعتقاد باحقية البعث فقط، أما جانب الكيفية فلا يهم أن تعتقد بهذا أو ذاك. وتلك مغالطة تحتاج إلى برهان ودليل. وأنى له ذلك .

- أما النقطة الثانية المتعلقة بكون البعث عن عدم محض، أم عن جمع الأعضاء المتفرقة هنا وهناك ؟

فالجواب حتى وإن لم يرد دليل قاطع يقول بهذا أو ذاك، إلا أنه يمكن ترجيح القول بإعادة الأجزاء المتفرقة إنطلاقا من الآتي :

1- إن الإعادة عن تفرق الأعضاء في التراب أمر لا يعجز القدرة الإلهية في شيء .

2- إن هذا الأمر من قبيل الممكن، فلا يبعد أن تصير أجساد العباد على صفة التراب ثم يعاد تركيبها إلى ماعهد من قبل، ولا نحيل أن يعدم منها شيء ثم يعاد والله أعلم بعواقبها ومآلها.[2]

---

[1] أنظر : الله والإنسان، عبد الكريم الخطيب، ص : 285.

[2] أنظر : الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد للجويني، ص : 374.

3- إن العلم الحديث[1] أكد أن جميع الأعمال التي يباشرها الإنسان تصـدر عنهـا إهـتزازات حرارية تظل موجودة في الفضاء تعكس صورة العمل، ومن الممكن تجميعها في أي لحظة وهـو مـا يقرب معنى قوله تعالى :

﴿ ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا ﴾[2]

وقوله سبحانه :

﴿ يومئذ تحدث أخبارها ﴾[3] .

---

[1] أنظر : الروح في دراسات المتكلمين والفلاسفة، ص : 158 وما بعدها .

[2] سورة الكهف، آية : 49 .

[3] سورة الزلزلة، آية : 4 .

وورد في تفسير هذه الآية أن الأرض تتحدث وتخبر بما عُمل عليها من خير وشر، وتشهد على كل إنسان بما صنع على ظهرها مصداقا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم الذي أخرجه الامام مسلم عن أبي هريرة أن النبي عليه الصلاة والسلام قرأ هذه الآية، فقال : أتدرون ما أخبارها؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال : فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، تقول عمل يوم كذا، وكذا، فهذه أخبارها . اهـ . نقلا عن : صفوة التفاسير : 591/3 .

.إعادة الأعراض :

وثمة أمور ثانوية لا تدخل في صميم الاعتقاد، وهي اختلاف المتكلمين هل يجوز إعادتها أم يمتنع ؟

ومع كونها ثانوية فإن إعادتها قيد الإمكان تحقيقا للتمايز من جهة، إضافة إلى أن كل ممكن لا ينقلب مستحيلا. وخاصة في جانب قدرة ا لله تبارك اسمه من جهة أخرى .

.أجساد الأنبياء :

أما أجساد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فإنه لا يدخله الخلاف أي أنها لاتعاد عن عدم ولا عن تفريق، بل تعاد كما كانت. مصداقا للحديث الذي يشير إلى :

﴿ أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء ﴾[1] .

---

[1] حديث التحريم على الأرض أكل أجساد الأنبياء رواه أبو داود وصححه ابن خزيمة . أنظر في ذلك :
فتح الباري لابن حجر : 488/6 .

المبحث الخامس

البعث عند التناسخية وغيرها

قبل الوقوف على حقيقة البعث عند هذه الفرقة، لابد من تحديد للمعنى اللغوي، والإصطلاحي لهذه الكلمة .

أولا : التناسخ في اللغة :

التناسخ والمناسخة في اللغة بمعنى : النقل والازالة، يقال : نسخت الكتاب : أي نقلته إلى نسخة أخرى

ونسخت الشمس الظل : إذا أزالته[1] .

ثانيا : التناسخ في الإصطلاح، وله معنيان : فقهي، عقائدي .

أ ـ المعنى الفقهي هو :

أن يموت بعض الورثة قبل قسمة ترك الميت، فينتقل نصيبه إلى الورثة الآخرين،[2] وكأنه بهذا الإنتقال نُسِخ نصيبه من التركة بسبب الموت .

ب ـ المعنى العقائدي هو :

رجوع الروح بعد موت الإنسان إلى العالم الأرضي متلبسة بجسد جديد[3] وهو أنواع :[4]

---

[1] أنظر : المعجم الوسيط، 924/2 .

[2] أنظر : المواريث في الشريعة الاسلامية للصابوني ، ص : 152 .

[3] أنظر : المعجم الوسيط : 925/2 .

[4] أنظر : المواقف : 300/8 .

أ- النسخ : رجوع الروح إلى بدن إنسان آخر .

ب - المسخ : رجوع الروح إلى بدن حيوان .

ج - الرسخ : رجوع الروح إلى جسم نباتي .

د- الفسخ : رجوع الروح إلى جسم جمادي .

منشأ التناسخ :

أصل التناسخ يعود إلى فرقة من الصائبة تسمى الحرنانية كما حكى الشهرستاني،[1] والتناسخ كما يضيف في موضع آخر : (هو أن تتكرر الأكوار والأدوار إلى ما لا نهاية، ويحدث في كل دور مثل ما حدث في الأول، والثواب والعقاب في هذه الدار، لا في دار اخرى لا عمل فيها)[2] .

[1] أنظر : الملل والنحل للشهرستاني، 55/2، في طائفة الحرنانية، وفي صائفة التنوية، نفس المصدر 254/1.

- كما أن الفرقة البراهمة دور كبير في إشاعة التناسخ، فالقول به من أخص عقائدهم .

أنظر : دائرة المعارف القرن العشرين، وجدي 161/2.

[2] أنظر : الملل والنحل : 55/2 .

كما يلاحظ أن مذهب التناسخية لم يتوقف عند حد هذه الطوائف بل امتد حتى إلى المحيط الإسلامي، مما حدا ببعض فرق الشيعة أن تقول بأن الأرواح تتناسخ من شخص إلى آخر سواء كان من بني الإنسان أو من الحيوان، وأن روح الله تناسخت حتى وصلت إلى إمامهم وحلت فيه.[1]

أولا : شبه القائلين بالتناسخ ونقضها :

بالنظر إلى القائلين بالتناسخ نجد أن منهم منتسبين إلى الإسلام، وهؤلاء حاولوا جذب بعض النصوص. ومن هنا نجد اتجاهين في الاستدلال :

1- الاتجاه العام وهو التمسك ببعض الشبهات العقلية .

2- الإتجاه الخاص وهو لَيُّ بعض النصوص الدينية، وسنختار نموذجا لكل اتجاه .

[1] وممن قال بذلك أيضا : أحمد بن حابط، وأحمد بن نانوس، وأبو مسلم الخاساني، ومحمد بن زكريا الرازي، وقال : لولا أنه لا سبيل إلى تخليص الأرواح عن الأجساد المتصورة بالصور البهيمية إلى الأجساد المتصورة بصور الانسان إلا بالقتل، والذبح، لما جاز ذبح شيء من الحيوان البتة .

انظر في ذلك :

- الفصل لابن حزم : 165/1.

- الملل للشهرستاني : 151/1 .

النموذج الأول من الاتجاه العام :

(قال بعض من ذهب إلى التناسخ الحاملين ذلك على سبيل الجزاء أن ا لله تعالى عدل، حكيم، رحيم، كريم، وإذا هو كذلك، فمحال أن يعذب من لا ذنب له، فلما وجدناه تعالى يقطع أجسام الصبيان الذين لا ذنب لهم، بالجدرى، والقروح، ويأمر بذبح بعض الحيوان الذي لا ذنب له، وبطبخه وأكله، وتسليط بعضه على بعض فيقطعه ويأكله ولا ذنب له، علمنا أنه تعالى لم يفعل ذلك إلا وقد كانت الأرواح عصاة مستحقة للعقاب بلبس هذه الأجساد لتعذب فيها).[1]

الرد :

إن ما يقع لهؤلاء الأطفال من أصناف المحن ليس بالضرورة أن يكون عقابا، فلعله امتحان لآبائهم، مصداقا لقوله تعالى :

﴿ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ﴾.[2]

وما يصاب به الإنسان طفلا أو كهلا لا يستدل به على سوء العمل وسيء السلوك، فلعله رفع للدرجات، فإن المرء يبتلى على قدر دينه، والشدائد محك المحن، كما قال جل شأنه :

﴿ ومن الناس من يعبد ا لله على حرف فإن أصابه خير إطمأن به، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ﴾.[3]

---

(1) أنظر : الفصل لابن حزم: 168/1.

(2) سورة البقرة، آية : 155 .

(3) سورة الحج، آية : 11 .

ثم إن الخير والشر أمر نسبي، بل يذهب البعض إلى أنهما عنصران متكاملان لابد منهما، والحياة الدنيا قائمة على الجمع بين الأضداد : كفر وإيمان باطل وحق، صحة ومرض، غنى وفقر، وهكذا ... والصراع دائم حتى يرث الله الارض ومن عليها :

﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ﴾.[1]

كما ينبغي أن يعلم الذي هو قانون الحياة يكون بالشر والخير كما قال سبحانه :

﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ﴾[2] .

يقول الأستاذ فتحي رضوان :[3]

(فالله يبتلي الإنسان بالسلطان، والثروة، والنفوذ، وجمال الوجه، وحب الناس، وكثرة العلم ... وقد يكون له من وراء ذلك شرور وأذى كبير ... كما يبتليه بالضعف والمرض والجهل ... ويكون له من وراء ذلك خير كبير .

- ففي الأولى قد يبطره الجاه والمال ويدخل في قلبه الغرور ويضيع عليه فرصا ويجلب عليه كراهية الناس، فيفقد كل ما جمع .

- وفي الثانية قد يدفع شعور الإنسان بجهله إلى طلب العلم، ويدفعه الفقر إلى التواضع، وتألف الناس، وضبط النفس، واحتمال مشتقات الحياة ... وما يحدث للأفراد يحدث للجماعات فكم من جماعة ابتليت بموقع من الأرض جدب، فأحسنت رعايته واستخرجت من الكنوز والثروات، وأخرى أصابت موقعا غنيا وسخيا ... فأورثها الله الرخاء والترف ... ثم أتى عليها أقوام أجلاف لا نصيب لهم من العلم والمدنية ... وهذا هو قانون الحضارة الدائم : أمم تعلو بجدّها وصبرها،

---

[1] سورة البقرة، آية : 251 .

[2] سورة الأنبياء، آية : 35.

[3] الإسلام ومشكلات الفكر ، ص : 50 .

وتقوى بتماسك أبنائها، وتحملهم المشاق، فإذا حققت الثروة والجاه غفلت عن سلاحها، وأهملت علمها، فإذا هي لقمة سائغة لغيرها ممن هم اقل منها علما وثروة، وأكثر منها جلدا وصبرا. وفي القرآن نماذج لذلك، منها مثلا :

﴿ أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ﴾[1] .

وهذا هو القانون الذي يفسر به المؤرخ الانجليزي الشهير (توينبي) التاريخ العام ويسميه قانون التحدي، فمن نزل به شر، سواء كان ضيقا في الرزق، أو فقرا في الأرض، أو ابتلاء بجار لا يكف عن العدوان، حفزه ذلك المكروه إلى تجميع قوته، واستثارة كامن مواهبه ليعلو عليها وينجو منها، فإذا هو أحسن حالا وأقوى مما كان، وأقدر على الحياة " اهـ.

وحديثا قيل في هذا الشأن : الأزمة تولد الهمة.

أما ذبح الحيوان فإنما هو تكريم للانسان الذي فضله الخالق سبحانه إضافة إلى مسخرات أخرى كي يمارس الانسان مهام خلافته على وجه هذه البسيطة .

النموذج الثاني : من الاتجاه الخاص

قال تعالى :

﴿ يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك ﴾[2]

والمعنى في زعم التناسخية أن روح الانسان تنتقل في صور شتى إنسانية كانت أو غير إنسانية .

---

[1] سورة غافر، آية : 82 .

[2] سورة الانفطار، آيات : 6-8.

والجواب :

إن الآية أبعد ما تكون عن التناسخ، والسورة مسوقة لتذكير الانسان بيوم الجزاء، يوم تعلم كل نفس ما قدمت وأخرت، ثم هي تقدم له عجائب التكوين والخلق الدالين على قدرة العزيز الخلاق.

ولنستمع إلى علامة الشام القاسمي[1] حين يقول : (الذي خلقك فسواك) أي جعلك سويا متساوي الأعضاء والقوى.

وأصل التسوية : جعل الأشياء على سواء، فتكون وفق الحكمة ومقتضاها بإعطائها ما تتم به.

(فعدّلك) أي جعلك معتدلا، متناسب الخلق، معتدل القامة لا كالبهائم وقرئ بالتخفيف (فعدلك) بمعنى صرفك عن خلقة غيرك إلى خلقة حسنة ميزت بها على سائر الحيوان .

(في أي صورة ما شاء ركبك) أي في أي صورة شاءها ركبك عليها ... والقصد من هذا أن من قدر على هذا الخلق العجيب لجدير أن يتقي بأسه وبطشه ...)اهـ.[2]

هذا والرد العام على التناسخية هو أن قولهم رجم بالغيب، وتوسيع لأوهام دائرة الخيال، فما كانت قصة الخلق المعجزة والعظيمة أن تفسر هكذا بهذه السذاجة، بل لابد لأن تكون دليلا ساطعا على وجود الله تعالى فضلا عن قدرته .

---

(1) هو جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم القاسمي : (1283 ـ 1332) هـ (1866 ـ 1914) م من أعلام الشام في التفسير والفقه والحديث والتوحيد، له تفسير مشهور : محاسن التأويل، أنظر ترجمته في :

ـ الاعلام للزركلي 131/2،

ـ تراجم أعيان دمشق، ص : 118 .

(2) أنظر : محاسن التأويل للقاسمي : تفسير سورة الانفطار : 423/9 .

ثانيا : دعوى البعث في الدنيا والرد عليها [1]

قد يستغرب القارئ الكريم عنوان هذا الفصل الذي يوحي بإمكان وقوع البعث في الدنيا، مع أن البعث الشرعي يحدث يوم القيامة .

ولإزالة هذا الاستغراب عني وعن القارئ المفضال، أستسمحه في الإحالة إلى كتاب اطلعت عليه أخيرا، وأشرت إليه في الهامش رقم :[2]، وكان موجودا في مكتبة قسم الفلسفة بجامعة بوزريعة تحت رقم : 1427، وكم كانت الصدمة شديدة أن أجد في هذا لكتاب الضخم إدعاءات تشير إلى إمكانية حدوث البعث في الدنيا، وتقحم نصوصا قرآنية تبدو في نظر أصحابها أن المسألة لا تتعارض مع العقيدة الإسلامية. كما اشتمل الكتاب على جملة من آراء لباحثين غربيين، وخاصة في الولايات المتحدة الأميركية، وقد دفعهم الفضول إلى تخصيص كليات لرصد هذا الحدث، وتوظيف نتائجه في الدراسات النفسية والإجتماعية، وكانت أهم تلك الجامعات مايلي :

1ـ جامعة هوارد بمدينة واشنطن .

2ـ جامعة أدلفي بمدينة نيويورك .

3ـ جامعة لاسال بمدينة فيلادلفيا .

4ـ جامعة فيرجينيا بمدينة فيرجينيا .

5ـ كلية كاليفورنيا بمدينة كاليفورنيا .

---

[1] ورد البعث بمعنى الإحياء في الدنيا في شأن الرجل الصالح ـ عزير ـ على الرأي المشهور عند المفسرين. وذلك في قوله تعالى: ﴿ أو كالذي مر على قرية ...... إلى قوله : فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير ﴾ البقرة آية : 259. وكذلك في شأن الخليل إبراهيم عليه السلام حينما سأل الله تعالى لبريه كيف يحي الموتى على سبيل الرغبة في زيادة العلم، لا على جهة الشك/ كما يشاع .
وتجلى ذلك في قوله تعالى:﴿ وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحي الموتى، قال أو لم تؤمن، قال بلى، ولكن ليطمئن قلبي ... الآية ﴾ البقرة، آية : 260.

أنظر : حقيقة الرجل الصالح ، وحكمة سؤال إبراهيم ربه في

ـ ابن كثير ج1، ص : 315،314.

[2] أنظر : في العودة لتجسيد بين الإعتقاد والعلم والفلسفة، ص : 27 . للمؤلف : د/ رؤوف عبيد .

4- إنها تلقى الأضواء على العديد من الروابط الإجتماعية والوراثية التي لا يزال أمرها مجهولا .

5- إنها تثبت بطريقة علمية نهائية صحة دوام حياة الإنسان بعد الموت، وبالتالي استقلال الروح عن الجسد، فقد ثبت نهائيا أقوى دعائم الإيمان النقي، ولعزاء الإنسان عن آلام حاضره ومستقبله .

6- إنها تلقى أضواء لها قيمتها على جوانب كثيرة من الإعتقاد في كل صوره، وارتباطاته، وتمهد السبيل للتوفيق بين العقل والنحل .

إنها تعطي مفاهيم وتطبيقات حية عن حقيقة الصلة بين العقل والمادة). اهـ[1]

تأويل النصوص :

من النصوص القرآنية التي أوردها، هذه الآيات القرآنية التي أكتفي بالإشارة إلى أرقام آياتها، ثم أكتبها بالتمام في معرض الرد :

1- آيتا البقرة : 28-29 .آية يونس :34 ، آية طه : 55، آية الحج : 66، آية العنكبوت : 19، آية الروم : 11، آية غافر : 11، آية فصلت : 21 .

2- إستدل بأقوال غير مختصين في التفسير، وهو ما يعتبر استهزاء بحرمة قواعد التفسير التي سار عليها أهل الاختصاص[2] .

الرد :

أولا : تعريف المؤلف للبعث الدنيوي - على حد زعمه - بأنه :

---

[1] نفس المرجع ، ص : 34.

[2] نقل السيوطي في الإتقان عن الزركشي في البرهان خلاصة شروط التفسير بالرأي، هي :

أ - النقل عن الرسول - ص - مع التحرز عن الضعيف والموضوع

ب - الأخذ بقول الصحابي الذي قيل عنه إنه في حكم المرفوع .

ج - الأخذ بمطلق اللغة مع الإحتراز عن صرف الآيات إلى ما لايدل عليه الكثير من كلام العرب

د - الأخذ بما يقتضيه الكلام، ويدل عليه قانون الشرع. اهـ

أنظر : البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ج2، ص : 156 - 161، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وكذا : الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ج:2، ص : 175 وما بعدها .

(عودة المبدأ الروحي في الإنسان إلى غلاف لحمي جديد) هو عين التناسخ الذي رفضه بحجة أن التناسخ في رأيه :

(تقمص روح الإنسان لجسد الحيوان) في حين نجد التناسخ في عرف القدماء هو :

(... أن تتكرر الأدوار والأكوار إلى ما لانهاية ... ويحدث في كل دور مثل ما حدث في الأول، والثواب والعقاب في هذه الدار، لا في دار أخرى لا عمل فيها).[1]

وسواء عادت روح الإنسان الميت إلى بدن إنسان آخر، أو بدن حيوان فإن الحالة هذه تسمى تناسخا، حتى وإن رفضتها الروح العلمية على حد تعبير المؤلف .

ثانيا : لم يحدث في تاريخ البشرية أن عاد ميّت إلى الحياة، وما حدث من إحياء الله تعالى لبعض الموتى لبعض الأنبياء والمرسلين مجرد معجزة لذلك الرسول أو النبي فقط .

ثالثا : توقع المؤلف ظهور تلك النتائج، تتحقق، لو صحت تلك النظرية، كما أن تلك النظرية تعتبر امتدادا للفكر التناسخي الذي يؤمن بديمومة الحياة البشرية، ونكران الحياة الأخرى التي أعدت للجزاء، كما أن الجزاء المطلق المبني على العدل والإنصاف لم يتحقق حتى لو سلمنا بنظرية التناسخ التي لا تؤمن بالجزاء إلا في الدنيا .

ولعل انتفاء الجزاء الأكمل في الدنيا هو الدافع الأهم لإيجاب الجزاء في الآخرة من زاوية

[1] عرف الشهرستاني التناسخ بأنه : [.... أن تتكرر الأدوار والأكوار إلى ما لانهاية ... ويحدث في كل دور مثل ما حدث في الأول، والثواب والعقاب في هذه الدار، لا في دار أخرى لا عمل فيها]

أنظر : الملل والنحل للشهرستاني، ج :2، ص : 55.

وفكرة تناسخ الأرواح كما يؤمن بها الهندوس أنها عامة على كل الكائنات، سواء كانت بشرية، أو حيوانية، أو نباتية، فكلها يحكمها قانون واحد، فلا تختلف روح عن روح إلا بقدر ما يقوم صاحبها من أعمال .

أنظر : قصة الديانات، ص : 86 - 91، تأليف : سليمان مظهر .

النظرية الأخلاقية التي نادى بها في القديم والحديث فريق من العلماء.[1]

رابعا : نصوص القرآن الكريم تنفي بشدة إمكانية عودة الموتى إلى احياة الدنيا، وتحت أية صفة كانت، وذلك أن الدنيا دار عمل، وأن الآخرة دار جزاء، ولا مجال لعودة الموتى إلى الحياة، وخاصة إن كانوا ممن ضيعوا حياتهم سدى. وهذا ما تقره هذه الآيات على سبيل المثال :

- قوله تعالى :

﴿ قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾[2]

ففي هذه الآية تصريح بأن الموت الذي يفر منه الناس حتم لازم، يلاقيهم يوما ما ، ثم تنتقل الأرواح إلى عالم الغيب لترى ما قدمت من خير أو شر، فحرف عطف : - ثم - يفيد لانتقال الروح من الدنيا إلى الآخرة، وعدم العودة ثانية، وهو ما يتضمنه فعلا : (تردّون)، و (ينبئكم).

وفي آية أخرى، وهي أصرح من الأولى في الدلالة على عدم عودة الموتى إلى الحياة الدنيا ، قال تعالى :

﴿ حتى إذا جاء أحدكم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴾[3]

فهذه الآية تتحدث عن تمني الميت العودة إلى الدنيا لاستدراك مافات، لكن المولى تبارك اسمه،

---

[1] من الفلاسفة القدامى الذين رأوا إمكانية الحياة بعد الموت على أساس أخلاقي، سقراط، وأفلاطون. وقد أشار سقراط في حوار مع تلاميذه في السجن : [ولابد أن يكون مصير النفوس الخيرة أحسن، وأن يكون للنفوس الشريرة أسوأ مصير] نقلا عن : الأصول الأفلاطونية - فيدون - للدكتور النشار، وعباس الشربيني، ص : 47، 48.

- ومن علماء الإسلام : المعتزلة الذين لا يختلفون مع أهل السنة في التدليل على يوم الآخرة باعتباره محل اتفاق، إلا أنهم يتميزون عنهم في التصور الذي يتضح في الإتجاه الأخلاقي، وإطلاقهم عليه اصطلاح أصل الوعد والوعيد وهو بدوره مستمد من أصول العدل، حيث تقتضي العدالة المطلقة لله أن يثيب الأخيار، ويعاقب الأشرار .

أنظر : شرح الأصول الخمسة، ص : 125 وما بعدها، للقاضي عبد الجبار بتصرف، شرح أحمد بن الحسين ابن أبي هاشم .

وكذا : الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي، ص : 95 وما بعدها للدكتور أحمد محمود الصبحي .

ومن مفكري العصر الحديث، الفيلسوف الألماني كانط الذي رأى أن إنكار البعث لا يقف إلى جانب القاعدة الخلقية من حيث وجوب افتراض ديمومة أبدية للوجود الإنساني كشرط ضروري لتحقيق الخير الأقصى. اهـ . عن الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي، ص : 95. د/ أحمد محمود الصبحي .

[2] سورة الجمعة ، آية : 8.

[3] سورة المؤمنون، آيتا : 99-100.

رد عليه بالردع و الزجر، أن لا رجوع إلى الدنيا، ولا فائدة من التحسر والتأوه، وقد فات الأوان.

خامسا : دعوى المؤلف إمكانية تسليط الأضواء لمعرفة خفايا نفوس العام والخاص من النـاس، أمـر ترفضه الشريعة، وذلك لاستحالة عودة الموتى إلى مسرح الحياة . وعليه إذا أرادت الهيئات التعليمية في أمريكا أو في غيرها، أن تتعرف على أسرار نفوس البشر، عليها أن تركز عل الدرسات الميدانيـة لحياة الناس، وأن توظف الأساطيل الإعلامية في عـالم الإتصـال، وتشـجع البحـث العلمـي في هـذا النطاق، ومن ثمة يمكن أن تخرج بنتائج تقودها إلى الهدف المنشود، وماعدا هذا المجـال فضـرب مـن تبديد الطاقة، وتضييع للجهد .

سادسا : تأويل النصوص :

من النصوص التي أوردها المؤلف لتدعيم هذا الطـرح، هـذه الآيـات القرآنيـة الـتي نعرضهـا واحدة واحدة :

- **الآية الأولى** : قوله تعالى : ﴿ كيف تكفرون با لله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون ﴾[1]

والمعنى المستوحى من الآية : كيف تجحدون الخالق سبحانه بعد أن كنتـم في العـدم نطفـا ... ثـم أخرجكم إلى الدنيا، ثم يميتكم عند انقضـاء الأجـل، ثـم يحييكـم عنـد البعـث والنشـور للحسـاب والجزاء ؟[2]

---

(1) سورة البقرة، آية: 28.

(2) أنظر ابن كثير : ص : 66-67، ج:1.

وكذا : فتح القدير، ص: 59، ج:1، للشوكاني .

فأين في الآية ما يشير إلى عودة الموتى إلى الحياة من جديد، حتى تتمكن مدارس علم النفس من إجراء اختبارات ومعرفة النتائج ؟

ـ **الآية الثانية** : قوله تعالى : ﴿ قل ا لله يبدؤ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون ﴾[1]

وسياق الآية أن ا لله وحده هو الذي يحـي ويميـت، ويبـدأ ويعيـد، وليـس أحـد مـن هـؤلاء الآلهة المزعومة يفعل ذلك، والآية سيقت مساق إظهار قدرة ا لله تعالى وتعجيز الآلهة المزعومة[2] .

ـ **الآية الثالثة** : قوله جل شأنه : ﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم، ومنها نخرجكم تارة أخـرى ﴾[3]

أي من الأرض خلقناكم أيها الناس، وإليهـا تعـودون بعـد مماتكم، فتصـيرون ترابـا، ومـن الأرض نخرجكم مرة أخرى للبعث والحساب.[4]

ـ **الآية الرابعة** : قوله تبـارك إسمـه : ﴿ وهـو الـذي أحيـاكم ثـم يميتكـم، ثـم يحييكـم إن الإنسـان لكفور﴾[5]

أي أن ا لله تعالى أحياكم بعد أن كنتم عدما، ثم يميتكم عند انقضاء الأجل، ثم يحييكم بعد الموت للحساب، فالإنسان الكافر كثير الجحود با لله سبحانه، وبنعمه.[6]

ـ **الآية الخامسة** : قوله تعالى : ﴿ أو لم يروا كيـف يبـدئ ا لله الخلـق ثـم يعيـده إن ذلـك علـى ا لله يسير﴾[7]

---

[1] سورة يونس، آية : 34.

[2] ابن كثير، ص : 417، ج : 2، فتح القدير، ص : 444، ج : 2.

[3] سورة طه، آية : 55.

[4] ابن كثير، ص: 156، ج:3، فتح القدير، ص : 370، ج:3.

[5] سورة الحج، آية : 66.

[6] نفس المعنى عند ابن كثير، ص: 233، ج:3، فتح القدير، ص:466، ج:3.

[7] سورة العنكبوت، آية : 19.

تشير الآية إلى أن الله تعالى القادر على الخلق إبتداء من العدم، قادر على الإعادة يوم البعث والحشر، وهي دعوة إلى الكفار خاصة حتى ينظروا ويتبصروا في قدرته جل شأنه.[1]

ـ **الآية السادسة** : قوله تعالى : ﴿ الله يبدؤ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون ﴾[2]

والآية كسابقتها في المعنى والسياق .

ـ **الآية السابعة** : قوله تعالى : ﴿ قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين ﴾[3]

فالموتتان والحياتان عند جمهور المفسرين، أن الموتة الأولى كانوا في العدم، والثانية موت الدنيا، والحياة الأولى حياة الدنيا، والحياة الثانية حياة يوم البعث.[4]

كما أن باقي الآية يتجلى في تمني الموتى العودة في الدنيا :

﴿ فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل ﴾[5]

أي خروج لنا من النار، ورجوعنا إلى الدنيا من سبيل.[6]

ومثل هذا قولهم الذي حكاه عنهم القرآن في قوله تعالى :

﴿ فهل إلى مرد من سبيل ﴾[7]

وقوله :﴿ ياليتنا نرد ﴾[8]

وهذا ما غاب عن المؤلف الذي لم يعرض الآيات التي تتحدث عن تمني الموتى الرجعة إلى الدنيا .

---

[1] ابن كثير، ص : 408، ج3، فتح القدير، ص : 197، ج :4.

[2] سورة الروم، آية : 11.

[3] سورة غافر، آية : 11.

[4] ابن كثير، ص : 73، ج:4، فتح القدير، ص : 484، ج: 4.

[5] سورة غافر، آية : 11.

[6] فتح القدير، ص : 484، ج : 4.

[7] سورة الشورى، آية : 44.

[8] سورة الأنعام، آية : 27.

- **الآية الثامنة** : قوله تعالى : ﴿ وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون ﴾[1]
أي أوجدكم من العدم، وأحياكم بعد أن لم تكونوا شيئا، وإليه وحده تردون بالبعث إلى الحساب.[2]

هذه هي الآيات التي استدل بها المؤلف، وهي بعيدة كل البعد عن مراد المؤلف، كما أن المفسرين الذين استعان بهم، وخاصة تفسير الآية الأخيرة، نجد أنهم يفتقرون إلى ثقافة التفسير التي بينها علماء الاختصاص[3] ، فضلا أن عودة الموتى إلى الدنيا تتنافى مع حكمة الله تعالى المنزهة عن العبث، مصداقا لقوله سبحانه :

﴿ وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ﴾[4]

وقوله : ﴿ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ﴾[5] .

---

[1] سورة فصلت، آية : 21.

[2] صفوة التفاسير، ص : 120، ج:3 لـ : محمد علي الصابوني، بتصرف.

[3] تقدمت شروط المفسر في هامش رقم :2 ص : 163

[4] سورة الدخان، آية : 38.

[5] سورة ص، آية : 27.

كما أن الذين إستعان بهم في تفسير آية فصلت رقم : ليسوا مختصين في التفسير، فضلا أن آراءهم في الآية الكريمة تعتبر شاذة لم يقل بها أحد من أهل التفسير، كما أنها لا تشير إلى التناسخ الذي قال به السهروردي : (وقد يكون التناسخ ف دائرة النوع الواحد، فمن بدن الإنسان إلى بدن إنسان آخر . اهـ. عن : في العودة للتجسيد، ص : 94.

كما أن القائلين بالتناسخ كفار على حد تعبير العلامة القاضي عياض، في كتابه : الشفا، ص : 283، ج:2.

إضافة إلى ذلك، أورد المؤلف في كتابه : في العودة للتجسيد، ص :(98) أن آية فصلت رقم : 21، تشير إلى وجود خلق الإنسان أكثر من مرة، وعزا هذا القول إلى الدكتور عبد الرزاق نوفل، فالدكتور نوفل باحث في الدراسات العلمية التي تساهم في تقوية الإيمان عن طريق ربط نصوص القرآن بالمظاهر الكونية، لكن مع هذا الجهد المشكور له، ليس مفسرا، وليس صائبا فيما ذهب إليه، لأنه يفتقر إلى دليل يدعم هذاا لرأي، كما أنه في تفسيره لهذه الآية تعسف ما بعده تعسف .

كما ختم المؤلف موضوعه في إمكانية عودة الموتى إلى الدنيا، برأي الدكتور نوفل الذي سبقت الإشارة إليه، وكذلك إستأنس بقول الدكتور عبد العزيز جادوا الذي قال : إن هذه العقيدة ـ أي عودة الموتى إلى الحياة ـ أمر أقره الإسلام. اهـ من : في العودة للتجسيد، ص : 104.

فأين الدليل على هذه المشروعية يا سعادة الدكتور؟ وأين أنت من آية المؤمنون التي تنفي ذلك بشدة، حين يقول تعالى :

﴿ حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت، كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴾ ؟
المؤمنون آية : 99-100 .

ولا حول لا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثالثا : دعوى تحديد زمن قيام الساعة .قرب البعث .والرد عليها

تحت عنوان : [**دروس من القرآن : نهاية العالم**] كتب أحد الأساتذة[1] الجامعيين الذين اغتروا بدنيا العلم، ولغة الكمبيوتر، وأدى به هذا الغرور إلى أن يزعم أمام العام والخاص، بأن العالم ينتهي في سنة : 1710 هـ، 2280 م، معتمدا في ذلك على أدلة ظنية، وأخرى ضعيفة من حيث السند، لا ترقى للعمل حتى في فضائل الأعمال. فضلا أن تكون مرجعا للإستدلال في أمر هام يتعلق بركن ركين من العقيدة الإسلامية، ألا وهو ميعاد قيام الساعة، الذي لم يعلم به أحد من الناس، حتى أشرف الناس سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. ولسنا ندري كيف غاب هذا الأمر على ذهن الأستاذ المحترم أن موعد الساعة من اختصاص علم الله سبحانه الذي أحاط بكل شيء علما .

كما يحق لنا كسائر الناس الذين أدهشهم خبر تحديد وقت قيام الساعة الذي زعمه صاحبنا، أن نسأله جملة أسئلة علّه يستطيع الجواب عنها، منها على سبيل المثال : لماذا يكون ميعاد قيام الساعة في سنة 1710 هـ، 2280 م بالذات، وما هي المناسبة من ذلك ؟ وإذا كان ذلك ممكنا عند أستاذنا، فما يمنعه من تحديد أجله، طالما أن الأجل ووقت قيام الساعة يشتركان في صفة الغيب؟

ثم إذا كان ذلك غيبا كما يعلم أستاذنا جيدا، فما هي الوسائل التي استخدمها لرصد اكتشافه في الآفاق، طالما أن المسالة خارجة عن الجهد العقلي، وفعالية آلات الرصد ؟

والأسئلة كثيرة تبقى مطروحة تنتظر الإجابة والرد بلهف وشوق، وأنى لأستاذنا أن يفعل شيئا .

وبعد هذه الأسئلة، لا بأس أن نشرع في سرد شبهه التي اتخذها سبيلا لإذاعة هذا الخبر

---

[1] هو الدكتور : رشاد خليفة. في بحث له تحت عنوان :

دروس من القرآن : نهاية العالم. نشر في مجلة العلم والإيمان. عدد : 74 ، 1982 عبر صفحات : 7-26.

الخطير، الذي لو صحّ، لكان ثابطا للعزائم وشللا للأقدام، فما أرحمك يا رحمان حين أخفيت آجال الناس، وميعاد الساعة عن الأنظار، حتى يكون الناس بذلك أكثر استعدادا لاستدراك ما فاتهم من أعمال، و لله المثل الأعلى المتصف بالعزيز الحكيم الذي لا يتصرف في ملكه إلا عن حكمة وصواب .

سرد جملة من الشبه التي اعتمدها الباحث لإثبات اكتشافه :

من ضمن الشبه التي اعتمدها الباحث الكريم لإثبات صحة دعواه فيما ذهب إليه من زعم في تحديد ميعاد قيام الساعة، مايلي :

1- كون المخترعات الحديثة من هاتف، وسيارات، وطائرات، وسفن فضاء وغيرها .

كانت بالنسبة لمن قبلنا من الأمور التي يجهلونها، ولكن تبقى في علم الله تعالى واردة، لأنه يعلم العلم الشامل الذي يجمع الماضي والحاضر والمستقبل بكل جزئياته وكلياته .

واستشهد الباحث الكريم لهذا العلم الرباني بلآيات القرآنية التالية :

- آية المائدة، قوله تعالى : ﴿ يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب﴾[1]

- آية الأنعام، قوله تعالى : ﴿ وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ... الآية ﴾[2]

- آية يونس ، قوله تعالى : ﴿ فقل إنما الغيب لله .... الآية ﴾[3]

- آية النمل، قوله تعالى : ﴿ قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله ﴾[4]

- آية الجن، قوله تعالى : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا ﴾[5]

2 - استشهد بقوله تعالى في : ﴿ إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتُجزى كل نفس بما تسعى ﴾[6]

ومحل الشاهد عند الباحث جملة - أكاد أخفيها - تعني أن موعد نهاية العالم سوف يتم الإزاحة عنه قبل حلول النهاية - أي نهاية العالم - .

---

[1] سورة المائدة، آية : 109.

[2] سورة الأنعام، آية : 59.

[3] سورة يونس، آية : 20.

[4] سورة النمل، آية : 65.

[5] سورة الجن، آية : 26.

[6] سورة طه، آية : 15.

3 - اعتمد أيضا في دعواه على حساب الجمل الذي يعطي كل حرف رقما معينا، وعلى هذا فإن الأحرف المقطعة التي افتتحت بها بعض سور القرآن الكريم مثل : (الم - كهيعص - ن - ق - ص - وغيرها) لها ارتباط وثيق بنهاية العالم .

4 - إضافة إلى ذلك، إستدلاله بحديث ذكره بعض المفسرين، ولا يسعنا عرضه لطوله، ومفاده أن يهود المدينة سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم عن مدة ملكه، فقرأ عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم : الم، فقال أحدهم : إن الألف = 1، واللام = 30، والميم = 40، فقالوا إن مجموع هذه الحروف = 71 سنة، أفتدخلون في دين عمره : 71 سنة ؟، فلما قرأ عليهم فواتح أخرى مثل : المر ، طس، كهيعص، اختلط عليهم الأمر، وهكذا .... فقالوا لقد تشابه علينا الأمر ...... الحديث[1] .

5 - استشهد كذلك بالقيمة العددية للسبع المثاني، معتبرا أن السور السبعة مثاني بمعنى مكررة، والسبع المثاني على حد تعبير المؤلف هي السور الاتية مع إعطائها الأرقام التي تساويها حسب حساب الجمل :

إسم السورة	الرقم العددي	إسم السورة	الرقم العددي
1- ق، ق =	100	8- البقرة، الم = 1+30+40 =	71
2- القلم، ن =	50	9- ابراهيم، المر =1+30+200 =	231
3- ص ، ص =	90	10- الشعراء، طسم = 9+60+40 =	109
4- غافر، حم = 8+40 =	48	11- الشورى، عسق = 70+60+100	230
5- يس، يس = 10+60 =	70	12- الأعراف، المص = 1+30+40+90	161
6- طه، طه = 9+5 =	14	13- الرعد، المر = 1+30+40+200 =	271
7- النمل، طس = 9+60 =	69	14- مريم، كهيعص = 20+5+10+70+90 = 195	195
المجموع الكلي = 1709 =	441	-------- + ---------	1268

[1] تفسير ابن كثير، 38/1.

5-وبطرح تاريخ الإكتشاف بالحساب الهجري (1400هـ) من المجموع السابق : 1709، أي هكـذا : 1709 − 1400 = 309، ورقم (309) رقم قرآني مستنبط من آية الكهف، قوله تعالى: ﴿ ولبثـوا في كهفهم ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعا ﴾[1] .

[1] سورة الكهف، آية : 25.

مناقشة الأدلة

إن الأدلة التي ساقها أستاذنا المحترم تفتقر إلى كثير من الوضوح فضلا أن تكون في مستوى الاكتشاف العلمي المطلوب الذي يصبو إليه كل باحث أو فيلسوف .

* ففي الدليل رقم 1 نجد الباحث الكريم يربط بين الآلات الصناعية الحديثة التي كانت غيبا حقا على الأمم السابقة التي لم يدر في خلدها ما تخفيه الأقدار من أحداث المستقبل الصناعية وغيرها، وبين علم الله سبحانه الشامل لمختلف العلوم، ماضية، أو حاضرة، أو مستقبلية، جزئية أو كلية .

وما يعاب على باحثنا في هذا الصدد أنه خلط بين الغيب النسبي المتمثل في تلك الصناعات التي كانت غيبا على الأولين، وبين الغيب المطلق الذي تتحدث عنه الآيات التي سقناها بنصها في موطنها، والغيب المطلق لا يعلم به إلا الله تعالى، أما الغيب النسبي فيجوز أن يعلمه ناس دون ناس وذلك تبعا لاختلاف الزمان والمكان . فهذه ملاحظة أولى .

* أما آية سورة طه، فنجد أن الباحث التبس عليه سر فعل أكاد أخفيها، وقد يعذر إن أنسته لغة الكمبيوتر أساليب اللغة والنحو العربي، فمعنى الآية عند السادة المفسرين هي كما يلي :

(إن الساعة قادمة وحاصلة لا محالة أكاد أخفيها عن نفسي، فكيف أطلعكم عليها ؟ وهذا على عادة العرب فإنهم يقولون إذا بالغوا في كتمان الشيء :

كتمته حتى عن نفسي، أي لم أطلع عليه أحدا)[1]

وهذا هو الرأي الراجح عند جمهور المفسرين[2] .

وهي ملاحظة ثانية أيضا .

---

[1] صفوة التفاسير، ص: 2/231 - 232.

[2] المرجع السابق .

ومما يعضد مذهب المفسرين المتقدم جملة آيات قرآنية ترى في مجملها أن موعد الساعة من اختصاص المولى تبارك اسمه فقط، من ذلك ما يأتي :

ـ قوله تعالى : ﴿ إن ا الله عنده علم الساعة ﴾[1]

ـ قوله تعالى أيضا : ﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها فيما أنت من ذكراها إلى ربك منتهاها﴾[2] .

ـ وقوله أيضا : ﴿ يسألك الناس عن الساعة قل إنا علمها عند ا الله ﴾[3]

ومن أحاديث رسول ا الله صلى عليه وسلم في جواب من سأله عن الساعة فأجاب : (ما المسؤول عنها بأعلم من السائل)[4] .

كما أنه من واجب باحثنا أن يدرك زاد المفسر من أدوات وشروط، من شأنها أن تقيه مصارع الوقوع في التفسير المنهي عنه، وقديما تناقل السادة المفسرون عبارة : (القرآن يفسر بعضه بعضا)[5]، وأهم تلك الشروط، ما يأتي :

أـ « النقل عن الرسول صلى ا الله عليه وسلم مع التحرز من الحديث الضعيف والموضوع .

ب ـ الأخذ بقول الصحابي، فقد قيل إنه في حكم المرفوع .

ج ـ الأخذ بمطلق اللغة مع الاحتراز عن صرف الآيات إلى ما يدل عليه الكثير من كلام العرب .

دـ الأخذ بما يقتضيه الكلام، ويدل عليه قانون الشرع "[6] .

والشروط المتقدمة تكاد تنتفي عن منهج الباحث المفضال .

* أما اعتماده على حساب الجمل، فإن هذ الحساب لا يفيد اليقين الذي تتطلبه مباحث علم العقيدة .

---

[1] سورة لقمان، آية : 34.

[2] سورة النازعات، آيات : 42-44.

[3] سورة الأحزاب، آية : 63.

[4] أنظر البخاري في باب سؤال جبريل عن الإيمان . مسلم : باب الايمان والاسلام والاحسان.

[5] أنظر : مباحث في علوم القرآن للدكتور الصبحي الصالح، ص : 299.

[6] المرجع نفسه، ص : 292.

" وقد اتفق العلماء على أن الدليل العقلي الذي سلمت مقدماته، وانتهت في أحكامها إلى الحس أو الضرورة يفيد ذلك اليقين ويحقق الإيمان المطلوب "[1] .

والأدلة التي ساقها صاحبنا خلت مقدماتها من السلامة، و لم تنته أحكامها إلى ما يفيد اليقين، وهذا ما يثبت بطلانها وعدم صحتها .

كما أن آية السبع المثاني فسرت على غير مرادها .

جاء في تفسير الاية التي استشهد بها المؤلف، وهي قوله تعالى :

﴿ ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم ﴾.[2]

أنه قد أعطيناك يا محمد صلى ا لله عليه وسلم سبع آيات من سورة الفاتحة التي تثني بمعنى تكرر قراءتها في الصلاة، ويدعم صحة هذا التفسير ما جاء في الحديث الصحيح : (الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته)[3] .

* أما الحديث الذي استدل به الباحث الكريم في هذا السياق، فهو ضعيف لأنه اشتمل على راو لا يحتج به، ثم إذا كان صحيحا عل سبيل الفرض فإنه لو تحسب حروف فواتح السور مع مكرراتها لكان الأمر أطم وأعظم كما قال الأئمة الثقات[4] .

وخلاصة الخلاصة أتمنى من الباحث الكريم أنه قد أدرك خطأه، وعاد إلى الصواب، قبل أن يشمله حكم أحدهم بالكفر، ويتجلى ذلك في استنتاج أحدهم عندما قرأ هذا الموضوع في إحدى المجلات،[5] وخرج بفتوى مفادها :

1- " تكذيب الخبر المتواتر اليقيني الثابت في الكتاب والسنة .

2- فهو إذ تكذيب لما علم من الدين بالضرورة .

3- وتكذيب خبر ا لله : تكذيب با لله وإنكار له .

4- فهو إذا إلغاء للرسل والأنبياء وعدم الاعتداد بهم "[6] .*

---

[1] أنظر : الإسلام عقيدة وشريعة لشلتوت، ص : 67 وما بعدها .

[2] سورة الحجر، ى ية : 87.

[3] أنظر : صفوة التفاسير، ص : 115/1.

[4] أنظر : تفسير ابن كثير: 39/1.

[5] مجلة الوعي الإسلامي، عدد : 214، نقلا عن المغيبات الخمس، لمحمد تاتاي، ص : 96-98.

[6] المرجع نفسه، ص : 98.

* ورد أخيرا أن الدكتور صاحب هذه الدعوى أغتيل في منزله، ولعله عقابا على ما ادعاه .

وإن كنت العبد الضعيف لا أستطيع الحكم بهذا، وذلك نظرا لقلة الـزاد والمعرفـة، إلا أنـي أراها سابقة خطيرة في خرق جدار العقيدة الذي سلّح بإسمنت من نصـوص يقينيـة لا تقبـل النقـاش والتأويل، وأستغفر الله لي ولأخي الباحث عما لحق به من أذى في هذا المضمار . والله أعلم .

رابعا : البعث في الفكر المادي [1]

يقوم هذا المذهب على إنكار كل ماوراء الحس، والتجربةالمادية، وركز دعاته على التفسير المادي للحياة في مختلف مجالات المعرفة .

ومهما اختلفت اتجاهات دعاة المذهب المادي، أو تباعدت الأزمنة والأمكنة بينهم إلا أنهم متفقون على رفض كل ما يمت بصلة إلى عالم الغيب، سواء تعلق الأمر بالله سبحانه، أو البعث الأخروي، أو غير ذلك من الأمور التي تخرج عن إطار عالم الحس .

ويمكن إجمال رأيهم في تشبثهم بالعالم المادي من خلال النقاط التالية :

أولا : الإنسان هو هذا الجسم المادي، وعناصره التي يتكون منها، وما ينشأ عنها من خواص، وهو يفنى بالموت، ولا يبقى منه إلا العناصر المتفرقة. والفكر عندهم عبارة عن وظيفة عضوية للمخ، كما تقوم المعدة بهضم الطعام[2] .

ثانيا : السخرية من الدين[3] ومحاولة تدميره[4] لأنه ينمي في أصحابه روح التواكل وتقبل الواقع[5] .

ثالثا : لا إله والكون مادة،[6] فالحيوان من النطفة، والنطفة من الحيوان، كذلك كان، وكذلك يكون أزلا وأبدا .

---

(1) الفكر المادي مر بمراحل عدة، ابتداء من عهد طاليس وأنكسيمانس، وديمقرطيس في العصر اليوناني القديم إلى معطلة العرب في الجاهلية، وإلى كارل ماركس، ونيتشه. وسارتر، وغيرهم في العصر الحديث. ولكل وجهة في خلق العالم، وكيفية الحياة، ومآلها، إلا أنهم متفقون على رفض الألوهية، واليوم الآخر، والنبوات،

أنظر : الروح في دراسات المتكلمين والفلاسفة . د/ المسير . ص : 154.

(2) أنظر المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية، جوزين ستالين، ترجمة : خالد بكداش ص : 18-19 بتصرف .

(3) وتجلى ذلك في مقولة :ستالين: بأن الشيوعية نادت بنبذ كل نظرية إيمانية على الاطلاق. اهـ عن : المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية، ص : 23.
وإذا كانت الشيوعية تدعو إلى نبذ كل نظرية تدعو إلى الإيمان، فإن الوجودية التي ينادي بها سارتر تدعو أيضا إلى التخلص من الدين باعتباره ستارا مرد به الجبناء على أنفسهم، وبأنهم فروا من الوجود السخيف، وابتدعوا أسماء، ونعيما خالدا، ووضعوا إزاءه ـ بغية الارهاب والتهويل ـ نارا وقودها الناس والحجارة . اهـ عن : الصراع في الوجود . بولس سلامة ص : 232 بتصرف .

(4) محاولة التدمير للأديان غاية الشيوعية التي تنادي بكل صراحة :
إن القصد من هذا النضال بصورة مباشرة حاسمة : تدمير الأديان . اهـ عن : لودفيج فيورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الألمانية تأليف : فردريك انجلز. ص : 45.

(5) كما ترى الوجودية في زعيمها سارتر ضرورة تطبيق ما اصطلح عليه : بالضمير، والاستجابة لدواعي الشهوة، ونبذ التقاليد، والعادات، وتحطيم القيود التي ابتدعتها الفلسفة والدين، إضافة إلى تطليق الماضي، والتخلص منه. اهـ عن الصراع في الوجود ، ص : 204 بتصرف .

(6) كما ترى الشيوعية أن العالم يتطور تبعا لقوانين الحركة للمادة، وهو بهذا ليس بحاجة إلى إله. اهـ . المادية الديالكتيكية ص : 17.-

هذه أبرز المزاعم التي تمسك بها دعاة هذ المذهب، وهي كما تظهـر تحد صـارخ للأديـان، والعقول الرشيدة، والفطر السليمة .

وفيمايلي رد عليها، لتنهار من القواعد. تيمنا بقولـه سبحانه : ﴿ وقـل جـاء الحـق وزهـق الباطل إن الباطل كان زهوقا ﴾، الاسراء آية : 81.

1- إن دعوى اعتبار الإنسان كائنا ماديا، ورفض ما سواه، وخاصـة الـروح الـذي أضحـى خاصيـة ملازمة له، ومميزة له بالحياة، مرفوضة من وجهة العلم نفسه .

فهذه الحقيقة الزوجية الكونية التي تطرد في كل شيء تنسف هذه الدعوى من الأساس قـال تعالى في ذلك :

﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ﴾[1]

ولقد اكتشفها العلم الحديث من خلال النظريتين التـاليتين : نظريـة الحـذاء المحـزوم، نظريـة جبربول[2]

اللتين تثبتان تلازم الزوجية في كل شيء ، سواء تعلق الأمـر بالانسـان أو الحيـوان، أو النبـات، أو الكهرباء، أو الذرة، أو غير ذلك .

ومن هنا يتبين أن الإنسان ليس بهذا الشكل المادي فحسـب، بـل بعنصـره الروحـي الـذي اختفى عن الإدراك. ولقد استطاع الفيلسوف الأمركي رويس[3] أن يستدل على وجود الروح مـن خلال ملاحظته الدقيقة حين قال :

(إننا مضطرون إلى الإيمان بوجود شيء غير مرئي، ولا محسوس، يسكن الكائن الحـي، لأننـا نـرى آثار هذا الشيء حين يكون، ونفتقدها حين يذهب، أما هذا الشـيء نفسـه فـلا ينكشـف لنـا منـه شيء، في حضوره أو في غيبته)[4] .

= كما أن الشيوعية تلتقي بالبرجماتية في الهجوم على الميتافيزيقيا بوجه عام، والدين بوجه خاص، وذلك لسببين هما :

أ- إن الميتافيزيقي له اهتمام زائد ببعض الأمور التي لاتهم الانسان في حياته الواقعية، وهذا مما عاق البعث العلمي، وصبغ الفلسفة بالجمود .

ب - إن الميتافيزيقي لا يهتم أيضا بما يتصل بسيطرة الانسان على الطبيعة، وهذا سلوك ناقص لم يسهم في أي شيء من الانجاز الذي أحرزه علماء المنهج التجريبي من تقدم في هذا النطاق . اهـ عن : في الفلسفة العامة د/ محمد عبد الله الشرقاوي، ص : 43 وما بعدها بتصرف .

[1] سورة الذاريات، آية : 49.

[2] أنظر هذه النظرية في مقدمة الرسالة .

[3] تقدمت ترجمته الفيلسوف : رويس .

[4] أنظر حياة الفكر في العالم الجديد، د/ زكي نجيب محمود، ص : 131.

كما أن كثيرا من الفلاسفة يعتبرون وجود النفس أو الروح أمرا بديهيا لا يحتاج إلى دليل، حتى إن ديكارت[1] الذي يعد أبا للفلسفة الحديثة وهو في شكه المطلق، أثبت أن النفس أو الروح حقيقة لا مرية فيها وها هو يقول : (أنا أستطيع الشك في كل شيء، ما خلا شكي، ولما كان الشك تفكيرا، فأنا أفكر، ولما كان التفكير موجودا فأنا موجود، أنا أفكر إذن أنا موجود).

ثم يستطرد فيقول :

(ومهما نعلم، فنحن بفكرنا أعلم، فمثلا : لو اعتقدت أن هناك أرضا بسبب أني ألمسها وأبصرها، فيجب أن أعتقد من باب أولى أن فكري موجود، إذ قد أفكر أني ألمس الأرض دون أن تكون هناك أرض، ولكن ليس من الممكن ألا أكون موجودا في الوقت الذي أفكر فيه، ثم أن أتخذ هذه الحقيقة معيارا لكل حقيقة، وتعريف الفكر بالاجمال : ... أنه كل ما يحدث فينا بحيث ندركه حالا بأنفسنا، فحين أقول : إني شيء مفكر، أقصد أني شيء يشك، ويثبت، وينفي، ويعلم قليلا من الأشياء، ويجهل الكثير، ويحب ويبغض، ويريد ويأبى، ويتخيل ويحس، ـ والفكر صادر عن النفس أو الروح ـ خالص ثابت عندي مهما أشك في وجود جسمي وسائر الأجسام).[2]

2 ـ إن محاولة التفسير للروح بعوارض الجسد أو لوازمه، محاولة باطلة فلا يعقل أن يكون الروح نسيما من الهواء، أو عرضا للبدن، وإلا لما توفي الإنسان، لأنه الهواء يحيط به،و العرض لا يفارق الجوهر الحامل له، كما يترتب عن ذلك : أن يتبدل الإنسان كل ساعة آلافا مؤلفة من الأنفس والأرواح، لأن الهواء الداخل في النفس غير الهواء الخارج، كما أصبح من المشاهد نقل الدم، وتبادله بين الناس، فهل تتبادل الأرواح حينئذ إذا كان الروح هو الدم ؟

وقد استطاع الطب الحديث تغيير دم الإنسان بأكمله في بعض حالات المرض، فما جواب هؤلاء إن كان الروح هو الدم ؟ وأين يصير الروح إن انتقل إلى جسم آخر عبر عملية نقل الدم ؟

3 ـ إن ثبوت كون المخ هو سبب الإدراك لا يستدل به على أن المخ هو المدرك في الحقيقة، وإنما يقال عنه حينئذ : إنه آلة للإدراك، كما أن العين آلة للإبصار، والأذن آلة للسمع، فليس المبصر هو العين، ولا السامع هو الأذن، ويمكن أن تكون العين مثلا سليمة من كل عاهة، ومع ذلك فقد لا

---

[1] ديكارت رينيه : (1596 ـ 1650) فيلسوف ورياض فرنسي، اشتهر بكتابه (مقالة الطريقة) الذي كان له أبلغ الأثر في الفكر الغربي، وفيه مبدؤه : أنا أفكر، إذن أنا موجود . أنظر ترجمته في : أعلام الفلسفة : العرب والأجانب ، 244/2.

[2] أنظر : تاريخ الفلسفة الحديثة لـ : يوسف كرم، ص: 66.

يبصر بها الانسان إما لفرط جزع، أو شدة ألم أحاط به، وقد يكون في تلك الحال فينادى عليه أقرب الناس إليه ولا يسمع له نداء .

ثم إن النائم أيضا، يسمع، ويبصر، ويتكلم، في رؤياه، وقد بطل عمل بصره وأذنه، ولسانه.

وقد أوردت إحدى الصحف[1] أن العلماء لاحظوا في بعض الكائنات التي تتكون من خلية واحدة، أنها قادرة على الرؤية، لقد اكتشفوا تفاعلات معينة في جدار جسمها، ووجدوا التفاعلات تلك، تتم فقط، عندما يصدر عنها ما يشير إلى أنها رأت شيئا ... رأت طعاما فسعت إليه، أو مصدر خطر فابتعدت عنه .

ومن هنا نستنتج أن العقل المبصر، السامع، المتكلم، غير الجسد، وهو المسمى نفسا أو روحا .

4 ـ وعند التمعن في ظاهرة الحركة الإرادية للانسان، ما مصدرها ؟ هل العلة فيها أنها جسم ؟ لوجدنا أن تحرك كل من النبات والحجر يتم إراديا باعتبار كونهما جسما متحيزا، لكن الارادة انتفت عنهما، إذن الحركة لا تصدر عن جسم. وهل العلة فيها هذا المزاج الناشئ عن اجتماع العناصر المادية المختلفة ؟

كلا، فالمزاج يمانع الانسان كثيرا في حركته، كما لو صعد الإنسان جبلا، فهو يريد باستمرار الوصول إلى النهاية، لكين هيئته التركيبية المادية تشده دائما إلى الأرض بفعل الجاذبية، وبسبب انتمائه إلى عناصرها، فالحركة الارادية ليست ناشئة عن الجسمية، ولا عن المزاج الخاص، وإنما مبدؤها الذي تصدر عنه هو النفس[2] .

وفي برهان الاستمرار الذي يعني أن هناك فرقا بين النفس والبدن، ولا علاقة للنفس بمظاهر الجسد، ذلك أن الغذاء المستمر للانسان إنما هو لحفظ الجسم، وبناء ما يتحلل منه، وقد تذهب أعضاء الانسان عضوا عضوا، وهو مع ذلك، نفسه واحدة لا تتبدل، وقواه العقلية على أشدها لم ينقص منها شيء يوازي العضو الجريح أو المريض من الجسم .

---

[1] جريدة الجمهورية المصرية ـ 1973/1/4.

[2] أنظر : الروح في دراسات المتكلمين والفلاسفة، ص: 55 بتصرف.

وقد ثبت علميا أنّ خلايا الجسم تتجدد باستمرار حتى يأتي وقت لا يكون في الجسم خلية قديمة، ومع هذا الفناء البدني، فإن الانسان هو الانسان بعقله وسلوكه، فالروح شيء غير الجسم، وهي باقية رغم فنائه[1] .

يقول ابن سينا[2] : (تأمل أيها العاقل في أنك اليوم في نفسك هو الذي كان موجودا جميع عمرك، حتى إنك تتذكر كثيرا ما جرى لك من أحوال، فأنت إذن ثابت مستمر لا شك في ذلك، وبدنك وأجزاؤك ليست ثابتة مستمرة، بل هي أبدا في التحلل والانتقاص، ولهذا يحتاج الإنسان إلى الغذاء بدل ما تحلل منه، ولهذا لو حبس عن الانسان الغذاء مدة قليلة نزل وانتقص قريب من ربع بدنه، فتعلم نفسك أن في مدة عشرين سنة لم يبق شيء من أجزاء بدنك، وأنت تعلم بقاء ذاتك في هذه المدة، بل جميع عمرك، فذاتك مغايرة لهذا البدن وأجزائه الظاهرة والباطنة .... فهذا برهان عظيم يفتح لنا باب الغيب فإن جوهر النفس غائب عن الحواس والأوهام، فمن تحقق عنده هذا البرهان وتصوره في نفسه تصورا حقيقيا، فقد أدرك ما غاب عن غيره)[3] .

5 ـ أما دعوى كون الدين يخدر الشعوب، ويحرمها من الطيبات، وينمي فيها روح التواكل، والاستسلام للواقع، وما إلى ذلك من الدعوى المزعومة، فتلك من قبيل الأساطير التي تكونت منذ عصر النهضة في أروبا بعد أن قاسى البحث العلمي من عوامل التدمير، ومعاول الهدم على أيدي رجال الكنسية الذين أزهقوا الأرواح، ونكلوا بالعلماء في وحشية قاسية باسم الكنسية والمسيحية، وحسب القارئ لهذه الفترة أن يصطدم بصكوك الغفران، ومحاكم التفتيش، يرى كيف كانت الكنيسة حجر عثرة في سبيل التقدم الإنساني، ومن هنا انطلق الباحثون في شبه البلبة الفكرية إلى إنكار كل ما يمت بصلة إلى مباحث الألوهية أو الدين، و القول بأن الكون كله يقوم وحده .

والحقيقة التي ضاعت هنا، أن هؤلاء لم يفرقوا بين الدين كرسالة سماوية، وبين تعاليم الكنيسة التي هي من اختراع البشر، مما كوّن عقدا نفسية لدى الباحثين استحكمت حلقاتها، وبعد أن تحطمت الكنيسة، وسقطت أغلالها، انحلت العقدة، وظهرت الحقيقة التي لامرية فيها، وهي أن الكون لابد له من مبدع، وأن الحياة لابد لها من واهب، ونطق بها باحثون من جميع

---

[1] المرجع نفسه .

[2] أنظر ترجمة ابن سينا في البعث الروحي .

[3] أحوال النفس لابن سينا تحقيق د/ الأهواني، ص : 183.

التخصصات العلمية[1] .

وما يقال أن الفكر قد صودر في المحيط الإسلامي كما هو الحال عند بعض العلماء،[2] فإن ذلك لم يكن لأجل فكرهم أو رأيهم في ذاته، بل كان سياسة مردها إلى الوشاية لدى الحكام، أو محاولة التعالي على الخليفة[3] .

[1] مثلا كتاب : الله يتجلى في عصر العلم، فيه شهادات حية لكبار علماء الغرب على وجود الله، فضلا أن العلم طريق الايمان .

[2] ما جرى للحلاج وابن رشد، وابن خلدون ليس مصادرة للفكر، بل كان مجرد وشاية لدى الحكام. نقلا عن : الروح في دراسات المتكلمين والفلاسفة. ص : 172 .

[3] كما روي في روح التسامح بين أهل العلم والحكام أن ابن رشد كان إذا تكلم مع الخليفة يقول له : تسمع يا أخي . اهـ عن عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة 77/2.

ومع التسليم الجدلي، فإن الأفكار التي صودرت لم تكن بحثا علميا تجريبيا كما هو الحال في أوروبا، بل كانت بحثا نظريا تختلف فيه الآراء بين اليوم والغد، لأن الفلسفات النظرية على العموم محاولات فردية لفهم الحياة، قد تصلح اليوم، وقد تفشل غداً.

ولهذا يروى أن أمراء الأندلس حين أمروا باحراق كتب الفلسفة، استثنوا منها كتب الطب والرياضة، وهذا يدل على عناية هؤلاء الأمراء بالعلم، حين استثنوا من الاحراق تلك المادتين العلميتين، وبواسطتهما على الخصوص تعرّف الغربيون عبر الترجمة لها على فائدتهما وأهميتهما .

بل ولعل أصدق دليل على هذا كله، ما نسمعه، ونقرأه، بأن جل المخطوطات العلمية فضلا عن الأدبية منها، توجد معظمها في جامعات أوروبا، والحق ما شهدت به الأعداء. اهـ باختصار،

نقلا : عن الروح في دراسات المتكلمين والفلاسفة، ص : 172 ومابعدها .

الفصل الثالث

*****

البعث في الرسالات السماوية

ويشتمل على ما يأتي :

تمهيد : إجماع الأنبياء على حقيقة البعث.

المبحث الأول : عقيدة البعث عند اليهود .

المبحث الثاني : عقيدة البعث عند النصارى .

المبحث الثالث : عقيدة البعث في الإسلام .

تمهيد :

إجماع الأنبياء على حقيقة البعث

إن الإيمان بالبعث، والقيامة، والجنة والنار من أصول الإيمان التي اشترك فيها كل الرسل والأنبياء في الدعوة إليها، والتصديق بمحتواها .

كما أن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي مافتئ يتحث عن البعث ـ وكأنه مرأى العين ـ على أن الأنبياء عرفوا أممهم بيوم القيامة، وبشروهم بالجنة، وأنذروهم من النار، وهاهي بعض تلك الآيات تنطق بذلك :

1- إقرار الكفار يوم القيامة بذلك، قال سبحانه :

﴿ كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير، قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما أنزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير ﴾.[1]

﴿ وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ﴾[2].

2- مقتضى عدل الله تعالى ألا يعذب أحدا إلا بعد التبليغ، قال تعالى :

﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾[3]

وتعذيب الله تعالى للأمم السابقة وإن كان قد حصل في الدنيا، إلا أن عذاب الآخرة أشد وأنكى بإعتبارها دار الجزاء النهائي .

3- إخبار الله تعالى آدم كأول البشر دليل على عناية القرآن بالبعث قال جل جلاله :

﴿ قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرؤض مستقر ومتاع إلى حين، قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون ﴾[4].

---

[1] سورة الملك آيتا : 8،9.

[2] سورة الزمر آية : 71 .

[3] سورة الاسراء آية : 15 .

[4] سورة الأعراف آيتا : 24،25 .

4- إنهيستحيل عقلا أن يدعو إلى هذا المعتقد رسول ويحجم عنه آخر قال تعالى :
﴿ وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين ﴾[1]
فانظر إلى روعة البيان القرآني وعظمة بلاغته حين أوجز الدعوة في التبشير بالفلاح والجنة، وفي الإنذار بالخسران والجحيم .
5- إخبار نوح عليه السلام عن يوم القيامة، قال تعالى :
﴿ وا لله أنبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا ﴾[2] .
6- توضيح إبراهيم عليه السلام بأن ا لله أحق بالعبادة وأقدر على المغفرة يوم الدين قال جل في علاه :
﴿ والذي هو يطعمني ويسقين، وإذا مرضت فهو يشفين، والذي يميتني ثم يحيين، والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ﴾[3].
7- تذكير ا لله تعالى نبيه موسى عليه السلام بالساعة حين قال :
﴿ إنني أن ا لله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى ﴾[4].
- تصريح مؤمن من آل فرعون بالبعث حيث حكى القرآن الكريم قولته :
﴿ وياقوم إني أخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين مالكم من ا لله من عاصم ومن يضلل ا لله فما له من هاد ﴾[5] .
8- إقرار عيسى عليه السلام بالبعث وهو في المهد، قال تعالى على لسانه :
﴿ والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ﴾[6].
9- تفنيد القرآن دعوى اليهود والنصارى على أن الجنة خاصة بهم قال سبحانه :﴿ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم، قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾[7]

---

[1] سورة الأنعام، آية : 48 .
[2] سورة نوح آيتا : 17، 18.
[3] سورة الشعراء آيات : 79-82.
[4] سورة طه آيتا : 14، 15.
[5] سورة غافر آيتا : 32، 33.
[6] سورة مريم آية : 33.
[7] سورة البقرة آية : 111.

فالذين قالوا هذا هم يهود المدينة المنورة، ونصارى نجران بحضرة الرسول صلى ا لله عليه وسلم[1] فرد ا لله تبار إسمه تلك الدعوى لكونها فاسدة تفتقر إلى الدليل والبرهان .

هذه لمحة سريعة عن دعوة الأنبياء والمرسلين السابقين للإيمان بعقيدة البعث، فضلا عن كونها محل اهتمام جميع الرسالات السماوية في كل العصور والأزمان، كيف لا ؟ وهي من الركائز الأساسية لكل دعوة، ووسيلة فعالة لدعم موقف أولئك المرسلين، وتجلى ذلك في ثباتهم وصمودهم أمام المحن، والإغراء، وزهدهم في الدنيا وإقبالهم على الآخرة مصداقا لقوله تبارك اسمه :

- ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ﴾[2]

وقوله أيضا :

- ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ﴾[3]

وقوله : التي

- ﴿ تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا ﴾[4] .

---

[1] أنظر في ذلك حاشية الصاوي على الجلالين : 49/1.

[2] سورة القصص، آية : 83 .

[3] سورة الرعد، آية : 35 .

[4] سورة مريم، آية : 63 .

فهذه الآيات الكريمة وإن كانت في سياق الترغيب في نعيم الجنة، إلا أنها تتميز بالربط بين الدنيا والآخرة بخلق التقوى الذي يعني على الإجمال : إلتزام بأوامر الشرع، وكف عن نواهيه، ومجال هذا الالتزام هو هذه الحياة الدنيا التي ما خلقها ا لله إلا من أجل الإمتحان والإختبار مصداقا لقوله سبحانه :

﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون ﴾[1].

﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم ا لله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴾[2]

﴿ أيحسب الإنسان أن يترك سدى ﴾[3]

﴿ إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا إنا هديناه السبيل إما شاكرا و إما كفورا ﴾[4].

فهذه الآيات كلها تقر بحكمة الابتلاء التي من أجلها خلقت الدنيا، ليتبين من خلالها ما تسجله يد الإنسان فيها، بعدما زود بوسائل الاستغلال، وشرف بنعمة الاستخلاف ، وهدي بتوجيهات الدين، ومن ثمة لا عذر لأي كان، أمام ا لله تعالى، عندما يجمع الناس يوم القيامة للمحاسبة والمجازاة، لكي يحتج، أو يعاند .

ومن هنا تتجلى أهمية العناية القرآنية بهذا المعتقد العظيم باعتباره القاعدة الخلفية لكل تضحية وصمود أمام الصعاب والمحن .

وهو ما لم تتعرض إليه الديانتان اليهودية والمسيحية نتيجة تعرضهما لعوامل التحريف والتبديل، الأمر الذي جعلهما تفتقران إلى تلك المكانة التي تحتلها عقيدة البعث في القرآن، وهو ما سنلاحظه في الصفحات التالية .

---

[1] سورة المؤمنون، آية : 115.

[2] سورة آل عمران آية : 142.

[3] سورة القيامة آية : 36 .

[4] سورة الانسان آيتا : 3،2.

المبحث الأول

عقيدة البعث عند اليهودية

تكاد تخلو توارة اليهود من ذكر عقيدة البعث الأخروي، وإن تحدثت عنها ففي سياق الجزاء في الدنيا .

في حين نجد القرآن الكريم يفصح بأن عقيدة البعث كانت محل اتفاق جميع الأنبياء والمرسلين، وهو ما سبقت الإشارة إليه في المبحث السابق.

ولإزالة كل غموض، لا بأس من ذكر هذا المعتقد، وما يحتله من مكانة عند سحرة فرعون الذين آمنوا بموسى عليه السلام، واستعدوا لأجل الاستشهاد، وتحمل مختلف أصناف العذاب والبلاء التي توعدهم بها فرعون. وهو ما يقصه القرآن الكريم عن أولئك السحرة بعبارات تدل على قمة الاعتزاز والشموخ بإيمانهم برسالة موسى عليه السلام، وتمردهم عن فرعون. قال سبحانه :

﴿ قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا، فاقض ما أنت قاض، إنما تقضي هذه الحياة الدنيا، إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر. والله خير وأبقى، إنه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحي، ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى ﴾[1].

فهذا الوصف القرآني الموجز، والبليغ، لهؤلاء السحرة، الذين ثبتوا، وصمدوا أمام ما ينتظرهم من وعيد من طرف فرعون، يدل على عمق الإيمان بعقيدة البعث عند هؤلاء السحرة الذين كانوا على الكفر في أول النهار، وشهداء بررة في آخره.[2]

---

[1] سورة طه، آيات : 72-76.

[2] أنظر صفوة التفاسير للصابوني : 2/242.

وهكذا يتبين أن توراة موسى عليه السلام قائمة على الإيمان با لله تعالى واليوم الآخر .

لكن عندما نعود إلى تصفح توراة اليهود اليوم، نجدها خالية من ذلك لأن يهوه ــ الرب ــ سريع الحساب، ينتقم في الدنيا، ولا يرجئ الأمر إلى الآخرة، وهو ما يتجلى على سبيل المثال، في النصوص التالية :

أ - (إن لم تسمع لصوت الرب إلهك، لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه وفرائضه التي أنا أوصيك بها اليوم، تأتي عليك جميع اللعنات وتدركك)[1].

ففي هذا النص، وإن كان الخطاب للفرد الواحد، فإن الجزاء باللعنات يدرك المنحرف عن الوصايا في الدنيا، وليس فيه ما يشير إلى الجزاء الأخروي.

ب - (يضربك الرب بقرحة، وبالبواسير، والجرب، والحكة ... يضربك الرب بجنون، وعمى، وحيرة ... تخطب إمرأة، ورجل آخر يضطجع معها، تبنى بيتا ولا تسكن فيه، تدفع غنمك إلى أعدائك وليس لك مخلص، يُسلّم بنوك وبناتك لشعب آخر، وعيناك تنظران إليهم طول النهار، فتكلان وليس في يدك طائلة، ثمر أرضك، وكل تعبك يأكله شعب لا تعرفه، فلا تكون إلا مظلوما مسحوقا كل الايام ...)[2] .

فهذا النص لا يختلف عن سابقه، اللهم إلا الاستفاضة في سرد أنواع العقوبات : كالأمراض، والمعاناة النفسية، والإستغلال، فهي عقيدة ساذجة، نظرا لركاكة ألفاظها، وخلوها من كل المعاني الروحية والأخلاقية التي تتميز بها عقيدة البعث، ولعله من هذه الناحية نجد بعض

[1] سفر أشعياء، الإصحاح الخامس، وكذا سفر صموئيل الثاني : الاصحاح 12، 13.

[2] المصدر نفسه.

الفرق التي تسمى بالصدوقيين تنكر البعث - فيما أرى - نظرا لخلو هـذه العقيـدة مـن العوامـل الـتي تجعلها محل اعتقاد واحترام .

ولقد جاء في الإنجيل أن هذه الفرقة لا تقول بالبعث :

ج - (في ذلك اليوم جاء إليه صدوقيون الذين يقولون ليس قيامة)[1]

بينما نلاحظ في سفر أعمال الرسل من يقول بالقيامة :

(أنا فريسى ابن فريسى على رجاء قيامة الأموات)[2]

فالفريسيون[3] فقط يقولـون بالقيامـة، وحتـى وإن لم تكـن علـى لاغـرار مـا جـاء في الديانـة الإسلامية .

أما الصدوقيون وغيرهم من الفرق اليهودية فلا يقولون بذلـك، وكـل مـا ورد عندهـم مـن ذكر العالم الآخر - ليس اليوم الآخر - فهو وجود هاوية تسمى [شيول] تقع تحت الأرض، يتردى فيها الموتى، الأخيار والأشرار على السواء، ولن ينجو من ذلك إلا من ارتقى إلى مرتبة القـرب مـن ا لله، مثل موسى عليه السلام حسب زعمهم. وخلو توراة اليهود من عقيدة يوم الآخر، يرجـع إلى أن ديانتهم بعد تعريف التوراة إنقلبت إلى ديانة مادية غير روحية، قائمة على الأعمـال، فـاليهودي مجزى على عمله في حياته الدنيا هذه .

وما تسليط أشور[4] على اليهود إلا عقوبة على سوء أعمالهم .

د - [جاء في سفر أشعياء :

يجلب الرب عليك أمة من بعيد، من أقصى الأرض ... أمه لا تفهم لسانها، أمـة جافيـة الوجـه، لا تهاب الشيخ، ولا تحن على الولد، فتأكل من ثمرة بهائمك، وثمرة أرضك، حتـى تهلـك، ولاتبقـى لك قمحا ... ولازيتا ... حتى تفنيك ... وتحاصرك في جميع أبوابك، في كل أرضك التي يعطيـك الرب إلهك][5].

---

[1] إنجيل متى الاصحاح الثاني عشر.

[2] إنجيل متى الاصحاح السادس عشر .

[3] طائفة من اليهود تنظمت في عهد المكابيين للدفاع عن الشريعة، وصفاء الايمان لكنهم توقفوا فلامهم السيد المسيح على ذلك، وكانوا من المناوئين له أ هـ . باختصار عن : الموسوعة العربية العالمية : 360/17 - 361 بتصرف .

[4] أشور : إمبراطورية قديمة كانت في أعالي نهر دجلة ببلاد الرافدين بالعراق، أطلق على الأشوريين : اسم رومان آسيا إذ كانوا فاتحين عظماء، كما لهم تنظيم في السلاح والمعدات. اهـ باختصار عن الموسوعة العربية العالمية : 234/2.

[5] سفر أشعياء : الاصحاح الثامن والعشرون .

هـ - وفي سفر أشعياء عن يوم آخر في الدنيا، وليس في الآخرة يقول :

(هو ذا الرب يخلي الأرض ويفرغها، ويقلب وجهها، ويبدد سكانه، والأرض تدنست تحت سكانها، لأنهم تعدوا الشرائع، غيروا الفريضة، نكثوا العهد، .... لذلك احترق سكان الأرض، وبقي أناس قلائل ... ويكون في ذلك اليوم أنها لرب يطالب جند العلاء في العلاء، وملوك الأرض على الأرض، ويحبسون جميعا كأسرى في سجن)[1]

وفي موضع آخر :

و- (في ذلك اليوم يغنى بهذه الأغنية في أرض يهوذا :

لنا مدينة قوية ... افتحوا الأبواب لتدخل الأمة البارة والحافظة للأمانة)[2]

فاليوم الذي تحدثت عنه هذه الفقرة ليس المراد به اليوم الآخر، بل هو يوم النصر الذي يحتفل فيه اليهود، ويجتمع فيه شمل التائهين والمتعبين[3] .

هذا ولئن خلت التوراة من ذكر الآخرة بشكل واضح، فإن التلمود[4] قد تحدث عن الجنة والنار، وأن الجنة مأوى الأرواح الطيبة، وأن النار للأشرار، غير أن اليهود يجعلون الجنة لهم فقط، أما النار فهي لغيرهم فلا يدخلها أحد منهم .

ز - كما ورد في التلمود أن الذين يدخلون الجنة يطعمون من لحم أنثى الحوت الكبير التي أماتها الله تعالى، وملّحها، وادخر لحمها للذين يدخلون الجنة، كما يتناولون لحم الطير لذيذ ...

---

[1] سفر أشعياء : الاصحاح الثامن والعشرون .

[2] سفر أشعياء الاصحاح الخامس والعشرون .

[3] أنظر الديانات والعقائد في مختلف العصور، أحمد عبد الغفور عطار : 243/2.

[4] التلمود : هو مجموعة شرائع وسنن، وتفاسير اليهود، أو الكتاب الذي يتضمنها، وهو على قسمين هما :

أ - المشنا : وهو عبارة عن المتن الأصلي لتلك الشرائع .

ب - الجيمارة : وهو بمثابة الشرح لتلك المتون الأصلية .

والمشناة أول لائحة قانونية وضعها اليهود لأنفسهم بعد التوراة جمعها يهوذا هاناسي، فيما بين : 190 - 200 م .

أما جمارا فإثنانا هما :

1- جمارا أورشليم (فلسطين) .

2- جمارا بابل .

يشتمل جمارا أورشليم على سجل المناقشات التي أجراها حاخامات فلسطين .

و يشتمل " بابل " " " حول تعاليم المشناة التي دونها علماء اليهود . ا هـ

أنظر في ذلك :

1- التلمود تاريخه وتعاليمه لـ : ظفر الاسلام خان. ص : 11 وما بعدها بتصرف .

2- محيط المحيط للبستاني، ص : 73.

3- الموسوعة العربية العالمية : 158/7.

وأن شرابهم نبيذ معتق عصره ا لله في اليوم الثاني من الأيام .... التي خلـق ا لله فيهـا العالم.[1]

والملاحظ أن ما ذكره التلمود عن الجنة والنار يقوم على الخيال، لا على العقيدة.

فالديانة اليهودية بعد تحريفها خالية من هذا المعتقد تقريبا.

وأخيرا يمكن للمتتبع لإشارات التوراة والتلمود حول معتقد الآخرة بأن اليهود انقسموا في ذلك إلى ثلاث فرق هي :

أ ـ فرقة تنكره لاعتقادها بالمجازاة في الدنيا .

ب ـ فرقة تتحدث عن قيامات في هذه الدنيا، خاصة ببعض ملوكهم والصالحين منهم.

ج ـ وفرقة تتحدث عنه ولكن لم يبلـغ حـد الوضـوح والبيـان، كمـا ينبغـي أن نلاحـظ أن القـرآن الكريم تحدث عن جزاء اليهود في الدنيا ولكن دون أن يطل في ذلك الجزاء الأخروي[2]

قال سبحانه في ذلك على سبيل المثال فقط :

﴿ ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فسئل بني إسرائيل إذ جاءهم فقـال فرعـون إنـي لأظنـك يـا موسى مسحورا، قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر وإنـي لأظنـك يا فرعون مثبورا فأراد أن يستفزهم من الأرض فأغرقناه ومن معه جميعا وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا ﴾[3]

فالواضح من السياق، أن ا لله سبحانه ذكر الجزائين هما :

ـ جزاء الدنيا ملتمس من قوله : [فأغرقناه ومن معه] وهذا في الدنيا طبعا .

ـ جزاء الآخرة ملتمس من قوله : [فإذا جاء وعد الاخرة] وهذا في الآخرة قطعا .

---

[1] أنظر : العقيدة دراسة مقارنة . د/ الفاوي، ص : 341 بتصرف .

[2] نفس المرجع .

[3] سورة الإسراء آيات : 101 ـ 104 .

المبحث الثاني

عقيدة البعث عند النصرانية

وفي أناجيل النصارى المتداولة حاليا تتردد كلمة القيامة كثيرا ولكنها في الغالب لا تعني اليوم الآخر بالمفهوم الإسلامي، وإنما يريدون بها قيامة المسيح من قبره بعد دفنه بثلاثة أيام كما يعتقدون :

- [ويقتل وبعد ثلاثة أيام يقوم][1]

أما عقيدة يوم الآخر، وإن كانت عندهم أظهر مما عند اليهود غير أنها ليست بالقوة والوضوح التي جاء بها القرآن الكريم. إضافة إلى التناقض الذي يسودها في بعض النواحي.

فمثلا عند قراءة النص الاتي الذي يفيد إستئثار الله سبحانه بوقت مجيئها :

- [وأما ذلك اليوم، وتلك الساعة، فلا يعلم بها أحد، ولا الملائكة الذين في السماء، ولا الإبن، إلا الأب][2].

وهو ما يتفق مع عقيدة المسلمين في ذلك، ونلمس ذلك في قوله تعالى مثلا :

﴿ إن الله عنده علم الساعة ﴾[3].

﴿ ويسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي ﴾[4]

إلا أننا نصطدم مع نص آخر، يفيد أن المسيح عليه السلام على علم بها :

[لا يرغب في كشف ذلك للناس لفضولهم، فالابن يعرف ذلك معرفة لا يريد لها النشر][5] .

---

[1] إنجيل مرقس الاصحاح الثامن .

[2] إنجيل مرقس الاصحاح الثالث عشر .

[3] سورة لقمان، آية : 34.

[4] سورة الأعراف، آية : 187.

[5] كتاب يسوع المسيح، ص : 79.

ملكوت السماوات

وملكوت السماوات هو الجزاء الموعود في اصطلاح المسيحين، ذلك أنه لم يرد في تعاليم المسيح عليه السلام شيء عن (البعث) أو عن المرحلة الفاصلة بين الموت والبعث ـ البرزخ ـ أو البعث الجماعي الذي يقوم الناس فيه منن قبورهم مرة واحدة. وإنما هي نقلة واحدة، من موت إلى ملكوت السماوات، أو إلى خارج هذا الملكوت .

يقول السيد المسيح عليه السلام في بعض عظاته :

- [طوبى للمساكين بالروح، لأن لهم ملكوت السماوات، طوبى للحزاني فإنهم يتعزون ... طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض، طوبى للجائعين ... طوبى للراحمين ... طوبى للأتقياء القلب لأنهم يعاينون ا لله][1]

ويقول أيضا :

- [لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد، ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوا بل خافوا ... من الذي يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما في جهنم][2]

ولعله في هذا النص إشارة من المسيح بأن الروح والجسد متلازمان في الثواب والعقاب في الحياة الأخرى.

وفي موضع آخر، جاء أن الوصول إلى هذا الملكوت الموعود، صعب المنال، مما قد يعني أنه مثل الجنة في عرف المسلمين :

[إن مرور الجمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت ا لله][3]

وهذا ما يتفق مع عقيدة الإسلام، ونلمس ذلك مثلا في قوله سبحانه :

﴿ ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ﴾[4]

وهذا في شأن الكفار كما صرحت به الآية في البداية : ﴿ إن الذين كذّبوا بآياتنا ﴾[5] .

---

(1) إنجيل متى الاصحاح الخامس.

(2) إنجيل متى الاصحاح العاشر .

(3) إنجيل متى الاصحاح التاسع عشر .

(4) ـ (5) سورة الأعراف، آية : 40.

أولا . بالنسبة للتوراة :

أ- خلوها من ذكر كلمة ـ البعث ـ فضلا عن الآخرة عموما، وهذه يعني صحة تحريفها المتمثل خصوصا في :

1- إختلافها مع التوراة الأصلي لموسى عليه السلام حين تحدث عن الآخرة كما مر في موضوع: إجماع الأنبياء على البعث .

إضافة إلى تباينها مع عقيدة البعث في الإسلام حيث تحدّث القرآن عنها بإسهاب واستفاضة .

2- إختلاف اليهود أنفسهم حولها بين مؤمن، ومنكر، مما يدل على عدم اهتمام التوراة المحرفة بالآخرة أصلا .

3- الحديث عن الآخرة في نصوص التوراة المسجلة في الصفحات السابقة يسوده الغموض والابهام.

ب ـ إختلاف نسخ التوراة المتداولة حاليا بين اليهود، والسامريين، مما يدل على خلل فيها .

ج ـ إشتمال التوراة على أخطاء نحوية، فتارة تأتي بصيغة الغائب وأحيانا بصيغة المخاطب، مما يدل على أن موسى عليه السلام لم يكتب هذا التوراة، بل كتبها أناس آخرون أتوا بعده[1] .

د ـ إشتمالها على معلومات تاريخية فادحة تسيء إلى الأنبياء عليهم السلام وهذا ما يعني القدح في التوراة نفسه، إذ كيف يقبل عقلا أن يصرح موسى عليه السلام بأخبار تسيء إلى أنبياء آخرين، وهم أولا وأخيرا دعاة إلى التوحيد ومكارم الأخلاق[2] .

هـ ـ إفتقار التوراة الحالية إلى المقومات الأخلاقية والروحية، مما يعني صحة تحريفها، ومن ذلك ما تضمنته تعاليمهم الهدامة :

(يجب أن يكون شعارنا كل وسائل العنف والخديعة)[3]

(ونحن نحكم الطوائف باستغلال مشاعر الحسد والبغضاء)[4]

(وعلينا ونحن نضع خططنا، ألا نلتفت إلى ما هو خير وأخلاقي، بقدر ما نلتفت إلى ما هو ضروري ومفيد)[5].

---

[1] أنظر : رسالة في اللاهوت والسياسة لـ : سبينوزا، ترجمة : د/ حنفي، ص : 271 وما بعدها.

[2] أنظر الفصل في الملل والنحل لابن حزم 133/1 وما بعدها، حيث يسرد أخبار تمس الأنبياء عليهم السلام في سلوكهم ما يندى له الجبين .

[3] انظر بروتوكولات حكماء صهيون، ص: 31 ، من البروتوكول رقم : 1.

[4] انظر " " " ، ص : 43 ، من البروتوكول رقم :3.

[5] انظر " " " ، ص : 24، من البروتوكول رقم : 1.

و- وأخيرا إن البحث العلمي يرفض هذه التوراة الحالية بناء على ما يأتي :

1- إثبات المحققين من العلماء والشراح المحدثين أن ليس لهذه التوراة سند متصل يصحح نسبتها إلى موسى عليه السلام .

2- إشتمالها على أخطاء تاريخية، وتناقض في نصوصها.[1]

3- من المؤكد عند مؤرخي أهل الكتاب أن التوراة وسائر كتب العهد القديم التي كانت قبل : [بختنصر = نبوخذ نصر] عند اليهود قد فقدت تماما حين تسلط (بختنصر) ملك بابل، (العراق حديثا) عليهم، فسباهم وأجلاهم عن فلسطين إلى بابل، وخرب لهم بيت المقدس، وذلك حوالي عام (586 ق.م)، ويزعم اليهود أن (عزرا) الكاهن أعاد كتابتها بالإلهام بعد أن سمح لهم ملك الفرس الذي قهر البابليين واحتل بلادهم، بالعودة من منفاهم : بابل إلى فلسطين حوالي عام : (538 ق.م) أي بعد نحو (50 سنة) في المنفى بـ : بابل .-2-

ز - إن محتوى هذه التوراة وخاصة في مجال البعث مرفوض من الوجهة الإسلامية، وذلك نظرا لكون رسالات السماء عامة متفقة عليها، فضلا على كونها من وسائل الدعوة إلى الله في شقيها : الترغيب والترهيب، وهو ما تفتقر إليه هذه التوراة ، ويدل على أنها ليست وثيقة الصلة بموسى قطعا. ومن ثمة أيضا أضحت محل شك من قبل كبار الموسوعيين في العالم المعاصر[3] .

1، 2 أنظر العقيدة الاسلامية للميداني ص : 576 وما بعدها بتصرف.

-3 هو العالم الكبير ول ديورانت صاحب الموسوعة الكبيرة : قصة الحضارة .

- أنظر : قصة الحضارة 256/2.

ومع الجهد الكبير الذي بذله في إنجاز هذه الموسوعة الضخمة إلا أنه ينبغي الحذر والاحتياط مما يبثه من سموم تجاه العقيدة الإسلامية .

انظر على سبيل المثال :

حصوننا مهددة من داخلها . د/ محمد محمد حسين ، ص : 187.188.189.194.

ثانيا . بالنسبة للإنجيل :

وبالرغم من كون الأناجيل المتداولة حاليا، تحدثت عن الآخرة بالوضوح أكثر من التوراة، إلا أنها لم تسلم هي الأخرى من النقد.

ويمكن ملاحظة ذلك فيما يأتي :

1- إن الأناجيل الأربعة :

أ انجيل متى، ب انجيل مرقس، ج انجيل لوقا، د انجيل يوحنا، محل اتفاق النصارى أنفسهم بأنها ألفت بعد المسيح عليه السلام بأزمان متفاوتة[1] .

وهذا ما يدل على أنها ليست من الانجيل الاصلي الذي تركه عيسى في شيء .

2- إنها لم تذكر عقيدة البعث بهذا اللفظ، لا من قريب ولا من بعيد. مع أن المسيح ذكرها بصريح العبارة عند حديثنا عن البعث بأن إجماع كافة الأنبياء والمرسلين .

3- أنها تعارضت مع العقيدة الإسلامية في الأصول الكبرى . وخاصة مسألة ألوهية المسيح، قصة صلبه، التكفير عن خطيئة آدم، وغيرها[2] .

4- إفتقارها لشروط قبولها كرسالة سماوية [3] .

5- ركاكة أسلوبها، واضطراب في عباراتها مما يعني عدم ارتقائها إلى مستوى الرسالة السماوية كإنجيل منزل من قبل الله سبحانه على عيسى الرسول عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

6- إنها - أي الأناجيل ــ محل اختلاف بين الكنائس المسيحية مثل : الأرثوذكس، الكاثوليك، البروستانت .

7- إنها تفتقر إلى وسائل الترغيب والترهيب حتى تؤثر في النفوس البشرية بخلاف عقيدة الإسلام فقد أولت لهما كثير العناية والاهتمام.

---

[1] انظر الفصل في الملل والنحل لابن حزم 1/ 2،3 .

[2] أنظر رد مفتريات على الإسلام. د/ شلبي، ص : 250 - 253 .

[3] أنظر محاضرات في النصرانية لأبي زهرة، ص : 71.

8- وأخيرا، وبناء على ما تقدم عن التوراة، والأناجيل، فإن نسجل موقف العقيدة الإسلامية من ذلك، وهو :

أ- لا يصح الاعتقاد بالتوراة والانجيل الحاليين على أنهما من عند الله سبحانه، بناء على الملاحظات السابقة من جهة، وبناء على كون رسالة الإسلام هيمنت على كافة الرسائل السماوية باعتبارها آخر الرسالات وأنها عامة للبشرية إلى يوم البعث من جهة أخرى .

ب - إن مضامين التوراة والإنجيل، سواء تعلق الأمر بالخبر التاريخي، أو حقيقة علمية، أو حكم شرعي، إن صدّقه القرآن أو السنة فهو مقبول عندنا يقينا، وإن سكتا عنه، فإنا نسكت عنه [1] .

[1] أنظر العقيدة الاسلامية للميداني، ص : 585 بتصرف .

المبحث الثالث

*****

عقيدة البعث في الإسلام

ويشتمل على ما يأتي :

تمهيد : لاستقراء الكون .

المطلب الأول : الدليل العقلي لإثبات المعاد ـ البعث ـ .

المطلب الثاني : الدليل النقلي لإثبات المعاد ـ البعث ـ .

المطلب الثالث : الدليل العلمي لإثبات المعاد ـ البعث ـ .

تمهيد إستقرائي للكون :

1- إن عملية التغيير الجارية والمستمرة التي يشهدها العالم دليل على حدوثها، وإن حدوثها دليل أيضا على فنائها وزوالها .

كما أن نظرية " الطاقة المتاحة " [1] أثبتت وجود قوة أزلية تتجلى في عرف المسلمين في " ذات ا لله عزوجل " الذي تنزه عن المشابهة والمماثلة .

قال سبحانه : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾[2]

وقال أيضا : ﴿ لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفؤا أحد ﴾[3]

وقال أيضا : ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ﴾[4] .

كما أثبتت في الوقت نفسه بداية هذا العالم وحدوثه، وما ثبت حدوثه، كان الفناء صفة ملازمة له، وبالتالي لابد أن يعقبه البعث .

2- ودليل آخر يثبت وجود يوم البعث، يتجلى في ملاحظة تركيب هذا العالم من أجزاء، وهذه الأجزاء كثيرا ما يصيبها الفناء، وانظر إلى الإنسان، والحيوان، والأشجار، والنباتات مثلا، فإنها تفنى أمام أسماعنا وأبصارنا، وهي جزء من هذا العالم، وما يصيب الجزء، يصيب الكل، ومن هنا لابد من الفناء .

وبعبارة واضحة جدا، أن الإنسان جزء من هذا العالم، فهو كثير ما يصاب في بعض أجزائه، كالقلب، الرأس، المعدة، وسائر الأعضاء، فكلما اشتدت الإصابة كان احتمال الموت واردا جداً، وهذا لايناقض الأجل الذي حدده المولى في علمه، فكل الناس تموت، ولكن بأسباب مختلفة، والحكمة المأثورة في هذا الصدد هي :

- (تعددت الأسباب والموت واحدة)

- (وإذا أراد ا لله أمرا هيأ له الأسباب) .

3- والسؤال المطروح أيضا :

---

[1] أنظر موضوع [الطاقة المتاحة] في نشأة العالم، هل هو مصادفة أو قصد . للعالم الرائد : فرانك الان، نقلا عن كتاب : ا لله يتجلى في عصر العلم لـ : نخبة من العلماء الأمريكيين، ترجمة : الدكتور الدمرداش عبد المجيد سرحان، ص : 5-10 .

[2] سورة الشورى، آية : 11 .

[3] سورة الإخلاص، آيتا : 3 -4.

[4] سورة الأنعام، آية : 103 .

هل البعث أو المعاد ممكن الحدوث ؟

نعم، يمكن حصول البعث، وإثباته لا يوجب أي تناقض عقلي، وكل ما لايوجب تصور وقوعه تناقضا عقليا، كتصور وقوع الشيء موجودا غير موجود، والواجب ما أوجب عدم تصور وقوعه تناقضا عقليا ، كتصور وجود مصنوع بدون صانع، أو مخلوق بدون خالق، أو معلول بدون علة.

إذن، المعاد، أو البعث، أمر ممكن جائز، وهكذا ثبت بالقياس العقلي، والبرهان المنطقي إمكان ذلك[1] .

---

[1] أنظر عقيدة المؤمن ، لأبي بكر جابر الجزائري، ص : 213 بتصرف .

المطلب الأول

الدليل العقلي لإثبات الميعاد .البعث .

سلك القرآن الكريم في إثبات يوم الآخرة مسالك عقلية هي في غاية البيان والوضوح، منها :

أولا : أن الشيء إذا لم يكن، ثم كان وأزيل، كانت إعادته ثانية أسهل وأهون على من أنشأه من البداية .

فالذي يبني دارا، أو يصنع آلة، ثم أفسدهما، أو أزال أثرهما، كان عليه من السهل إعادتهما، ولا غبار في ذلك .

ولقد جاء هذا النوع من الإستدلال في القرآن الكريم في الآيتين الآتيتين على سبيل المثال لا الحصر :

قوله تعالى : ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده، وهو أهون عليه، وله المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾[1] .

قوله تعالى أيضا : ﴿ قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ﴾ في جواب من قال : ﴿من يحي العظام وهي رميم ﴾[2] .

ثانيا : الإستدلال بنوم الإنسان والحيوان واستبقاظهما، فالنوم يعتبر موتة صغرى، واليقظة تعتبر أيضا حياة صغرى، فكما تتم عملية النوم، وعملية الاستيقاظ للصنفين المذكورين آنفا، تتم عملية الموت وإعادتهما في الآخرة ثانية، وجاء الإستدلال على هذا النوع في القرآن الكريم وهو قوله تعالى : ﴿ وهو الذي يتوفاكم بالليل، ويعلم ما جرحتم بالنهار، ثم يبعثكم فيه ليقضي أجلا مسمى، ثم إليه مرجعكم، ثم ينبئكم بما كنتم تعملون ﴾[3]

فالعبارة واضحة على الوفاة الصغرى، وهي النوم، وهذا ما نلمسه من قوله ﴿ يتوفاكم بالليل ﴾ و ﴿ ثم يبعثكم فيه ﴾ أي تنامون بالليل وهو موتة صغرى، وتحيون بالنهار وهو يقظة صغرى أيضا [4] إلى أن يحين موعد الموت الحقيقي ثم بعده حساب وعقاب بعد قيام الساعة وحشر الناس بطبيعة الحال .

---

[1] 30 / الروم، آية : 27.

[2] 36 / يس، آيتا : 78 ـ 79 .

[3] 6 / الأنعام، آية : 60.

[4] صفوة التفاسير، ص : 1/ 395 بتصرف

ثالثا : الإستدلال بالأرض الميتة بسبب القحط، أو الجدب، حيث تنعدم فيها النباتات، وبعد نزول المطر، أو سقيها بالآلات، فإن الخضرة تنبعث من أرجائها، وجاء هذا النوع من الإستدلال في الآيات الآتية :

قوله سبحانه :

﴿ ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت، إن الذي أحياها لمحي الموتى إنه على كل شيء قدير ﴾[1].

وقوله أيضا :

﴿ وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، ذلك بأن الله هو الحق، وأنه يحي الموتى، وأنه على كل شيء قدير ﴾[2] .

رابعا : الإستدلال بعدم وجود منافس لله سبحانه في كل شيء، فضلا عن آيات : الخلق، الرزق، الإماتة، والإحياء، وهذا ما نلمسه من قوله عزوجل :

﴿ الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ [3] .

خامسا:الإستدلال باختلاف سلوك الناس فضلا عن لغاتهم وألوانهم على قدرة الله سبحانه، القادر على إعادة الجميع بعد موتهم إلى الحياة الثانية بعد قيام الساعة.

قال تعالى :

﴿ إن سعيكم لشتى فأما من أعطى واتقى وصدّق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذّب بالحسنى فسنيسره للعسرى ﴾ [4] .

وقوله أيضا :

﴿ ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين ﴾ [5] .

---

[1] 41/ فصلت، آية : 60 .

[2] 22/ الحج ، آيتا : 5 6 .

[3] 30/ الروم، آية : 40 .

[4] 88/ الغاشية، آيات : 4 ـ 10 .

[5] 30/ الروم، آية : 22 .

سادسا: الإستدلال بالتكاليف الشرعية على وجود يوم الآخرة، فنحن نرى تفاوت الناس في الإيمان، والطاعة، كما يتفاوتون في الكفر والمعصية، فإذا لم يكن جزاء على هذه الطاعة، أوعقوبة لأولئك العصاة، فما مستقبل الطائعين والعصاة معا ؟ وهذا ما توضحه الآية الكريمة :

قال تعالى :

﴿ الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴾[1]

وقال أيضا :

﴿ أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون ﴾[2]

سابعا : شعور الأغلبية الساحقة من الناس عبر مختلف العصور و الأمكنة، بوجود عالم الآخرة، وهذا الشعور لا يختلف عن شعورهم بالجوع، والعطش، والحرارة، والبرد، و لم يكفر بهذا المعتقد إلا أناس لهم خلل في عقائدهم، أو انحراف في تفكيرهم.

وهذا الشعور دليل آخر على وجود يوم الآخرة .

ثامنا : وجود ناس لا يعدون من الكثرة، على أنهم يناجون الأرواح وهذه الأرواح من الجن، التي كانت ولا تزال غيبا عن الأغلبية من الناس، فوجود هذا النوع من المناجاة دليل على وجود الآخرة، لأنها من الغيب العام الذي أمرنا بالإيمان به.

قال تعالى :

﴿ الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ﴾[3]

والغيب ما غاب عن الحواس وعن آلات الرصد المختلفة . ويدخل في الغيب علم الجن، والآخرة، وغيرهما .

تاسعا : وآخر الدلائل على وجود المعتقد هذا، هو ما يتناقله الناس في القديم والحديث عن ظاهرة المنام .

فكثيرا ما شاهد أحياء أناسا آخرين عرفوا بالموت، ومع ذلك حصلت لقاءات، وأحاديث، وربما عن الموت بالذات، والنعيم والعقاب، وغيرها .

---

(1) 67/ الملك، آية : 2 .

(2) 68/ القلم، آيتا : 35 ـ 36 .

(3) 2/ البقرة، آيات : 1 ـ 3 .

ولقد دل هذا القـدر المشـترك على وجـود عـالم الآخـرة المختفـي عـن الحـواس والأنظـار، فسبحان القادر العليم .

المطلب الثاني

الدليل النقلي لإثبات الميعاد .الآخرة .

لم يأت القرآن الكريم إلى إثبات عقيدة الآخرة من زاوية النص فحسب، بل جاء إليها ـ إضافة إلى ماسبق من الأدلة ـ عبر بوابة الوصف والتشخيص لمختلف أشكال النعيم والملذات التي أعدها ا لله سبحانه للمؤمنين، فضلا عن وصفه لأنواع العذاب والآلام التي تنفر منها الأسماع.

كيف لا، وهذا الوصف من قبل خلاق عليم، عرف بكامل الصفات وتنزه عن كل ما لا يليق بجلاله وعظمته .

وفي النصوص التالية عيّنات من تلك الأوصاف والإشارات :

ـ عن إثبات مجيئها، يقول الحق سبحانه :

﴿ وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن ا لله يبعث من في القبور ﴾[1]

ويقول :

﴿ زعم الذين كفروا أن لن يُبعثوا، قل بلى وربي لتُبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على ا لله يسير ﴾[2]

ففي الآيتين السابقتين تأكيد يزيل كل شك، بأن يوم البعث أمر لابد من إتيانه وحصوله، ولافائدة من الإرتياب فيه .

ـ وفي تعليق الفلاح والإستقامة على الإيمان به، يقول الحق سبحانه :

﴿ ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن با لله واليوم الآخر ﴾[3]

ويقول أيضا :

﴿ لقد كان لكم في رسول ا لله إسوة حسنة لمن كان يرجو ا لله واليوم الآخر ﴾[4]

وجعل الفوز بلقاء ا لله مرهونا بالإيمان والعمل الصالح :

---

[1] سورة الحج، آية : 7.

[2] سورة التغابن، آية : 7.

[3] سورة البقرة، آية : 232.

[4] سورة الأحزاب، آية : 21.

قال سبحانه :

﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾[1]

- في الآخرة فصل بين الأتقياء والأشقياء :

قال سبحانه :

﴿ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، فأما الذين اسودت وجوههم، أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون، وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة هم فيها خالدون ﴾[2].

- في الآخرة تنكر للقرابة عند الحساب :

قال تعالى :

﴿ يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾[3] .

- في الآخرة سعادة لأهل التقوى :[4]

قال تعالى في ذلك :

﴿ إن المتقين في مقام أمين في جنات وعيون ﴾[5]

وقال أيضا :

﴿ إن المتقين في جنات ونهر عند مليك مقتدر ﴾[6]

وقال أيضا :

﴿ إن المتقين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون ﴾[7]

- وفيها أيضا شقاء لأهل الضلال :

قال تعالى في ذلك :

﴿ إن جهنم كانت مرصادا للطاغين مآبا لابثين فيها أحقابا ﴾[8]

---

[1] سورة الكهف، آية : 110.

[2] سورة آل عمران، آيتا : 106 - 107.

[3] سورة عبس، آيات : 34 - 35.

[4] التقوى عند الإمام علي رضي الله عنه وأرضاه هي :
الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والرضى بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل .
وهو تعريف جامع شامل كما يتضح .

[5] سورة الدخان، آيتا : 51 - 52 .

[6] سورة القمر، آيتا : 54 - 55.

[7] سورة المرسلات، آيتا : 41 - 42 .

[8] سورة النبأ، آيات : 21 - 23 .

وقال أيضا :

﴿ فويل يومئذ للمكذبين الذين هم في خوض يلعبون يوم يُدَعُّون [1] إلى نار جهنم دعّا هذه النار التي كنتم بها تكذبون ﴾[2]

وقال أيضا :

﴿ إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدّلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزا حكيما ﴾[3] .

نكتفي بهذه النصوص التي استشهدنا بها كأدلة نقلية لإثبات حقيقة يوم الآخرة، إضافة إلى وضع عناوين مناسبة لسياق الآية .

والحق أن جل الآيات القرآنية، وخاصة المكية منها، أعطت ليوم الآخر وجزائه النصاب الأوفر من الحديث، وما ذكرناه يكفي للعبرة والدراسة .

---

[1] يدعّون : يدفعوت بشدة وعنف .

أنظر في ذلك : تذكرة الأريب في تفسير الغريب لابن الجوزي : 182/2.

وكذلك : معاني القرآن وإعرابه، للزجاج : 62/5.

[2] سورة الطور، آيات : 11 - 14 .

[3] سورة النساء، آية : 56 .

المطلب الثالث

الدليل العلمي التجريبي لإثبات المعاد ـ البعث ـ ويشتمل على الفقرات التالية :

تمهيد :

لا أكون مبالغا إن قلت عبر هذه الأسطر المتواضعة :

بأني توصلت بحمد الله وتوفيقه إلى إكتشاف دليل علمي يثبت حقيقة يوم البعث، كعالم مستقل أعده المولى تبارك وتعالى للجزاء، يثيب فيه المؤمنين، ويعاقب فيه العصاة والكافرين .

وحتى لا يؤول كلامي، ويفهم عن غير قصد، أقول :

إكتشفت، والمعنى واضح وجلي، أي بحثت عن شيء موجود، ولكنه اختفى عن الحواس، وعن الوسائل الاستكشافية الحديثة التي قد يظن دعاتها أنه بمقدر تلك الآلات التي بلغت الدقة في التقنية التي تتميز بها أن يكتشفوا أو يعرفوا مكنون الغيب الذي اختفى، حتى يعرضوه للدراسة، أو الفحص، أو الاختبار. ولكن هيهات ذلك نظرا للحقائق التالية :

1- إن الروح الذي في جنب الانسان، وهو في عالم الشهادة ـ عالم الحس ـ لم يخضع لقدرة الحواس على تشخيصه، فكيف لآية آلة إستكشافية أن تقف على حقيقته، والدليل على ذلك ما سبق من آراء العلماء في تعريفهم للروح كيف عجزوا عن خروجهم بتعريف موحّد، فضلا عن الوقوف على حقيقته وفحواه، ومن هنا يتجلى الإعجاز القرآني عندما جعل أمر الروح من اختصاص المولى سبحانه وحده، قال تعالى :

﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾[1].

---

[1] سورة الإسراء، آية . 85 .

2- وإذا كان الروح مستعصى عن الإدراك نتيجة عدم خضوعه لمقياس الحواس، فضلا عن غيبيته، على الرغم من وجوده بين أظهرنا وجوانحنا، فكيف الأمر بالغيب[1] عامة ؟ بما فيه عالم الآخرة الذي نحن بصدد البحث عنه .

ثم إن عدم القدرة الحواس والعقل[2] على استكشافه لا يدل بالضرورة على عدم وجوده، بل يدل على حدود طاقة هذه الحواس ليس لا، ولعل من رحمة الله عزوجل في هذا النطاق بالذات أن أرشد المولى تبارك اسمه الانسان إلى ضرورة التدبر، والتفكر، والنظر في حقيقة هذا الكون،

[1] اختلف المفسرون في حقيقة الغيب الذي يحمله قوله تعالى : ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ﴾ سورة البقرة آية : 3.

فمنهم من حمله على الله عزوجل، ومنهم من فسره بالقضاء والقدر، ومنهم من ذهب في ذلك إلى ما يتعلق بعالم الآخرة من حساب، وجزاء، وقضاء، وصراط، وميزان وما إلى ذلك .

وهو ما رجحه العالمان الجليلان : القرطبي، ابن عطية

انظر في ذلك :

- جامع لأحكام القرآن للقرطبي : 115/1.

- أما العلامة الراغب الأصفهاني فيرى أن الغيب إسم يشمل ما غاب عن الحواس وأخبرت به الأنبياء عليهم السلام .

انظر : مفردات الراغب ص : 366 - 367.

[2] وفي حدود طاقة العقل عن اختراق مجال الغيب إتفق الأئمة الشافعي والغزالي وابن خلدون على أن أمور الآخرة لا يمكن أن يدركها بواسطة العقل، وذلك بناء على افتقاره لوسائل يمكن من خلالها تصوير هذا العالم، وما فيه من أحداث. وحقائق. وهاهي عباراتهم بنصها تنطق بذلك "

يقول الإمام الشافعي : (إن للعقل حدا ينتهي إليه كما أن للبصر حدا ينتهي إليه) نقلا عن العقيدة الإسلامية للميداني، ص : 21 .

أما أبو حامد الغزالي فيقول أيضا :

[ولا تستبعد أيها المعتكف في عالم العقل أن يكون وراء العقل طور قد يظهر فيه ما لا يظهر في العقل] المرجع السابق ص : 21 .

أما العلامة ابن خلدون فكان أكثر إيضاحا وتفصيلا في تحديد طاقة العقل، وها هو يقول :

(.... واتبع ما أمرك الشارع به من اعتقادك وعملك، فهو أحرص على سعادتك، وأعلم بما ينفعك، لأن من طور فوق إدراكك، ومن نطاق أوسع من نطاق عقلك، وذلك ليس بقادح في العمل ومداركه، بل العقل ميزان صحيح، فأحكامه يقينية لا كذبة بينها، غير أنك لا تطمع أن تزن به أمور التوحيد، والآخرة، وحقيقة النبوة، وحقائق الصفات الالهية ، وكل ما وراء طوره، فإن ذلك طمع في محال ..... وإذا تبين ذلك فلعل الأسباب إذا تجاوزت في الارتقاء نطاق إدراكنا، ووجودنا، خرجت عن أن تكون مُدرَكة فيضل العقل في بيداء الأوهام. ويحار وينقطع ....)

أنظر : المقدمة ، ص :460.

وما بث فيه من آية، وما سطر فيه من علامة، حتى يهتدى بذلك إلى حقيقة الإيمان بالبعث الذي تحدثت عنه الآيات القرآنية بإسهاب واستفاضة، مما يعني أنه حتى إن استحال عن الحواس إدراكه، إلا أنه يوجد سبيل ومنهج يقود إلى الإقرار بالحياة الأخرى، وهو ما يتجلى عند التأمل والملاحظة في ظاهرة الزوجية المنتشرة في الآفاق.

وما الأسباب التي صرفت الملاحدة عن معرفة ذلك سوى الغفلة، والإعراض عن فهم سر هذه الحياة، قال سبحانه موضحا ذلك :

﴿ يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون ﴾[1].

ومعنى ذلك أن علم هؤلاء الكفار منحصر في المجال الحسي وما تقتضيه الحياة الدنيا من أمور تخص العمران : كالزراعة، الصناعة، التجارة، وهكذا ... أما أن يعلموا، أو يدركوا، بأن هذه الحياة الدنيا مؤقتة، ينبغي التزود منها إلى ألاخرة بصالح الأعمال، فهو ما غفل عنه أولئك[2] .

---

[1] سورة الروم، آية : 7. والايات القرآنية التي تلي هذه الآية كلها حديث يدعو إلى التدبر لفهم حكمة خلق الله سبحانه للانسان، والكون، وضرورة التعرف والاعتبار بمصير الأمم البائدة على مر التاريخ، فضلا عن مواقفها العدائية إزاء المرسلين آنذاك، كما ختمت الآيات حديثها بضرورة التأمل في فلسفة الجزاء التي تتطلبها الحياة الأخرى من المنظور الأخلاقي، والديني، ذلك أن مجرد إفنائها وزوال أثرها من الحياة الدنيا يدل قطعا على أنها في قبضة الواحد الديان ليحاسبها يوم القيامة الذي كان للبشرية بالمرصاد.

[2] انظر الكشاف للزمخشري في تفسير سورة الروم : 3/ 215.

وكذا : مفاتيح الغيب للفخر الرازي سورة الروم : 86/25 .

3ـ وجود الدنيا لا يعني انتفاء الآخرة

وإذا كانت الآية السابقة ارجعت سبب كفر أولئك الناس بالبعث الأخروي إلى عامل الغفلة الذي يعني تعلقهم بالدنيا، وافتتانهم بزخرفها، ومباهجها، وخاصة ملاحدة العصر الحديث الذين استهوتهم الانجازات العلمية المختلفة في شتى نواحي الحياة، فإن من نتائج تلك الغفلة أن جعلتهم يجهلون الحكمة التي تضمنتها خواص المادة، حتى يوظفوها لمعرفة حقيقة الآخرة التي تنتظرهم بالمرصاد . وهو ما كشفته بعض النظريات العلمية الحديثة[1] ولكن الأمر لا يتعدى مجالها الدنيوي .

في حين نجد القرآن الكريم دعا البشر إلى ملاحظة هذه الظاهرة واتخاذها وسيلة لتقوية الإيمان با لله سبحانه، والاستعداد لملاقاته يوم الآخرة بصالح الأعمال والأقوال. وهو ما تتضمنه الآيتان الكريمتان على سبيل المثال . قال تعالى :

- ﴿ سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون ﴾[2]
- ﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ﴾[3]

فهاتان الآيتان توضحان بجلاء العبارة إطراد الزوجية في كل شيء فسبحان الخالق العليم الذي أرشد العقول البشرية إلى ملاحظة هذه الظواهر الكونية وتوظيفها في خدمة العقيدة،

---

[1] أنظر النظريتين في المقدمة، لمقال : د/ محمد السعيد مولاي، ص : 4.

[2] سورة يس، آية : 36.

[3] سورة الذاريات، آية : 49.

والأخلاق، والسلوك، حتى لا ينحرف الإنسان عن مساره الذي رسمته الرسالات السماوية، وخاصة منها رسالة الإسلام التي تبقى الوحيدة التي سلمت من التحريف نظرا لما تتمتع به من إعجاز، إضافة إلى كونها الأخيرة والعامة لجميع البشر .

4ـ الزوجية في لغة الإنسان

وإذا كان الإنسان بإمكانه أن يدعي الجهل عن إدراك سر الزوجية المطردة في كل شيء في عالم الحس المنتشر في الآفاق، فإن الله عزوجل أرشده إلى ذلك من خلال اللغة التي ينطق بها هذا الإنسان في كل الأزمنة والعصور ـ حتى لا تكون له حجة بعد ذلك ـ ولعل اشتمال اللغة العربية على مصطلح [الطباق] في علم البلاغة، لا يعني انفرادها عن بقية اللغات أوحتى اللهجات، ذلك أن الطباق عند أهل الاختصاص يعني :

الجمع بين المتضادين أي معنين متقابلين في الجملة، ويكون ذلك بإسمين متقابلين، كقوله سبحانه :

﴿ وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ﴾[1]

فبين إسم (أيقاظا) وإسم (رقود) طباق، باعتبارهما متضادين لا يجتمعان أو فعلين متقابلين، كقوله تعالى :

﴿ تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ﴾[2]

فبين فعل : (تؤتي) و فعل : (تنزع) طباق أيضا [3] .

---

[1] سورة الكهف، آية : 18.

[2] سورة آل عمران، ةية : 26.

[3] أنظر : الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني، ص : 192.

وهكذا يتجلى لكل ذي لب وبصيرة أن مصطلح الزوجية ليس مقتصراً على المادة فحسب، بل يشمل كافة الأشياء بما فيها المعاني التي يتعرف بها على فحواها من خلال فهم وتدبر لغة هذا الإنسان الذي عبر عما في هذه الحياة من خلال ما دوّنه من كتب، أو سجله من نقوش وآثار في مجال التراث الانساني بوجه عام .

علاقة الزوجية بالبعث :

وهنا قد يتبادر سؤال، وربما مهم جدا : ما صلة الزوجية بالبعث ؟

فالجواب على ذلك ما يأتي :

1 ـ بما أن الزوجية ميزة مطردة في الإنسان، الحيوان، النبات، المعاني والأفكار كالعلم والجهل، الإيمان والكفر، الحياة والموت، وهكذا .....

فإننا نستنتج في النهاية أنه من وراء الموت حياة ثانية أطلق عليها القرآن : الآخرة، وهي نتيجة منطقية تقتضي مقابلة الدنيا كطرفي نقيض نظرا لاستحالة التقائهما معا، وتزاوجهما وتكاملهما باعتبار أن الدنيا دار عمل، والآخرة دار جزاء .

كما يمكن الاستدلال على ذلك بالقياس الأصولي بـ :

[قياس الغائب على الشاهد][1].

2 ـ الاشتراك في الخلق :

وإذا كانت الزوجية تعني إطراد الخلق في كل شيء مصداقا لقوله تعالى :

﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ﴾[2]

فإن هذا الاطراد لم يكن غاية في حد ذاته، بل حكمة الله في خلقه تنزهه عن العبثية ، قال سبحانه:

---

[1] أنظر : مناهج البحث عند مفكري الإسلام. د/ النشار، ص : 132.

[2] سورة الذاريات، آية :49 .

﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون ﴾[1]

فهذه الآية تصرح باستحالة العبثية عن لله عزوجل في خلقه، وأنه ما أوجد الانسان من العدم إلا لحكمة الاختبار، والابتلاء، ليسير على الهدى أم الضلال، وهذا بعد أن اقام عليه الحجة بإرسال الرسل التي جسدت ذلك بأقوالها وأفعالها، قال عز من قائل :

﴿ إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كافورا ﴾[2]

﴿ وهديناه النجدين ﴾[3]

﴿ فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى ﴾[4]

وهكذا يتضح في الأخير أن الزوجية في القرآن الكريم إنما جاءت لتفصح للعباد أن الحياة الدنيا الفانية تقابلها الدار الآخرة الباقية الدائمة عل الرغم من عدم خضوعها لعالم الحس، ومن ثمة فلا حجة لأي كان أن ينكرها على أساس أنها لم تدركها الحواس، أو وسائل الاستكشاف، أو مجاهر المختبرات .

وبهذا التمهيد كشفنا النقاب عن أهمية الاكتشاف، والآن نشرع في الوقوف على حقيقة الزوجية، وهو ما يتجلي في الصفحات التالية .

---

(1) سورة المؤمنون، آية : 115.

(2) سورة الانسان، آية : 3.

(3) سورة البلد، آية : 10.

(4) سورة النازعات، آيات : 37 - 41.

أولا:

في تعريف الزوجية

تعريف الزوجية :

" زوج " يقال لكل واحد من القرينين من الذكر والأنثى في الحيوانات المتزاوجة زوج، ولكل قرينين فيها وفي غيرها زوج، كالخف والنعل، ولكل ما يقترن بآخر مماثلا له أو مضاد زوج.

قال تعالى : ﴿ فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى ﴾[1]

وقال أيضا :

﴿ أسكن أنت و زوجك الجنة .... ﴾[2]

وقال أيضا :

﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين ...... ﴾[3]

فتنبيه أن الأشياء كلها مركبة من جوهر وعرض ومادة وصورة، وأن لاشيء لا يتعرى من تركيب يقتضي كونه مصنوعا، وأنه لابد له من صانع تنبيها أنه تعالى هو الفرد .

وقوله تعالى :

﴿ خلقنا الزوجين ﴾ فبين أن كل ما في العالم زوج، من حيث أن له ضدا أو مثلا ما، أو تركيب ما، بل لا ينفك بوجه من التركيب، وإنما ذكر هاهنا زوجين تنبيها أن الشيء، إن لم يكن له ضد ولا مثل، فإنه لا ينفك من تركيب جوهر وعرض وذلك زوجان . اهـ [4]

وعند صاحب المعجم الوسيط في تفسير الزوجية يقول :

الزوجية : مصدر صناعي بمعنى الزواج، يقال بينهما حق الزوجية، ومازالت الزوجية قائمة." اهـ [5]

الإزدواجية : صفة أو حالة ما هو مزدوج : تواجد عنصرين من طبيعة مختلفة ـ ازدواجية الكائن البشري ـ، ـ ازدواجية اللغة في بلجيكا ـ، ـ وفي الحكم : اشتراك سلطتين فيه بوجه غير شرعي، وهي من عيوب الحكم . اهـ [6]

---

(1) سورة القيامة، آية : 39.

(2) سورة البقرة، آية 35 .

(3) سورة الذاريات، آية : 49 .

(4) مفردات الراغب، ص : 215 - 216 .

(5) المعجم الوسيط : 1 407 .

(6) المنجد في اللغة والأعلام، ص : 941 .

ثانيا :

صيغ الزوجية في القرآن الكريم

إن الناظر في المصحف الشريف حول كلمة [زوج]، وما جاء في اشتقاقاتها يجدها لا تتعدى المعاني التالية :

ـ المعنى الأول : الأزواج، بمعنى الحلائل، من ذلك قوله سبحانه :

﴿ وهم فيها أزواج مطهرة ﴾[1]

﴿ وأزواج مطهرة ورضوان من الله ﴾[2]

﴿ ولكم نصف ما ترك أزواجكم ﴾[3]

ـ المعنى الثاني : بمعنى القرناء، كقوله تعالى :

﴿ احشروا الذين ظلموا وأزواجهم ﴾[4]

يعني قرناءهم من الشياطين.

وكذلك قوله : ﴿ وإذا النفوس زوّجت ﴾[5]

يعني : نفوس الكفار ونفوس الشياطين، ثم نفوس المؤمنين بالحور العين .

ـ المعنى الثالث : الأزواج بمعنى الأصناف، كقوله تبارك اسمه :

﴿ أو لم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم ﴾[6]

﴿ سبحان الذي خلق الأزواج كلها ﴾[7]

﴿ ثمانية أزواج من الضأن اثنين .... الاية ﴾[8]

﴿ قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين ﴾[9]

---

(1) سورة البقرة آية : 25.

(2) سورة آل عمران آية : 15.

(3) سورة النساء آية : 12 .

(4) سورة الصافات آية : 22 .

(5) سورة التكوير آية : 7.

(6) سورة الشعراء آية : 7 .

(7) سورة يس آية : 36 .

(8) سورة الأنعام آية : 113 .

(9) سورة هود آية : 40 .

فهذه الآيات في كلمة [الأزواج تفيد معنى الأصناف، وكذلك الآيات التالية :

﴿ ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين ﴾[1]

﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ﴾[2]

﴿ وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى ﴾[3]-[4]

---

[1] سورة الرعد، آية : 3 .

[2] سورة الذاريات، آية : 49 .

[3] سورة النجم، آية : 45 .

[4] استقيت المعاني الثلاثة من قاموس القرآن، للدامغاني ص : 219 - 220.

ثالثا :

تصنيف آيات الزوجية

أولا : تصنيف آيات الزوجية :

وردت في القرآن الكريم آيات قرآنية كثيرة تتحدث عن الزوجية ويمكن تصنيفها إلى أربعة أقسام هي :

القسم الأول : زوجية الانسان

وهو ما تتضمنه الآيات التالية على سبيل المثال لا الحصر :

ـ ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا ﴾[1]

بمعنى : النساء التي هن زوجات للرجال.[2]

ـ ﴿ وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى ﴾[3]

أي أوجد الصنفين الذكر و الأنثى، والغرض أنه تعالى هو القادر على إيجاد الضدين في محل واحد .... الذكر والأنثى[4].

كما أن النطفة التي تمنى تعني : زوجين. حيوان منوي مذكر، وحيوان منوي مؤنث، وتبقى القدرة الإلهية التي تحدد نوع الجنين عند الحمل فتبارك الله أحسن الخالقين[5] .

[1] سورة الروم آية : 21 .

[2] انظر : صفوة التفاسير للصابوني : 2/ 475.

[3] سورة النجم آية : 45 ـ 46 .

[4] انظر تفسير الخازن ـ سورة النجم : 6/ 221 .

[5] انظر خلق الانسان بين الطب والقرآن. د. محمد علي البار ص . 67.

القسم الثاني : زوجية النبات

وهو ما تدل عليه الآيتان الكريمتان، قال سبحانه :

أ ـ في الأشجار المثمرة :

﴿ ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين ﴾[1]

ب ـ في النبات عامة :

﴿ فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى ﴾[2].

القسم الثالث : زوجية الحيوان

وهو ما تحمله الآية التالية :

ـ ﴿ ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين، قل ءآلذكرين حرم أم الأنثيين، أما اشتملت عليه رحان الأنثيين نبئوني بعلم إن كنتم صادقين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل ءآلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين أم كنتم شهداء إذ وصاكم ا لله بهذا ﴾[3].

القسم الرابع : زوجية عامة

وهو ما تحمله الآيتان :

1ـ ﴿ سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون ﴾[4]

2ـ ﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ﴾[5] .

---

[1] سورة الرعد، آية : 40 .

[2] سورة طه، آية : 53 .

[3] سورة الأنعام، آيتا : 143 ـ 144 .

[4] سورة يس، آية : 36 .

[5] سورة الذاريات، آية : 49 .

رابعاً :

أقوال المفسرين في الزوجية

وإذا كان من الصعب استعراض آراء المفسرين في الزوجية نظرا لكثرة عددهم، فضلا عن الآيات التي لا يحصيها عد، فإننا نختار آية واحدة لكونها أشمل، حتى تكون عينة نستوضح من خلالها آراء المفسرين التي تكاد تكون متفقة على المعنى رغم استقلال كل واحد منهم بالتعبير أو الأسلوب الذي يتمتع به عما سواه.

وهذه الآية هي قوله تعالى من سورة الذاريات رقم : 49

﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ﴾

والمعنى عند كافة المفسرين :

أن الله خلق من كل شيء صنفين، ونوعين مختلفين، ذكر وأنثى وحلوا وحامضا، ونحو ذلك (1) .

وقال العلامة مجاهد :(2)

يعني به المتقابلات كالذكر والأنثى، السماء والأرض ... الليل والنهار، النور و الظلام، والخير والشر وأمثال ذلك (3) .

---

(1) انظر في ذلك على سبيل المثال :

- تفسير الطبري لسورة الذاريات :
- " الفخر الرازي لسورة الذاريات : 195/28 .
- " القرطبي لسورة الذاريات . 36/18 .
- " ابن الجوزي " " : 258/7 .
- " البيضاوي " " : ص : 693 .
- " النسفي " " : 188/4 .
- " الزمخشري لسورة الذاريات : 20/4 .
- " الخازن " " : 224/6. وكذا : تفسير البغوي : 317/4 .
- " ابن كثير " " : 237/4 .
- " الشوكاني " " : 91/5 .
- " القاسمي " " . 203/9 .
- " سيد قطب " " : 3385/5 .
- " الصابوني " " . 258/3 .
- " حجازي " " : 541/30 .
- " محمد الطاهر بن عاشور لسورة الذاريات : 18/27 . وغيرها .

(2) مجاهد بن جبر : [21 - 104 هـ] (642 - 722) م تابعي ، إمام في التفسير، قال عنه الذهبي : أجمعت الأمة على إمامة مجاهد .
انظر ترجمته في : تذكرة الحفاظ : 92. طبقات ابن سعد : 466/4 .حلية الأولياء : 279/3. كشف الظنون : 458 . معجم المفسرين : 462/2 .

(3) انظر الجامع لأحكام القرآن ص : 53/17 .

خامسا :

الزوجية في الطب الحديث

إنه لا يخلو شيء في الوجود من نظام الزوجية، فهذه الصبغيات تتقابل على هيئة أزواج، شارة الذكورة Y تقابل شارة الأنوثة X الحيوان المنوي الذكر، يقابله الحيوان المنوي المؤنث ... أمام هذا نقف خشعين متبتلين نتلوا قوله سبحانه :

﴿ سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض، ومن أنفسهم ومما لا يعلمون ﴾[1][2]

كما أن عملية خلق الجنين وتحديد نوعه تعود إلى نوع الإشارة المنوية التي تلتحق بالبويضة وذلك تبعا لمشيئة الله الذي يتصرف في الخفاء قال سبحانه :

﴿ يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكران وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير ﴾[3].

---

[1] سورة يس، آية : 36 .

[2] أنظر على سبيل المثال :

- خلق الانسان بين الطب والقرآن د/ البار، ص : 68.
- الطب محراب الإيمان د/ خالص جلبي كنجو، 1/77.

[3] سورة الشورى، آيتا : 49 - 50.

سادسا :

الزوجية في منظور العلم إجمالا

وإذا كان الطب يقر بإطراد الزوجية في نطاق اختصاصه، أعني في مجال فحص الحيوانات المنوية للرجل مثلا، فإن العلم الحديث عامة يرى أن الله جلت قدرته أودع في الذرة اليكترونات في الأطراف وهي كهربائية سالبة [-] تدور بصورة إهليليجية حول المركز بسرعة فائقة، بسرعة ألفي كلم في الثانية، وهذه أعظم سرعة عرفت لحد الآن على وجه الأرض، وترى في مركز الذرة [نواة] قد تكدست البروتونات وهي كهربائية موجبة [+].

ثم إنه يلاحظ أن العالم كله مشكل من نوعين من الكهربائية، كهربائية موجبة [+]، وكهربائية سالبة [-]، وأما النيترون الذي هو بجانب البروتون في نواة الذرة فهو خليط من كهربائية موجبة وسالبة متعادلة [+ -]، إذن العالم مشكل من نوعين من الطاقات : كهربائية موجبة [+] وكهربائية سالبة [-]، وواضح أن السالب غير الموجب، كما أن الأنثى غير الذكر، وهكذا نرى أن الزوجية متأصلة بأمر الله تعالى في أدق الأشياء .

فالغاز الكوني (الايدروجين) وهو من أبسط العناصر مشكل من اليكترون واحد [-] وبروتون واحد [+] وهذا يفسر قوله تعالى :

﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين ﴾[1]

ونرى أن القوى أو الطاقات التي تتألف منها العوالم هي بالمآل هي إما :

كهربائية أو مغناطيسية، فالكهربائية أيضا تحصل على مغناطيسية وذلك بوضع سلك حول قطعة من حديد، وإمرار تيار كهربائي في هذا السلك، فتتمغنط قطعة الحديد، ويحدث فيه قطبان : الشمالي والجنوبي كقطعة من مغناطيس[2] طبيعي، وبتدوير ملف من الأسلاك في مجال مغناطيس

---

[1] سورة الذاريات، آية : 49 .

[2] أنظر : التكامل في الإسلام للكاتب الشيعي العملاق أحمد أمين، ص : 49/4 وما بعدها بتصرف .

كما هو في [الدينامو] نحصل على الكهرباء - التيار الكهربائي -

وهنا تتجلى الحقيقة العلمية[1]

[إنما العالم مجموعة قوى كهربائية مغناطيسية أو كهروطيسية] فأين إذن المادة التي يتغنى بها دعاتها ؟

نحن نشاهد الزوجية حتى في القوى والطاقات، بل وفي الجن أيضا، كل ذلك لتبقى الوحدانية خاصة با لله عزوجل، لا يشاركه فيها أحد.

إن الزوجية معروفة في النبات ... في الحيوان... في الإنسان ... وقد اكتشف حديثا أن الزوجية متأصلة بأمر ا لله تعالى حتى في الذرة التي لا تراها العين .

لذلك قيل :

[إن أعظم دليل على وجود ا لله سبحانه هو وجود المرأة بجانب الرجل فهل يعقل للرجل أن يخلق لنفسه أنثى لإدامة النسل البشري ؟][2] [3].

---

[1] هذه الحقيقة العلمية للفيزيائي الأمريكي البرت أنشتاين، كما أوردها صاحب المرجع السابق .

[2] الكلمة للكاتب والمفكر الفرنسي مونتيه ميشيل . نفس المرجع .

[3] نفس المرجع 49/4 بتصرف .

وإنصافا للحقيقة نقول من خلال صاحب هذا المرجع : أحمد أمين إن الشعية أوسع أفقا في العلميات من أهل السنة، وخاصة في العصر الحديث .

سابعا :

الخلاصة والإستنتاج :

مما تقدم، نستنتج أن الزوجية مطردة في كل شيء خلقه الله تعالى في هذا الكون المنتشر في الآفاق، وهذا ما يدل على ما يأتي :

أولا : وجود الروح بجانب الجسد

وفي هذا رد على المنكرين للروح من الفلاسفة الذين لا يؤمنون إلا بالعلم المادي الخاضع للحس. والتجارب المخبرية .

ثانيا : إن هذه الحقيقة القرآنية العلمية تبين بوضوح صدق رسالة الإسلام، وأنها من عند الله وحده. وما على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم إلا التبليغ، والدعوة، وها هو قد فعل . أما أن يخبر عن العلميات المنتشرة في الكون فهو أمي، لا يقرأ، ولا يكتب. ومن هنا تبقى رسالة الإسلام تتحدى الملاحدة في كل الأزمان والأماكن بمنطق الحجة والبرهان .

ثالثا : وجود الآخرة مقابلة للدنيا

وإذا كان عالم الآخرة من الغيب الذي اختفى عن عالم الحس، فإن ذلك ليس مدعاة لإنكاره، بل إن سبب عدم إدراكه يعود إلى قصر حدود الحواس، والعقل، عن استطلاع الغيب، ليس إلا.

وصدق الرحمن تبارك إسمه، حينما بين في قرآنه البليغ الفصيح بأن سبب كفر الملاحدة بالآخرة يعود إلى حصر عقولهم في العالم الحسي المشاهد، أما أمر الآخرة فقد غاب عنهم فضلا أن يتفكروا فيه :

﴿ بل إدراك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها، بل هم منها عمون ﴾[1]

فالآية كما هي واضحة تبين شكهم وعماهم عن الآخرة، لأن علمهم محصور في الدنيا التي هي من عالم المحسوس، فكيف يسألون عنها، وهم منكرون لها أصلا ؟[2]

وهكذا يبقى القرآن الخالد يحمل شعار العلم، والحجة، والبيان، حين يقول :

﴿ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾[3]

---

[1] سورة النمل، آية : 66 .

[2] أنظر تفسير الكشاف للزمخشري : 3/156 - 157 .

[3] سورة البقرة، آية : 111 .

وإلى حين ينتبه الملاحدة من تيه الغفلة، والكبر، يدركون حقيقة ذلك، وهذا في حالة حياتهم. أما بعد الموت فقد فات الأوان .

ومن هنا تجلت رحمة الله بالإنسانية جمعاء أن أرشدها عبر ظاهرة الزوجية لتلتمس قدرة الله في خلقه للأشياء كلها، فضلا عن معرفتها لعالم الآخرة الذي تقتضيه حكمة الزوجية المطردة في كل شيء حتى تسعد في الدنيا وتنعم في الآخرة .

ثالثا : ومن المظاهر التي تمليها حقيقة الزوجية ما يطرد في علم اللغات وأطلق عليه الطباق، على أساس تقابل ضدين يستحيل إجتماعهما في وقت واحد، سواء في عالم الحس، أو في عالم المعنى .

ومادام الطباق يعني تقابل ضدين معينين، فإنه عند التأمل في الآيات القرآنية التي تحمل ذكر الدنيا والآخرة، فإنني قد أحصيتها فوجدتها نيف وأربعين موضعا[1] تتكلم عنهما معا، محذرة من إيثار الدنيا على الآخرة على أساس أن الأولى فانية، الثانية باقية خالدة .

وإليك واحدة للعبرة فقط :

﴿ بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى ﴾[2]

فأنت ترى ذكر [الدنيا]، و[الآخرة] كنقيضين لا يلتقيان، لأن الأولى من عالم الشهادة والحس، والثانية من عالم الغيب .

أما تتبع الآيات التي تتحدث عن الحياة بوجه عام، والآخرة وما شاكلها من ألفاظ : القيامة، الساعة، الطامة، الحاقة ... وغيرها فكثير جدا لا يتسع لها المقام أو المجال .

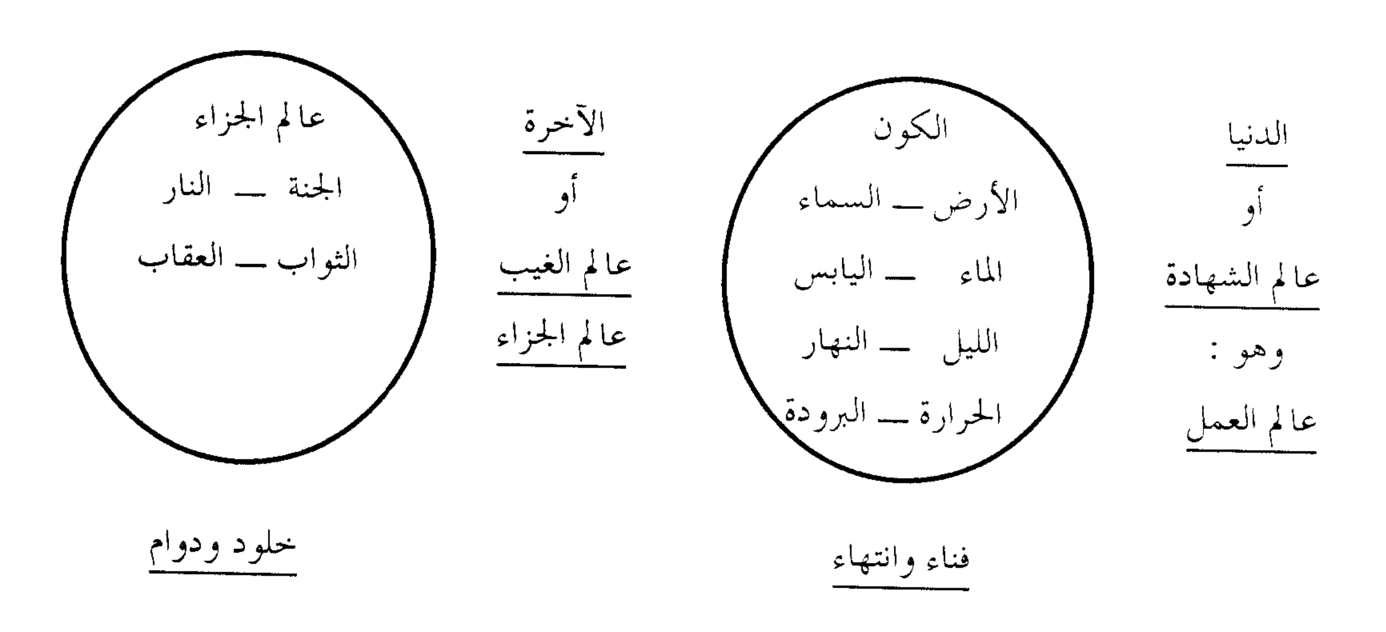
(1) أنظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . محمد فؤاد عبد الباقي، ص : 262. وما بعدها، مادة : دنيا .

(2) سورة الأعلى، آيتا : 16 ـ 17.

وبعد هذا لابأس من عرض جدول توضيحي في إطراد الزوجية :

الإنسان	الحيوان	النبات	المعاني	الطبيعة	الحالة الإجتماعية
الرجل	الذكر	الذكر	الخير ـــ الشر	الليل ـــ النهار	الصحة ـــ المرض
المرأة	الأنثى	الأنثى	الإيمان ـــ الكفر	الظلمة ـــ النور	الغنى ـــ الفقر

وعند استقراء مظاهر الزوجية في الحياة الكونية نستنتج في المقابل، وجود عالم آخر مقابل يسمى : الآخرة، وهو مقابل للدنيا، أو عالم الغيب مقابل لعالم الشهادة، وفيمايلي رسم آخر توضيحي لذلك :



وهو المطلوب إثباته، وبا لله التوفيق

الفصل الرابع

*****

إرهاصات البعث

ويشتمل على مايأتي :

تمهيد : في الاحتجاج بأحاديث الآحاد في العقيدة.

توطئة : في توضيح الأشراط و الآيات .

المبحث الأول : العلامات الصغرى التي وقعت وانتهت.

المبحث الثاني : العلامات الصغرى التي وقعت ويمكن أن تتكرر.

المبحث الثالث : العلامات الصغرى التي لم تقع بعد.

المبحث الرابع : العلامات الكبرى التي تسبق قيام الساعة.

المبحث الخامس : بداية الانقلاب الكوني .

تمهيد :

تنبيه لابد منه :

يلاحظ في الفصول الآتية أنني استشهدت كثيرا بالأحاديث النبوية الصحيحة التي كانت من نوع ـ الآحاد ـ، والتي تتحدث على الإجمال عن علامات قرب البعث الأخروي، وهنا قد يثار سؤال : كيف تستشهد بالأحاديث الأحادية في موضوع العقيدة التي لا تثبت إلا باليقين ؟

فالجواب عن هذا الإشكال يتضح من خلال الفقرات الآتية :

أولا : تحديد موضع الخلاف بين العلماء :

يمكن تحديد نقطة الخلاف في الخبر الواحد الذي لم يتقو بإحدى الأمور الآتي :

أ ـ القرينة المفيدة للعلم .

ب ـ وقوع الإجماع على العمل بمقتضاه.

ج ـ تلقي الأمة له بالقبول .

د ـ كونه : (مشهورا)[1] أو (مستفيضا) [2] [3]

وقال العلامة الشوكاني : [4]

(واعلم أن الخلاف الذي ذكرناه في أول هذا المبحث من إفادة خبر الآحاد الظن، أو العلم، مقيد بما إذا كان خبر واحد لم ينضم إليه ما يقويه، و أما إذا انضم إليه ما يقويه، أو كان مشهورا، أو مستفيضا، فلا يجري فيه الخلاف)[5] .

---

[1] الحديث المشهور هو : [مارواه ثلاثة فأكثر، في كل طبقة، ما لم يبلغ حد التواتر]
مثاله : [إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه ... الحديث]أخرجه البخاري في : العلم، باب كيف يقبض العلم .
وأخرجه مسلم في : العلم، باب رفع العلم وقبضه .

[2] الحديث المستفيض هو : [قيل إنه مرادف للمشهور، وقيل أن يستويا طرفا إسناده، وقيل غير ذلك] ومثاله قوله صلى الله عليه وسلم : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، متفق عليه .أخرجه البخاري في : الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده و مسلم في : الإيمان ، باب تفاضل الإسلام .

[3] أنظر في تعريف الحديث المشهور والمستفيض في : ـ شرح النخبة لابن حجر، ص : 5.
ـ اختصار علوم الحديث لابن كثير، ص : 187.
ـ علوم الحديث ومصطلحه، د/ الصبحي الصالح، ص : 230.229.
ـ تيسير مصطلح الحديث، د/ محمود الطحان ص : 22 .

[4] الشوكاني محمد بن علي ت سنة : 1250هـ، فقيه، مجتهد، مفسر، أصولي، ولد بشوكان، اليمن، من آثاره : فتح القدير في التفسير، إرشاد الفحول في الأصول، شرح نيل الأوطار في أحاديث الأحكام .
أنظر ترجمته في : البدر الطالع 214/2، هدية العارفين 365/2.

[5] أنظر إرشاد الفحول للشوكاني ص : 49 . وكذا : أصول مذهب الامام أحمد، د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، ص : 248.

ثانيا :

إن الأحاديث المستشهدة بها في هذا السياق، معظمها في الصحيحين وقد تلقتهما الأمة بالقبول، فضلا عن إشتمالها في أغلب الأحيان على نوع المستفيض والمشهور، وما كان خارج الصحيحين تقوى بمجموع النصوص الأخرى .

ثالثا :

إن الأخذ بالحديث الصحيح الأحادي تدعمه الاعتبارات التالية :

1- إن آيات من القرآن الكريم تدعو إلى طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، وطاعته تعني السماع له، واتباعه. منها مثلا، قوله سبحانه :

- ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾[1]

ففي هذه الآية أن طاعة الرسول طاعة لله عزوجل، وفي هذا الربط بين الطاعتين تشريف للرسول عليه السلام، وعلو شأنه، وارتفاع مرتبته، لأن الرسول (ص) لا يأمر إلا بما أمر الله به، ولاينهى إلا عما نهى عنه[2]

وقوله أيضا :

﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾[3]

فالآية هذه، وإن جاءت في سبب خاص، إلا أنها عامة في كل شيء يأتي به الرسول - ص - فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب [4].

2- إجماع الصحابة في حياة الرسول عليه السلام، وبعد مماته على وجوب اتباع سنته .

3- القول بترك أحاديث الآحاد جانبا، على أساس أنها لا تفيد عقيدة ، يعني :

رفض أحاديث آحادية تخص العقيدة نفسها، كأحاديث الأنبياء الذين لم ترد أسماؤهم في القرآن الكريم، أحاديث أفضلية الرسول (ص)، أحاديث سؤال الملكين في القبر، أحاديث أهل الكبائر الذين لا يخلدون في النار، أحاديث أشراط الساعة، نزول عيسى عليه السلام وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، وغيرها كثير جدا .

---

[1] سورة النساء، آية : 80 .

[2] أنظر فتح القدير للشوكاني 489/1 .

[3] سورة الحشر، آية : 7.

[4] أنظر فتح القدير، 198/5.

3ـ الدليل العقلي : (خصوص ما دل على عصمة النبي صلى ا الله عليه وسلم، وامتناع صدور الذنب، والغفلة، والخطإ، والسهو، ليمكن القطع بكون ما يصدر عنه من أقوال، وأفعال، وتقريرات، هي من قبيل التشريع. وهذا الدليل من أمتن ما يمكن أن يذكر من الأدلة على حجية السنة، وإنكاره مساو لانكار النبوة من وجهة عقلية) [1] .

وعلى هذا، فجمهور أهل العلم يوجب العمل به، حتى وإن أفاد الظن، على أساس وروده من طريق الآحاد، وليس من طريق المتواتر[2] .

ومن ثمة، لا عبرة بالرأي المخالف[3] ، لأنه حسب رؤيته لا نأخذ بالعقيدة إلا بالنص المتواتر، والسنة المتواترة بالمقارنة مع السنة الآحادية قليلة جدا. كما أنه لو أخذنا بهذا الرأي أيضا، فإننا نضطر إلى ترك أحاديث أحادية ذات الاتجاه العقائدي كما سبقت الإشارة إلى ذلك. مما يوقعنا في المنهي عنه شرعا .

ومع الإحترام للرأي المخالف. إلا أن الراجح ما ذهب إليه الجمهور من اعتماد الأحاديث الصحيحة الأحادية في باب العقائد .

---

[1] أنظر الأصول العامة للفقه المقارن، د/ محمد تقي الحكيم، ص : 128 .

[2] أنظر في ذلك مثلا :

ـ المستصفى من علم الأصول للغزالي 148/1 .

ـ المنخول للغزالي ص :253 .

ـ أصول السرخسي : 321/1 .

ـ إرشاد الفحول، ص : 49 وما بعدها .

ـ الاحكام في أصول الأحكام لابن حزم، 119/1 .

ـ الأحكام في أصول الأحكام للآمدي 161/1 .

ـ روضة الناظر لابن قدامة، ص : 53 وما بعدها .

ـ السنة ومكانتها في التشريع د/ السباعي، ص : 74.

ـ نظرات في أصول الفقه د/ عمر الأشقر، ص : 356 .

[3] أنظر : الاسلام عقيدة وشريعة د/ شلتوت، ص : 74 .

وقد وافقه في ذلك الأساتذة :

الشيخ محمد عبده، المراغي، هيكل، الخضري نقلا عن :

دراسات في السيرة النبوية محمد سرور زين العابدين، ص : 295 .

توطئة في توضيح الأشراط والآيات :

إذا كان ا لله سبحانه قد أخفى موعد حلول قيام الساعة عن الناس، فإنه قد أخبر على لسان نبيه محمد صلى ا لله عليه وسلم عن بعض تلك الآيات والأشراط التي تدل على قربها، وأن جل الايات التي نطق بها الرسول (ص) قد ظهرت. وما لم تظهر فإنها تجلو في المستقبل، على أساس أن الرسول عليه السلام لا ينطق عن الهوى، باعتباره معصوما ومكلفا بالتبليغ .

أما عبارة الأشراط فقد ورد ذكرها في القرآن الكريم مجملا . قال سبحانه :

﴿ فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم ﴾[1]

[والأشراط : جمع شرط، بفتح الشين والراء : العلامة، وأشراط الساعة : علاماتها] .[2]

والآيات أيضا : هي العلامات التي تدل على الشيء، مثل العلامات التي تنصب في الصحراء لتدل على الطريق، أو تلك التي توضع على شاطئ البحر لتهدى السفن إلى الميناء، وهكذا ...

وللعلماء في إصطلاح الأشراط والآيات مقصد ينصب على أوان القيامة من مظاهر وإرهاصات، حتى يستعد الناس، ويحتاطوا لذلك بالتوبة وصالح الأعمال، وهو ما سنعرضه في الصفحات التالية:

---

[1] سورة محمد صلى ا لله عليه وسلم، آية : 18 .

[2] أنظر أيضا :

- فتح القدير للشوكاني، 53/5.
- مفردات الراغب، ص : 258.
- غريب الحديث للهروي ، 34/1.

المبحث الأول

*****

العلامات الصغرى التي وقعت وانتهت

ويشتمل على المطالب التالية :

المطلب الأول : بعثة الرسول صلى ا الله عليه وسلم

المطلب الثاني : انشقاق القمر

المطلب الثالث : ظهور نار في الحجاز

المطلب الرابع : توقف الجزية والخراج

المطلب الخامس : اقتتال طائفة من المسلمين

المطلب الأول

بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم

من أشراط الساعة التي ظهرت وانتهت، بعثة رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم. فقد جاء في الحديث :

(بعثت أنا والساعة كهاتين)[1]

وأشار بالوسطى والسبابة

وقال العلامة ابن كثير :[2]

[فبعثته صلى الله عليه وسلم، من أشراط الساعة، لأنه خاتم الرسل، الذي أكمل الله تعالى به الدين، وأقام به الحجة على العالمين. اهـ][3]

---

(1) الحديث أخرجه البخاري في كتاب : الرقاق، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين.

وأخرجه أيضا مسلم في كتاب : الفتن، باب قرب الساعة .

(2) ابن كثير : (701 - 774) هـ (1302 - 1373) م، هو الحافظ اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، مفسر مشهور، ومؤرخ ثقة، من آثاره : تفسير ابن كثير المشهور باسمه، البداية والنهاية في التاريخ، وغيرها .

أنظر ترجمته في :

الدرر الكامنة : 399/1، البدر الطالع : 153/1، النجوم الزاهرة : 123/11.

(3) تفسير ابن كثير : 177/4، ونحوه قال الحسن البصري .

المطلب الثاني

انشقاق القمر

اتفق العلماء على أن القمر قد انشق في عهد الرسول صلى ا لله عليه وسلم، وأن إنشقاقه إحدى المعجزات الباهرات [1] .

وقد جاء ذلك في القرآن الكريم، منه قوله سبحانه :

﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾[2]

وقال الشوكاني :[3]

(وإنما ذكر اقتراب الساعة مع انشقاق القمر، لأن ذلك من علامات نبوته صلى ا لله عليه وسلم، ونبوته وزمانه من أشراط اقتراب الساعة . اهـ)[4]

ومن الأحاديث الواردة في ذلك، منها :

حديث أهل مكة حين سألوا الرسول صلى ا لله عليه وسلم أن يريهم آية،

[فأراهم إنشقاق القمر][5]

وفي رواية : [فأراهم القمر شقتين][6]

فهذه الآية ظهرت، وانتهت .

---

(1) أنظر الشفا للقاضي عياض : 281/1، وكذا : تفسير ابن كثير : 261/51.
وفتح القدير للشوكاني : 120/5

(2) سورة القمر، آية : 1.

(3) سبقت ترجمته.

(4) فتح القدير نفس الصفحة .

(5) ـ (6) صحيح البخاري، باب التفسير، تفسير سورة اقتربت : برواية : [فرقتين].
صحيح مسلم ، في صفات المنافقين، وفي الفتن، باب قرب الساعة .
سنن الترمذي، في التفسير، رقم : 3289 .

المطلب الثالث

ظهور نار في الحجاز

ومن العلامات التي دلت على اقتراب موعد الساعة، ظهور نار في الحجاز قرب المدينة المنورة، حيث جاء في الحديث :

[لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز، تضيء أعناق الإبل ببصرى[1]][2]

فهذه العلامة ظهرت كما أخبر الرسول عليه السلام، فقد احترقت منطقة الحرة الشرقية من المدينة المنورة، واستمرت النار مشتعلة ملتهبة مدة طويلة، ولهيبها شوهد من مدينة [بصرى] بالشام، ومازالت حجارتها سوداء كالفحم إلى الآن .

وكان ظهورها ليلة الأربعاء ثالث جمادى الآخرة عام : 654 هـ.[3]

---

[1] بصرى مدينة في سوريا، محافظة حوران، كانت مركزا للقوافل التجارية، أصبحت في العهد المسيحي كرسيا أسقفيا ذا شأن، افتتحها العرب سنة : 632هـ، ودخلها الصليبيون سنة 1146م.

أنظر في ذلك : دائرة المعارف لـ : بطرس البستاني: 459/5.

[2] أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب خروج النار

وأخرجه مسلم في كتاب الفتن باب لا تقوم الساعة حتى تخرج النار من أرض الحجاز.

وذكره الهندي في كنز العمال، الحديث رقم : 38883.

[3] خبر الاحتراق مذكور في :

النهاية في الفتن والملاحم ، لابن كثير : 21/1 .

المطلب الرابع

توقف الجزية والخراج

الجزية : هي ما لزم الكافر من مال، للاستقرار تحت حكم الاسلام وصونه .[1]

أما الخراج : فهو ما وضع على رقاب الارضين من حقوق تؤدى عنها، وهذا في اصطلاح الفقهاء [2] .

والجزية والخراج : كما هو واضح من التعريف يعتبران من مصادر التمويل لبيت مال المسلمين، وقد أخبر الرسول عليه السلام أن ذلك سيتوقف. وسيفقد المسلمون من جراء ذلك موردا هاما لاقتصادهم. وهو ما يوضحه الحديث التالي :

[منعت العراق درهمها وقفيزها، ومنعت الشام مديها ودينارها، ومنعت مصر إردبها ودينارها، وعدتم من حيث بدأتم][3]

فالقفيز : مكيال أهل العراق، والمد : مكيال أهل الشام، والأردب : مكيال لأهل مصر[4]. وكل هذه المكاييل خاصة بذلك الزمان، وقد ظهرت بنص الحديث. وكانت مؤشرا لذهاب الخلافة الإسلامية، واستقلال كل قطر بمكياله، وعملته، وفي هذا دليل على صدق الرسول عليه السلام فيما أخبر.

وكان كل ذلك من علامات قرب الساعة التي صنفها العلماء في أبواب الفتن .

---

(1) (2) أنظر : أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام . د/ زيدان : ص: 138، 158.

(3) أخرجه مسلم في كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات.

وأخرجه أبو داود في كتاب : الخراج، باب : في إيقاف أرض السواد، وارض العنوة .

(4) أنظر هامش النهاية في الفتن والملاحم : 53/1 .

المطلب الخامس

اقتتال طائفة من المسلمين

من الأحداث المؤسفة التي وقعت بين المسلمين، وقوع مقتلة كبيرة بينهم أسفرت عن كثير من القتلى في معركتي : الجمل عام 36 هـ، ومعركة صفين عام 37 هـ [1]

وقد تنبأ الرسول صلى ا الله عليه وسلم عنها، فكانت كما قال . ونلمس ذلك من قوله :

[لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان من المسلمين، فتكون بينهما مقتلة عظيمة، دعواهما واحدة .][2]

فهذه الفتنة إن دلت على شيء، فإنما تدل على تسلل الشر إلى صفوف المسلمين طالما ابتعدوا عن شرع ا الله الداعي إلى الإحتكام إليه كلما دعت الحاجة .

---

[1] أنظر تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص : 136 وما بعدها .

[2] صحيح البخاري، باب خروج النار، 2225/4.

صحيح مسلم، في الفتن ، تحت رقم : 7185 .

ولقد أشار ابن حجر في الفتح : 107/13، إلى أن هذه الفتنة إشارة إلى ما وقع بين الإمام علي ، ومعاوية، رضي ا الله عنهما .

كما نقل القرطبي في التذكرة : ص : 545، إجماع العلماء على إمامة علي واعتبار معاوية باغيا ظالما .

وقد نظم أحد الشعراء أبياتا هي في غاية البيان، يوضح فيها مرامي بين أمية المتسترة وراء دم عثمان رضي ا الله عنه، واسمع إليه حين يقول في واحد منها :

بنو أمية كان الملك غايتهم فأدركوه بدعوى ثأر عثمان

نقلا عن التذكرة للقرطبي، ص : 549 من الهامش .

المبحث الثاني

*****

العلامات الصغرى التي وقعت ويمكن أن تتكرر

ويشتمل على المطالب التالية :

المطلب الأول : خروج أدعياء النبوة .

المطلب الثاني : إنتشار الفتن.

المطلب الثالث : إسناد المهمات إلى غير أهلها .

المطلب الأول

خروج أدعياء النبوة

أخبر المصطفى صلى الله عليه وسلم أنه سيخرج في هذه الأمة أناس كذابون يدعون النبوة، وأنهم بهذا المسلك مدعاة للفتنة والاضطراب، وأنهم سيضلون خلقا كثيرا .

ومن النصوص الواردة في هذا الشأن ما يأتي :

قوله صلى الله عليه وسلم :

[لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كل يزعم أنه رسول الله][1]

وقد خرج جمع غفير من دعاة النبوة في عهد الصحابة، والتابعين، ويمكن أن يخرج ناس آخـرون في أزمان أخرى.[2]

[1] رواه بهذا اللفظ الترمذي في الفتن، رقم : 2219/ 432/4

وأبو داود في الملاحم رقم : 4333، 4335. سنن أبي داود : 119/4

كما أن قوله | يبعث | ليس الارسال المرادف للنبوة، وإنما المراد بذلك إدعاء النبوة من طرف أناس قامت لهم شوكة، وبدت لهم شبهة.

اهـ نقلا عن هاش جامع الأصول : 390/10 بتصرف .

[2] لقد خرج من أدعياء النبوة في عهد الصحابة : مسيلمة الكذاب، الأسود العنسي، وفي عهد التابعين : المختار الثقفي، وبعد قرن خرج المسمى: حسين بن علي بن الميرزا في إيران يدعي النبوة. أما في العصر الحديث فقد ادعى النبوة محمود محمد طه السوداني الذي أضل كثيرا من الناس بمقالاته .اهـ عن : اليوم الآخر، د/ الأشقر ، ص : 162 ـ 163.

المطلب الثاني

انتشار الفتن

حذّر الإسلام من الفتن[1] وآثارها السلبية على الفرد والمجتمع، وذلك من أجل أن ينشأ سليم القصد، مستقيم السلوك، قادرا على أداء واجبه الديني الملقى على عاتقه، وهوعبادة الله تعالى، واستخلافه في أرضه، وبسط شريعته وتوجيهاته، وإيصالها إلى القاصي والداني من أبناء جلدته ليعيش الجميع في راحة، وأمن وهناء.

إلا أنه على الرغم من جلال الغاية، وسمو القصد، أراد المولى أن يختبر عباده بشتى أنواع البلاء ليمحّص بها عباده، حتى يظهر المؤمن من المنافق والصبور من الجزوع، ولقد سمى القرآن الكريم هذا النوع بالفتنة .

ولقد جاء في القرآن الكريم ما يصف هذه الناحية، يقول تعالى في ذلك :

﴿ الم أحسب الناس أن يُتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ﴾[2] أي لا يبتلون[3]

---

[1] الفتن : ج : فتنة، وتعني عدة معان، منها :

ـ الاختبار والابتلاء، كما في قوله سبحانه :

﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ﴾ الأنبياء، الآية : 35

أي نختبركم بالشدة والرخاء

أنظر : فتح القدير، ص : 406، ج : 3 .

كما غلب إطلاق الفتنة على الشدة لكونها أكثر استعمالا وأظهر معنى، وخاصة في هذه الآية .

أنظر : مفردات الراغب، ص : 372 .

ـ الاضطراب وبلبلة الأفكار، كما في قوله سبحانه :

﴿ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ﴾، آل عمران آية : 7.

أي طلبا منهم لفتنة الناس في دينهم، والتلبيس عليهم، فتح القدير ص : 315، ج :1 .

ـ تعني العذاب ، كما في قوله جل جلاله :

﴿ ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون ﴾ الذاريات، آية : 14 .

أي : ذوقوا عذابكم، قاله ابن زيد، وقال مجاهد : حريقكم. فتح القدير 84/5 .

فلا تعارض بين التفسيرين، فالعذاب عام، والحريق خاص، وكلاهما يدلان على المعاناة والشدة .

ـ وتعني معنى الضلال، كما في قوله تعالى :

﴿ ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا ﴾ المائدة آية : 41 .

أي ضلاله، فتح القدير، ص : 41، ج : 2.

والفتنة على الاجمال جاءت في القرآن على المعاني الآتية :

الشرك، الكفر، العذاب، الابتلاء، الاحراق بالنار، القتل، الصد، الضلال، المعذرة، الجنون، اهـ عن قاموس القرآن ص : 347 .

[2] سورة العنكبوت آية : 2.

[3] قاموس القرآن، ص : 348 .

وفي آية أخرى :

﴿ ولقد فتنا الذين من قبلهم ﴾[1] ، يعني ابتلينا[2] .

وفي آية أخرى :

﴿ وفتنّاك فتونا ﴾[3] يعني ابتليناك ابتلاء[4] .

وأيّا كان نوع الفتنة بالعباد، فالغرض منها الإختبار، والتمحيص، والتمييز، ليجتازها المؤمن وهو صابر،يرجو في ذلك ربه بنيّة الإحتساب والثبات في الميدان .

والفائز كل الفوز هو من قابل قضاء ا لله وقدره بالشكر على النعمة، والصبر على البلاء .

والنصوص الداعية إلى الصبر والثبات كثيرة، منها على سبيل المثال :

قوله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ... ﴾[5]

وقوله تعالى : ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾[6]

وقوله تعالى :

﴿ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ﴾[7]

وقول الرسول ص) : عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن : إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له.[8]

وانتشار الفتن في المجتمع، لا يعني الابتلاء الرباني، لأن ما يميز الإبتلاء الرباني عن غيره من الفتن و الابتلاءات، هو أن ا لله تعالى حينما يبتلي بالمرض أو بالجفاف، أو بالزلازل مثلا، إنما يعني جس نبض الأمة، لتصبر أو تسخط، لتشكر أو تكفر، في حين أن انتشار الفتن : كانتشار المحرمات، حب الدنيا، موالاة الأعداء، اختلال الموازين في السلوك العام، يعني أن ا لله سخط على المجتمع، وبالتالي ما على المصلحين إلا مجابهة الأمر بالتغيير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

---

[1] سورة العنكبوت، آية : 3 .

[2] المصدر السابق .

[3] سورة طه، آية : 40.

[4] المصدر السابق .

[5] سورة آل عمران، آية : 200.

[6] سورة الزمر، آية : 10 .

[7] سورة آل عمران، آية : 139 .

[8] صحيح الامام مسلم، كتاب الزهد .

والتوبة من الذنوب والمعاصي، وضبط ذلك كله بمقياس الشرع الحكيم، وهذا ما تدعو إليه الآية الكريمة :

﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾[1]

والفتن على اختلاف في درجتها تعني قرب موعد الساعة، الذي يعني قرب الجزاء : الثواب أو العقاب، الجنة أو النار .

والنصوص الواردة في هذا المضمار، إنما سيقت مساق الترهيب ليسرع الناس إلى التوبة، والمراقبة، قبل أن يداهمهم أمر لا قبل لهم به .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم في جملة أحاديث عن ذلك :

- (إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويكثر الجهل، ويشرب الخمر، ويقل الرجال، ويكثر النساء، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد .... الحديث)[2]

- وفي حديث آخر :

(يكون بين يدي الساعة فتن كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنا ويُمسي كافرا، ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا، يبيع أقوام دينهم بعرض من الدنيا)[3] .

- وفي حديث آخر :

(والذي نفسي بيده، ليأتين على الناس زمان لا يدري القاتل في أي شيء قتل، ولا يدري المقتول على أي شيء قُتل)[4] .

وهذه التنبؤات النبوية تدل بحق على صدق الرسالة، فضلا عن كونها مؤشرا من مؤشرات فساد الأمم، حينما تفسد أخلاقها، وتبتعد عن هدي ربها ومنهاج نبيها محمد صلى الله عليه وسلم.

---

[1] سورة الرعد، آية : 11 .

[2] صحيح البخاري، باب رفع العلم وظهور الجهل.

[3] رواه الامام مسلم بلفظ : [بادروا بالأعمال فتنا] بدلا من لفظ : [يكون بين يدي الساعة]. في الايمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل ظهور الفتن ورواه الترمذي تحت رقم : 2196، في الفتن، باب ما جاء : ستكون فتن كقطع الليل المظلم .

[4] صحيح الامام مسلم، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل. كتاب الفتن و أشراط الساعة .

المطلب الثالث

إسناد المهمات إلى غير أهلها

إن من علامات قرب الساعة، إسناد الأمر إلى غير أهله، الأمر الذي ينذر بالفوضى، وضياع الحقوق، وشيوع الظلم، والحيف بين الناس .

ومن أجل هذا توعّد رسول ا لله (ص) أولئك الذين يسندون التكاليف إلى غير القادرين عليها، واعتبره أمرا يدل على غياب الإحساس بالواجب في قلوب الناس، فضلا عن الخراب الذي يهدد المجتمعات.

لأن الاسلام أراد بتوجيهاته العقائدية، والأخلاقية، تكوين الانسان الصالح الذي يحب لغيره ما يحب لنفسه من خير وفلاح، ولا غرابة أن نجد في نصوصه شعار :

(الدين النصيحة)[1]

(إن ا لله يحب من عبده إذا عمل عملا أن يتقنه)[2]

(خير الناس أنفعهم للناس)[3]

وهذه التوجيهات النبوية جاءت تسعى لغرس خلق الأمانة، والاحساس بالواجب، في قلوب الناس، ومن ثمة، إن أسندت إليها مهمة ما، فإنها تؤديها بإخلاص، وتفان، وذلك لما تتمتع به من كفاءة خلقية، وعلمية، وبدنية .

ولعل أكبر مقتل أفسد نظام الحياة، وعكر صفوها، أن تولى أناس وظائف التسيير لا يَمُتُّون بصلة إلى تلك المهمة، أو كانوا يعانون في قلوبهم مرض الأنانية، وحب الذات، وتعاطي الرشوة، وما إلى ذلك من أمراض اجتماعية فتاكة عانى منها المجتمع ردحا من الزمن.

قد أخبر الرسول صلى ا لله عليه وسلم أن غياب الإحساس بالواجب، أو عدم إتقان العمل، أو غياب خلق النصح بين الناس، أمر يدعو إلى ضياع الأمانة، والأمانة في معناها الشامل : أداء المرء واجبه على الوجه المطلوب[4] .

---

[1] الحديث أخرجه الامام مسلم في الايمان، باب إن الدين النصيحة

وأبو داود، في الأدب، باب في النصيحة.والنسائي ، في البيعة باب في النصيحة للامام .

[2] لم أقف على تخريج الحديث المذكور، إلا أن العراقي في تخريجه لأحاديث إحياء علوم الدين : 57/2، عزاه للامام أحمد .

[3] المعجم الأوسط للطبراني، رقم الحديث : 5783، 368/6 .

[4] في معاني الأمانة أقوال : قيل أنها فرائض، وقيل : الطاعة، وقيل : الفرائض والحدود .

ورجَّح العلامة ابن كثير معنى الأمانة : بأنها التكليف وقبول الأوامر والنواهي بشرطها، وهو إن قام بها أثيب ، وإن تركها عوقب. اهـ . أنظر ابن كثير في تفسيره : 522/3 .

وقد أخبر المصطفى صلى ا لله عليه وسلم في هذا الشأن أن من علامات قرب الساعة، اختفاء خلق الأمانة، وافتقاده في نفوس الناس .

خاصة من تحمّل المسؤولية، وما أكثرها في دنيا الناس، في هذا العصر.

قال عليه الصلاة والسلام :

(إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة، قال : كيف إضاعتها يا رسول ا لله ؟ قال : إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة)[1] .

---

[1] البخاري، في الرقاق، باب رفع الأمانة .

المبحث الثالث

*****

العلامات التي لم تقع بعد

ويشتمل على المطالب التالية :

المطلب الأول : انتصار المسلمين على اليهود .

المطلب الثاني : إنكشاف ذهب عن الفرات.

المطلب الثالث : رفض قبول الصدقة .

المطلب الأول

انتصار المسلمين على اليهود

من البشائر التي أخبر عنها الرسول عليه الصلاة والسلام انتصار المسلمين على اليهود، ونلمس ذلك من قوله :

(لاتقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهود من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر : يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي، تعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود)[1]

وفي رواية :

(تقاتلكم اليهود فتسلّطون عليهم)[2]

ونلمس من هذا الحديث البشائر التالية :

أولا - الوعد للمسلمين بالإنتصار على اليهود في المستقبل .

ثانيا - عودة المسلمين إلى الإسلام مما يؤهلهم لذلك الانتصار.

ثالثا - إمتلاكهم لمقومات الانتصار من طاقة إيمانية، وعتاد عسكري قوي.

رابعا - إنهزام اليهود وذلك بقرينة الفرار والاختفاء وراء الأشجار والأحجار .

خامسا - يتخلى الحلفاء التقليديون للإسرائيل عن الدعم والمساندة مما يعد فرصة للمسلمين لاستئصال شر اليهود والصهيونية من الوجود .

سادسا - انتشار المد الإسلامي، وامتلاك المسلمين لناصية القوة والريادة في العالم، إن شاء الله .

---

[1] البخاري في الجهاد، باب قتال اليهود، مسلم في الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء .

[2] البخاري في الجهاد، باب قتال اليهود. مسلم في الفتن من الباب السابق .

المطلب الثاني

انكشاف ذهب عن الفرات

من العلامات التي أخبر عنها الصادق المصدوق صلى الله عليه و سلم الدالة على قرب الساعة انكشاف جبل من ذهب في وادي الفرات بالعراق.

وقد جاء في هذا السياق، قوله صلى الله عليه وسلم :

(لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه ...) الحديث

وفي رواية أخرى :

(يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب، فمن حضره فلا يأخذ منه شيئا ...)[1]

---

[1] أخرجه البخاري في الفتن، باب خروج النار .

و أخرجه مسلم في الفتن ، باب لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب .

وأخرجه أيضا أبو داود في الملاحم، باب في حسر الفرات عن الكنز .

وأخرجه الترمذي في صفة الجنة باب رقم : 26 .

المطلب الثالث

رفض قبول الصدقات

ومن العلامات التي اعتبرها الرسول صلى ا لله عليه وسلم مؤشرا على اقتراب الساعة، زهد الناس، وانصرافهم عن قبول الصدقات، وخاصة إن كانت من المال ـ النقد ـ حيث جبل الناس على حبه، والحرص على كسبه. وهذا مانلمسه في الحديث التالي :

(لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال، ويفيض، حتى يُهم رب المال من يقبله منه صدقة، ويدعو إليه الرجل، فيقول : لا أرب لي فيه)[1] .

أي لا حاجة لي فيه .

وبعد هذه النماذج الصغرى من العلامات، ننتقل إلى علامات كبرى، صنفها السادة الأئمة من ضمن الآيات الكبرى التي تنبئ عن قرب الساعة، وهي كما يأتي في الصفحات التالية :

---

[1] البخاري في باب الصدقة قبل الرد .
مسلم في الزكاة .

المبحث الرابع

بعض العلامات الكبرى التي تنذر باقتراب الساعة، منها :

1- ظهور الدجال :

إن الدجال لقب لذلك الرجل الذي يظهر في آخر الزمان، وسمي بذلك كناية عن كثرة كذبه، وتضليله، أو لقدرته الخارقة التي منحها الله له إياه - قصد امتحان الخلق - حتى يغطي الحق بالباطل، وهو رجل يهودي الأصل، يظهر من جهة المشرق، يدعي الصلاح والاستقامة، ثم يدعي الألوهية، ويستجيب لدعوته خلق كثير من الناس جلهم من اليهود .

ولقد جاءت أحاديث كثيرة تتحدث عنه، وها هي بعض منها :

- روى البخاري[1] ومسلم[2] عن ابن عمر[3] رضي الله عنهما قال :

(قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال، فقال : إني لأنذركموه، وما من نبي إلا وقد أنذر قومه،ولكني سأقول لكم فيه قولا، لم يقله نبي لقومه، إنه أعور، وإن الله ليس بأعور)[4]

- وأخرج الشيخان أيضا، حديثا آخر، يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم :

(إن الدجال يخرج، وإن معه ماء ونار، فأما الذي يراه الناس ماء فنار تحرق، وأما الذي يراه الناس نارا فماء بارد عذب، فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يراه نارا، فإنه عذب طيب ...)[5]

ومن خلال هذين النصين وغيرهما إستنبط العلماء ما يأتي :

---

(1) البخاري محمد بن اسماعيل الجعفي (194 - 256) هـ، محدث بارز من الكبار، عابد، زاهد، ولد في بخارى، وتوفي في خرتنك بسمرقند، جاب الأمصار بحثا عن رواية الحديث، التقى بكبار المحدثين فشهدوا له بالحفظ والاتقان، له : الجامع الصحيح المعروف بـ : صحيح البخاري، الذي يعد بحق أصدق كتاب بعد القرآن العظيم .

أنظر ترجمته في : تاريخ بغداد : 36.4/2 ، تذكرة الحفاظ : 122/2، تهذيب التهذيب : 47/9 .

(2) الامام مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (204، 261)هـ ، حافظ، متقن، من كبار العلماء في الحديث، تلميذ البخاري، من آثاره : صحيح الامام مسلم المشهور باسمه، أنظر ترجمته في : تذكرة الحفاظ : 150/2 .

تهذيب الاسماء : 126/10 ، الوفيات : 91/2 .

(3) عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما (ت 73 هـ) صحابي جليل، أسلم صغيرا بمكة، و أول مشاهده غزوة الخندق، يعتبر من أوعية العلم .

أنظر ترجمته في : الطبقات الكبرى لابن سعد 142/4، أسد الغابة 227/3 .

(4) صحيح البخاري ، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال.

(5) صحيح الامام مسلم، كتاب الفتن، رقم الحديث : 2935 .

أ- إن الدجال يهودي الأصل يأتي من جهة المشرق على خلاف في الجهة والمكان. وأن عينه اليمنى عوراء... ولا يولد له ولد، ولا يُمكّن من دخول الحرمين الشريفين، مكتوب على جبهته - كافر — يَتَبَيَّنُهَا كل مسلم، ويقتله عيسى عليه السلام.

ب - وأن ا لله تبارك إسمه، يجري على يديه - أي الدجال - آيات وعلامات باهرات، مثل إحياء الموتى، وهي من الآيات الكبرى التي لا تكون إلا للأنبياء عليهم السلام، وهي لا تعدو كونها فتنة للعباد، على ما بيّن العلامة ابن حجر العسقلاني[1] الذي استطرد قائلا :

" إذا كان عندهم - أي الناس المشاهدين للفتنة تلك - ما يدل على أنه - أي الدجال — مبطل غير محق في دعواه، وهو أنه أعور مكتوب على جبهته كافر يقرؤه كل مسلم، فدعواه داحضة، مع وسم الكفر ونقص الذات والقدر، إذ لو كان إلها لأزال ذلك عن وجهه، وآيات الأنبياء - في دعوى صحتها - سالمة عن المعارضة فلا يشتبهان .... وفي الدجال مع ذلك دلالة بينة، لمن عقل، على كذبه لأنه ذو أجزاء مؤلفة، وتأثير الصنعة فيه ظاهر مع ظهور الآفة به من عور عينه، فإذا دعا الناس إلى أنه ربهم، فأسوأ حال من يراه من ذوي العقول أن يعلم أنه لم يكن ليسوي خلق غيره ويعدله ويحسنه، ولا يدفع النقص عن نفسه، فأقل ما يجب أن يقول : يا من يزعم أنه خالق السماوات والأرض، صور نفسك وعدّلها، وأزل عنها العاهة، فإن زعمت أن الرب لا يحدث في نفسه شيئا، فأزل ما هو مكتوب بين عينيك "[2]

2- نزول عيسى عليه السلام :

ومن علامات الإعلان عن قرب القيامة، نزول عيسى عليه السلام، ومعنى نزوله هذا أنه يهبط من السماء إلى الأرض، بعد احتجابه علينا ردحا من الزمن في مكان من ملكوت ا لله عزوجل، وهو لايزال يتمتع بحياته الأولى التي أحياه ا لله بها منذ أن كان في الأرض رسولا ونبيا [3] فيحكم بالشريعة الإسلامية، وبهذا يعلم أن نزوله لا يناقض كون الرسول (ص) خاتم الأنبياء

---

[1] ابن حجر العسقلاني، تقدمت ترجمته .

[2] أنظر كبرى اليقينيات الكونية د/ البوطي، ص : 321 .

[3] الفرق بين الرسول والنبي :

- الرسول من بعثه ا لله برسالة جديدة يدعو الناس إليها .

- النبي من بعثه ا لله لتقويم جماعة من الناس، أو تقرير شريعة سابقة، و على هذا يصبح الفرق : أن كل رسول نبي، وليس كل نبي رسولا .

أنظر : مع الأنبياء في القرآن الكريم، عفيف طبارة، ص : 11 .

وآخرهم، كما لا يناقض في الوقت نفسه أن شريعة الإسلام خاتمة لجميع الشرائع السابقة وناسخة لها إلى يوم القيامة[1] .

أما النصوص الدالة على ذلك فمنها :

قوله تعالى :

﴿ وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه، ما لهم به من علم إلا إتباع الظن وما قتلوه يقينا، بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما، وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا ﴾[2] .

فالشاهد من الآية قوله تعالى : ﴿ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ﴾ والمعنى : لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزوله عيسى عليه السلام إلا آمن به قبل موته عليه السلام، فالضمير في قوله : [قبل موته] عائد كما هو واضح من سياق الايات إلى عيسى بن مريم، وهو نص على أنه عليه الصلاة والسلام لم يمت بعد.

قال ابن كثير بعد شرحه للآية : " ولا شك أن هذا هو الصحيح، لأنه المقصود من سياق الآية في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك، فأخبر الله تعالى أنه لم يكن الأمر كذلك، وإنما شبه لهم فقتلوا الشبه وهم لا يتبينون ذلك، ثم إنه رفعه إليه وأنه باق حي وإنه سينزل قبل يوم القيامة كما دلت عليه الأحاديث المتواترة .... فيقتل مسيح الضلالة[3] ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ..... فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ ولا يتخلّف عن التصديق به واحد منهم "[4] . وقوله تعالى أيضا : ﴿ ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون، وقالوا أآلهتنا خير أم هو، ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خَصِمُون إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرائيل، ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون و إنه لَعِلْمٌ للساعة فلا تمترُنَّ بها واتبعون هذا صراط مستقيم ﴾[5]

[1] كبرى اليقينيات الكونية، ص : 323 .

[2] النساء آيات : 157 - 159 .

[3] المسيح الدجال سمي بذلك للتضليل والتمويه، نقلا عن التذكرة للقرطبي، ص : 658 .

[4] أنظر تفسير ابن كثير 577/1 ، وكذا كبرى اليقينيات الكونية ص : 324 .

[5] سورة الزخرف، آيات : 57 - 61 .

ومحل الشاهد هنا هو قوله تعالى : ﴿ وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها ﴾، فالضمير كما هو واضح يعود إلى المسيح .... والمعنى أن المسيح بن مريم لدليل على قيام الساعة، ويكون ذلك بنزوله من السماء حكما عدلا، وتؤكده القراءة السبعية الأخرى : (وإنه لعلم للساعة) أي إشارة ورمز لها، وهذا ما اتفقت عليه كلمة المفسرين عامة[1] .

وأما أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، فمنها :

ـ قوله : [والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويضع الحرب، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها، ثم يقول الراوي : واقرأوا إن شئتم قوله تعالى :

﴿ وإن أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا ﴾ [2] [3]

ـ ما روي أيضا أن النبي (ص) قال :

[إنها لن تقوم ـ الساعة ـ حتى تروا عشر آيات : الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم ..... الحديث][4] .

ـ قول الرسول (ص) :

[الأنبياء إخوة لعلات[5] أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وإني أولى الناس بعيسى ابن مريم لأنه لم يكن نبي بيني وبينه، وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه، رجل مربوع،[6] إلى الحمرة والبياض، عليه ثوبان ممصّران[7] كأن رأسه بقطر وإن لم يصبه بلل : فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويدعو الناس إلى الإسلام، ويهلك الله في زمانه المِلَلَ كُلَّها إلا الإسلام، ويهلك المسيح الدجال فيمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون][8]

---

[1] أنظر كبرى اليقينيات الكونية، ص : 325 .

[2] النساء، آية : 159 .

[3] المرجع السابق ، نفس الصفحة .

[4] رواه مسلم في الفتن، باب ما يكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال .

[5] أولاد العلات، من تكون أمهاتهم مختلفة، وأبوهم واحد . عن المرجع نفسه .

[6] رجل مربوع : قصير القامة . المعجم الوسيط : 325/1.

[7] المصبوغ بالمصر : أي مصبوغ بحمرة خفيفة . المعجم الوسيط : 880/2.

[8] البخاري، في البيوع، باب قتل الخنزير، وفي المظالم، باب كسر الصليب.

مسلم، في الإيمان، باب عيسى حاكما بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

3- ظهور يأجوج ومأجوج :

إن الكلمتين [يأجوج ومأجوج] تعنيان أمة كبيرة من الناس يفاجأ بها العالم تنسل إليه من كل جهة. تنشر الفساد والدمار في الأرض على نحو مذهل وبطريقة مرعبة، إلا أن القرآن الكريم لم يحدد وقت ظهورهم بدقة، بل اكتفى بالإشارة إلى أن ظهورهم من العلامات الكبرى لاقتراب الساعة، وفي هذا يقول الله سبحانه :

﴿ حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا، يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين ﴾[1]

وقوله أيضا :

﴿ قالوا يا ذا القرنين[2] إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا، قال ما مكّني فيه ربي خير، فأعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما، آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين[3] قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا، فما اسْطَاعُوا[4] أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا، قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء[5] وكان وعد ربي حقا، وتركنا بعضهم يموج في بعض ﴾[6]

أما من السنة النبوية، فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم :

(... لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه)[7] .

---

[1] الأنبياء، آيتا : 96 - 97.

[2] الراجح أن ذا القرنين هو الاسكندر المقدوني، وكان ملكا صالحا .

سمي بذلك لأنه ملك مشارق الأرض و مغاربها. قال فيه الشاعر :

قد كان ذو القرنين قبلي مسلما ملكا علا في الأرض غير مفند

بلغ المشارق والمغارب يبتغي أسباب ملك من كريم سيد

أنظر في ذلك : تفسير الصابوني : صفوة التفاسير ، 203/2 - 204 .

[3] الصدف : كل بناء مرتفع. والصدفان : جانبا الجبلين، المتقابلين .

[4] اسطاعوا : أصله : استطاعوا، وحذفت التاء للتخفيف لكونها مشابهة في النطق بالطاء. أنظر الكشاف للزمخشري : 499/2ن فتح القدير : 313/3 .

[5] دكاء : مستويا بالأرض، وفيه قراءاتان : ورش: دكا، حفص : دكاء. الكشاف نفس الصفحة .

[6] الكهف آيات : 94 - 99.

[7] صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب يأجوج ومأجوج .

وقوله أيضا :

(... إنها لن تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات .... نذكر منها : يأجوج ومأجوج ... الحديث)[1]

فالآيات السابقة وهذان الحديثان ذات دلالة قاطعة على أن من أشراط الساعة ظهور هذه الأمة - يأجوج ومأجوج - التي تعثوا في الأرض فسادا .

فكان الإيمان بها من الضروريات الدينية التي جاء بها الكتاب والسنة[2] .

4- ظهور دابة الأرض :

وهذه الدابة حيوان ورد ذكره في القرآن الكريم، لا يعلم شكله، ولا نوعه، إلا ا لله سبحانه، وكل الذي جاء في ذلك أن هذا الحيوان يكلّم الناس، وهو من خوارق العادات التي تتم بقدرة ا لله عزوجل، قال سبحانه :

﴿ وإذا وقع القول أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ﴾[3] .

5- طلوع الشمس من مغربها :

ومن الأخبار التي انفردت بها السنة عن الكتاب، ما جاء في حديث طويل أن الشمس تطلع من الغرب، وهذا مخالف للعرف والعادة حينما ألف الناس طلوعها من المشرق.

جاء في الحديث قوله صلى ا لله عليه وسلم :

[... لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها .... الحديث] [4]

---

[1] صحيح مسلم في الفتن باب ما يكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال .

[2] كبرى اليقينيات الكونية ، ص : 336 .

[3] سورة النمل، آية :82 .

[4] البخاري في الرقاق باب قول الرسول (ص) : بعثت أنا والساعة كهاتين / مسلم في باب الزمان الذي لا يقبل فيه ايمان .

العبرة من هذه الفتن

يستخلص من هذه الفتن التي سقنا بعضا منها، جملة من العبر نسجلها على النحو التالي :

1- إظهار صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوته حينما أخبر عن أمور غيبية حدثت كما قال، وفي هذا رفع من مكانته، ودعوة للاقتداء به فيما دعا إليه .

2- الرحمة بالأمة حتى تحتاط لمثل هذه الأحداث، وهذا بالاعتصام بالكتاب والسنة .

3- غرس خلق المراقبة والتقوى في النفوس، لأن جل الفتن تأتي كامتحان واختبار للناس، وتحذير من آفة الإنحراف والمعاصي .

4- إن هذه الفتن باختلاف أنواعها تعتبر إيذانا بانتهاء عالم الدنيا، وإقبال الآخرة، مما يعني الدعوة إلى الزهد فيها، وعدم التعلق بها. والإستعداد لملاقاة الله تعالى بصالح الأعمال.

5- ورود الفتن في شكلها المرسوم دليل على قرب الساعة وذلك من خلال بعض السلوكات السيئة التي تتعاطاها المجتمعات في جميع المجالات.

6- صيغ الفتن جاءت بعبارات تفيد القرب، مما أثار هاجس الصحابة الأفاضل، فكيف بغيرهم الذين أتوا بعدهم وقد شربوا حب المعصية حتى الثمالة ؟

7- يمكن تصنيف هذه الفتن ضمن دائرة الترهيب الشرعي للناس لتتحرك فيهم كوامن الخير، وتختفي كوامن الشر عنهم.

وقد أثبتت التجارب كلها أن القلوب إذا خلت من مخافة الله تعالى، أضحت لا يؤتمن صاحبها في أداء مسؤولية، أو القيام بالواجب. وهذا ما نلاحظه اليوم من انحرافات وانزلاقات نسأل الله تعالى اللطف والسلامة .

المبحث الخامس

*****

بداية الانقلاب الكوني

ويشتمل على المطالب التالية :

المطلب الأول : ـ النفخة الأولى ـ

المطلب الثاني : النفخة الثانية ـ للبعث والحياة الثانية ـ

المطلب الثالث : الحشر والقضاء

المطلب الرابع : الحساب والميزان

المطلب الخامس : الصراط

المطلب السادس : الجنة ونعيمها

المطلب السابع : النار وشقاؤها .

المطلب الأول

النفخة الأولى

عندما يشاء المولى تبارك وتعالى بزوال هذا الكون من الوجود، يأمر ملكا يدعى (إسرافيل) بأن ينفخ في الصور[1] نفخة واحدة يصاب الكون إثرها بزلزلة عنيفة، تنحل عبرها كل الروابط التي تجمع بين اجزاء الكون، فترتج الأرض، وتندك الجبال، وتنشق السماء، وتسقط النجوم، وتزول الأفلاك، ويتغير وقتئذ هذا العالم، المسمى بعالم الشهادة، ويتحول إلى خراب ودمار، ويقبل بعد ذلك عالم الغيب الذي يتضمن عالم لآخرة بالذات .

قال عز من قائل في جملة من آياته :

﴿ فإذا نفخ في الصور[2] نفخة واحدة وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية ﴾[3]

ـ ويقول أيضا عن هول الحدث :

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما

---

[1] الصور لغة : هو البوق، وفي الاصطلاح الشرعي : مخلوق أعده الله بحسب سننه الكونية ليحدث فيه هاتين النفختين ـ أي الأولى والثانية . انتهى، نقلا عن العقيدة الإسلامية و أسسها، ص : 647 .

[2] أما الذي ينفخ في الصور هو الملك " إسرافيل " فقد ورد أنه صاحب الصور الذي ينفخ فيه بإذن الله ، فيهلك من في السماوات ومن في الأرض.... اهـ ، عن المرجع السابق، ص : 275 .

وورد " الصور " بمعنى " الناقور " في قوله تعالى من سورة المدثر، آية : 8 ، [فإذا نُقِرَ في الناقور]، المعنى مقتبس من صفوة التفاسير، ج : 3، ص : 474.

[3] 69/ الحاقة، آيات : 13-16 .

أرضعت[1] وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ﴾[2]

- ويقول أيضا عن مصير الكون :

﴿ إذا السماء انفطرت[3] وإذا الكواكب انتثرت[4] وإذا البحار فجرت[5] ﴾[6]

وأيضا :

﴿ القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة ﴾[7]

وأيضا :

﴿ يوم تكون السماء كالمهل[8] ﴾[9]

---

[1] " يوم تذهل كل مرضعة " إن هذه الآية تحمل معنى غير ما يألفه الناس في الدنيا، وهو ما نقله العلامة الشنقيطي في تفسيره القيم المسمى : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الجزء الخامس، ص : 13 وما بعدها، حيث يقول :

" فإن قيل هذا النص فيه إشكال لأنه - أي الآية فسرت بعد القيام من القبور - لا تحمل الإناث، حتى تضع حملها من الفزع، ولا ترضع، حتى تذهل عما أرضعت. فالجواب عن ذلك من وجهين :

- الأول : ما ذكره بعض أهل العلم، من أن من ماتت حاملا تبعث حاملا، فتضع حملها من شدة الهول والفزع، ومن ماتت مرضعة بعثت كذلك. ولكن هذا يحتاج إلى دليل.

- الثاني : أن ذلك كناية عن شدة الهول كقوله تعالى في آية 17 سورة المزمل [يوم يجعل الولدان شيبا] ومثل ذلك من أساليب اللغة العربية المعروفة وهنا يعود إلى سرد الأدلة والحجج على كون الزلزلة المذكورة في سورة الحج تكون بعد القيام من القبور فيقول :

إن معناها " أي الزلزلة " شدة الخوف، والهول، والفزع، لأن ذلك يسمى زلزالا بدليل قوله تعالى في سورة الأحزاب آية : [إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنون هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا]، أي هو زلزال فزع وخوف لا زلزال حركة الأرض ... "

واستدل على أن الزلزال هذا هو يوم القيامة بعد البعث والنشور بما ثبت في صحيح البخاري عن أبي سعدي الخدري (ض) وفيه أن الله عزوجل يقول يوم القيامة : آدم ! فيقول : لبيك ربنا وسعديك، فينادي بصوت : إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار، قال : يا رب، وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف أراه، قال تسعمئة وتسعة وتسعين، فحينئذ تضع الحامل حملها، ويشيب الوليد، وترى الناس سكارى ... ثم قال : وفيه تصريح النبي (ص) بأن وقت وضع الحامل حملها يوم القيامة لا آخر الدنيا . انتهى .

[2] 22/ الحج، آيتا : 1،2 .

[3] انفطرت : انشقت .

[4] انتثرت : تساقطت وتناثرت .

[5] فجرت : فتح بعضها إلى بعض، فاختلط عذبها بمالحها. أنظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : 295/5 .ج 3، ص : 528 .

[6] 82/ الانفطار، آيات : 1،2،3.

[7] 101/ القارعة، آيات : 1 - 3 .

[8] أي تكون السماء سائلة كالرصاص ، أو ما يبقى أسفل السائل من زيت . عن المصدر السابق : 220/5.

[9] 70/ المعارج، آية : 8.

وأيضا :

﴿ يوم تمور السماء موراً ﴾[1] [2]

إلى آخر الآيات التي تتحدث عن الموقف الرهيب بلغة الفزع والخوف تناسب الحدث والظرف .

ومما يلاحظ و يسترعي الانتباه، أن أمر موعد الساعة لم يعلمه الرسول (ص)، بل اكتفى بالإشارات السابقة التي استعرضنا جزء منها في إطارها .

ويبقى الوقت والحدث من اختصاص ا لله عزوجل وحده، فسبحانه القاهر القادر الذي وصف نفسه بنفسه، حين قال :

﴿ هو ا لله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبّار المتكبر سبحان ا لله عما يشركون هو ا لله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾[3] [4] .

---

[1] أي تدور. المصدر نفسه 61/5.

[2] 52/ الطور، آية : 9 .

[3] إتماما للفائدة ارتأيت شرح تلك الأسماء الحسنى وهي كالتالي باختصار :

الملك : المالك لجميع المخلوقات، المتصرف في خلقه بالأمر والنهي، والإيجاد والعدم.

القدّوس : المنزّه عن القبائح وصفات الحوادث .

السلام : الذي سلم الخلق من عقابه، وأمنوا من جوره .

المؤمن : المصدّق لرسله بإظهار المعجزات على أيديهم .

المهيمن : الرقيب الحافظ لكل شيء .

العزيز : القادر القاهر الذي لا يغلب ولا يناله ذل .

الجبّار : القهّار العالي .... الذي لا يذل من دونه .

المتكبر : الذي له الكبرياء حقا تليق بمقامه .

البارئ : الموجد للخلائق من العدم .

المصوّر : المبدع للأشكال حسب إرادته .

الحكيم : الحكيم في صنعه ... انتهى، نقلا عن صفوة التفاسير ج3، ص : 356 - 357 .

[4] 59/ الحشر ، آيتا : 23 - 24 .

المطلب الثاني

النفخة الثانية للبعث والحياة الثانية

إذا كانت النفخة الأولى تعني الإماتة لسائر المخلوقات، وقيام الساعة، وخراب الأكوان، فإن النفخة الثانية تعني الإذن الرباني والإشارة المطاعة لقيام الخلائق من القبور .

يقول تعالى في ذلك :

﴿ ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا ما شاء الله ﴾ [1]

فهذه عن النفخة الأولى.

وعن الثانية قوله تعالى :

﴿ ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾[2]

وقال تعالى أيضا :

﴿ يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة ﴾[3]

فالراجفة : النفخة الأولى، والرادفة : النفخة الثانية[4] .

الفترة بين النفختين :

قال الإمام القرطبي[5] ي نقلا عن بعض العلماء : اتفقت الروايات على أن بين النفختين أربعين سنة[6] وذلك بعد أن يجمع الله سبحانه وتعالى ما تفرق من أجساد الناس من بطون السباع ... وبطن الأرض، وما أصاب النار منها بالحرق، والمياه بالغرق، وما أبلته الشمس، وذرته الرياح، .... إلى أن قال : فرجع كل ذي روح إلى جسده "[7] .

---

[1] الاستثناء في قوله تعالى : [إلا ما شاء الله] يفيد ما شاء الله استثناءهم من الموت بهذه النفخة، والمعنيون بهذا الاستثناء محل خلاف بين العلماء منهم من قال هم : جبريل، إسرافيل، ملك الموت، ومنهم من قال : حملة العرش، وخزنة النار ... والله أعلم . أنظر في ذلك : فتح القدير 475/4، وكذا صفوة التفاسير 88/3، العقيدة الاسلامية وأسسها ص : 647.

والحق أنه من الغيب الذي لم نؤمر بالخوض فيه . والله أعلم .

[2] الزمر ، آية : 68.

[3] النازعات، آيتا : 6،7.

[4] نقلا عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنظر صفوة التفاسير: 514/3.

[5] تقدمت ترجمته .

[6] التذكرة للقرطبي، ص : 184.

[7] نفس المصدر ، ص : 185.

حديث الفترة الزمنية بين النفختين :

قول الرسول (ص) : [ما بين النفختين أربعون، قيل يا أبو هريرة[1] : أربعون يوما ؟ قال أبيت، قالوا : أربعون شهرا ؟ قال : أبيت، قالوا : أربعون سنة ؟ قال : أبيت، ثم ينزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل، قال : وليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظما واحدا، وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة][2] .

كيفية البعث :

وردت آيات قرآنية تصف البعث بالخروج إلى ساحة الحشر، منها مثلا :

قوله تعالى :

﴿ قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا. هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ﴾[3]

وقبلها قوله تعالى :

﴿ ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون ﴾ [4]

وقوله أيضا :

﴿ ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون ﴾[5]

وقوله :

﴿ يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون ﴾[6]

وقوله :

﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾[7]

---

[1] تقدمت ترجمته

[2] رواه البخاري في كتاب التفسير باب يوم ينفخ في الصور، حديث رقم : 4135 .

رواه مسلم في الفتن باب ما بين النفختين ، حديث رقم : 7340.

وكذا جامع الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم : 421/10.

والحديث لم يحدد فيه راويه المدة، هي أيام، أو أشهر، أو أعوام ، إلا أن الامام النووي رحمه الله جزم بالسنوات ج5، ص : 813.

طبعة دار الشعب . نقلا عن عقيدة المؤمن للجزائري، ص : 339 .

[3] يس، آية : 52.

[4] يس ، آية : 51.

[5] الروم، آية : 25.

[6] المعارج، آية : 43.

[7] 20/ طه، آية : 55.

وقوله :

﴿ يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج ﴾[1]

إلى آخر الآيات التي تصف هذا الحدث العظيم .

وإن أنس من الآيات، فلن أنس قوله تعالى في وصفه لقدرته على إعادة الحياة لمن مات، وفنى، وتحول إلى تراب وذرات :

﴿ وضرب لنا مثلا ونسي خلقه، قال من يحيي العظام وهي رميم ؟ قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ﴾[2]

وقوله تبارك اسمه :

﴿ أيحسب الإنسان أن يترك سدى، ألم يكن نطفة من مني يمنى، ثم كان علقة فخلق فسوى، فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى، أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ﴾[3]

وقوله تعالى :

﴿ يوم تشّقّق الأرض عنهم سِراعا ذلك حشر علينا يسير ﴾[4] [5]

---

[1] 50/ ق، آية : 42.

[2] 36/ يس، آيتا : 78 - 79.

[3] 75/ القيامة، آيات : 36 - 40 .

[4] 50/ ق، آية : 44 .

[5] والمعنى : أي يوم تنشق الأرض عنهم فيخرجون من القبور مسرعين إلى موقف الحساب استجابة لنداء المنادي، لأن ذلك الجمع والبعث سهل هين لا يحتاج إلى عناء، فسبحانه إذا أراد أمرا أن يقول له كن فيكون .

المطلب الثالث

الحشر والقضاء

الحشر أولا :

إن الحشر عبارة عن جمع الخلائق بعد إخراجهم من الأرض في ساحة واحدة لموقف القضاء والحساب .

وقد تظاهرت الآيات القرآنية في سرد حقيقة الحشر، وتعرض مختلف الصور التي ستكون في ذلك اليوم الرهيب، وذلك من أجل تقريب ما يجري إلى الأذهان والعقول :

قال سبحانه في ذلك :

﴿ وترى الأرض بارزة[1] وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا ﴾[2]

وقال أيضا :

﴿ يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زُرقا[3] ﴾[4]

﴿ قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا ﴾[5]

﴿ واتقوا الله الذي إليه تحشرون ﴾[6]

وعبّر بالجمع عن الحشر في آيات منها :

قوله تعالى :

﴿ قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة ﴾[7]

﴿ يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن [8] ﴾[9]

---

[1] أي أن الأرض ظاهرة للعيان، ليس عليها ما يسترها من جبل أو شجر أو بنيان، قلعت جبالها وهدم بنيانها.....اهـ صفوة التفاسير، ص :195، ج :2.

قال تعال في هذا : ﴿ يوم تبدّل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهّار ﴾ إبراهيم، آية : 48.

[2] الكهف، آية 47.

[3] أي زروق العيون، سود الوجوه، اهـ، صفوة التفاسير، ص : 247، ج : 2.

[4] 20/ طه، آية : 102.

[5] 20/ طه، آية : 125.

[6] 5/ المائدة، آية : 96.

[7] 45/ الجاثية، آية : 26.

[8] التغابن : بمعنى ظهور غبن الكافر بتركه للايمان، وغبن المؤمن بتقصيره في الطاعة . أو من الغبن الذي هو فوات الحظ. اهـ . عن تذكرة الأريب في تفسير الغريب : 64/2 .

[9] سورة التغابن، آية : 9 .

﴿ ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن ا الله لا يخلف الميعاد ﴾[1]

﴿ قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم ﴾[2]

وعبّر عن الحشر بالإحضار :

فقال سبحانه :

﴿ وإن كلٌّ لما جميع لدينا مُحضرون ﴾[3]

﴿ إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون ﴾[4]

وعبّر بالبعث عن الحشر فقال أيضا :

﴿ وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن ا الله يبعث من في القبور ﴾[5]

﴿ ثم إنكم يوم القيامة تُبعثون ﴾[6]

وقال أيضا :

﴿ زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ...﴾[7]

وقال على لسان عيسى عليه السلام :

﴿ والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ﴾[8]

وأيضا، قوله تعالى :

﴿ ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم ﴾[9]

وعبر عن الحشر بالوعد، فقال :

﴿ إنما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين ﴾[10]

﴿ إنما توعدون لصادق ﴾[11]

---

(1) سورة آل عمران، آية 9.

(2) سورة الواقعة، آية : 50

(3) سورة يس، آية : 32 .

(4) سورة يس، آية : 53 .

(5) سورة الحج، آية : 7 .

(6) سورة المؤمنون، آية : 16.

(7) سورة التغابن، آية : 7 .

(8) سورة مريم، آية : 33.

(9) سورة المطففين، آية : 4.

(10) سورة الأنعام، آية : 134.

(11) سورة الذاريات، آية : 5.

﴿ إنما توعدون لواقع ﴾[1]

﴿ إن وعد ا لله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ﴾[2]

﴿ ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد ﴾[3]

إلى غير ذلك من الآيات التي تتحدث عن اليوم بمختلف الصيغ، وكلها تنصب في إطار واحد ألا وهو يوم القيامة .

صفة الحشر :

أشارت بعض الأحاديث النبوية الشريفة إلى صفة الحشر بأن الناس يخرجون من القبور ويحشرون إلى ساحة الفصل والقضاء عراة، وهذا ما نلمسه في هذه الأحاديث على سبيل التوضيح:

قوله صلى ا لله عليه وسلم :

[إنكم تحشرون إلى ا لله حفاة عراة غرلا[4]] وفي رواية : مشاة.

وأن أول الخلق يكسى : إبراهيم عليه السلام، ثم قرأ صلى ا لله عليه وسلم : [أول خلق نعيده][5]

وفي رواية ... فقالت إمرأة[6] : أو يرى بعضنا عورة بعض ؟ فقال : يا فلانة، [لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه][7]

وفي رواية، أنه قال لتلك المرأة :

[الأمر أشد من أن يهمهم ذلك][8] .

---

[1] سورة المرسلات، آية : 7.

[2] سورة لقمان، آية : 33.

[3] سورة ق، آية : 20.

[4] غرلا : هي القلفة التي تقطع من جلدة الذكر، موضع الختان / جامع الأصول 426/10.

[5] البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء حديث رقم : 3349 .

مسلم في كتاب الجنة ، باب فناء الدنيا، وبيان الحشر، حديث رقم : 7130 .

ـ الآية القرآنية : [أول خلق نعيده] آية : 104 من سورة الأنبياء .

[6] يحتمل أن تكون عائشة في حديث آخر : 426/10 من جامع الأصول .

وهو من رواية البخاري ومسلم.

[7] سورة عبس، آية : 37.

[8] الحديث من رواية البخاري ومسلم والنسائي عن عائشة، والحديث الذي لم يذكر المرأة السائلة من رواية الترمذي. جامع الأصول 426 - 425/10

القضاء ثانيا : [1]

إن المراد بالقضاء هنا هو الفصل أو التخفيف من هول الموقف وشدة حرارته، حيث يرغب الناس في أن يوفر لهم ا لله تعالى بعض أسباب الراحة حتى يستعدوا للحساب، وهنا في هذا الموقف يتساءل الناس: عمن يتوسط لهم عند ا لله عزوجل ؟ فنراهم - كما في حديث الشفاعة الآتي قريبا - يهرعون إلى الأنبياء بحثا عن التخفيف من شدة الموقف الذي يعد بحق موقفا صعبا، واقرأ معي هذه الآيات التي تتحدث عن فضاعته، وخاصة في شأن الكفار.

يقول تعالى :

﴿ وإذا الرسل أُقّتت[2] لأي يوم أُجلت ؟ ليوم الفصل، وما أدراك ما يوم الفصل، ويل يومئذ للمكذبين ﴾[3]

وقوله أيضا :

﴿ هذا يوم لا ينطقون، ولا يُؤذن لهم فيعتذرون، هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين فإن كان لكم كيد فكيدون ويل يومئذ للمكذبين ﴾[4]

نص حديث الشفاعة :

يقول الرسول (ص) :

[إذا كان يوم القيامة، ماج الناس بعضهم إلى بعض، فيأتون آدم، فيقولون اشفع لذريتك فيقول : لست لها، ولكن عليكم بإبراهيم، فإنه خليل ا لله ، فيأتون إبراهيم، فيقول : لست لها، ولكن عليكم بموسى، فإنه كليم ا لله، فيُؤتى موسى، فيقول : لست لها، ولكن عليكم بعيسى، فإنه روح ا لله وكلمته، فيُؤتىعيسى، فيقول : لست لها، ولكن عليكم بمحمد - صلى ا لله عليه وعلى جميع الأنبياء أفضل الصلاة والتسليم - فأُوتَى فأقول : أنا لها، ثم أنطلق، فأستأذن على ربي، فيُؤذن لي، فأقوم بين يديه، فأحمده بمحامد لا أقدر عليها إلا أن يُلهمَنِيها، ثم أخر لربنا ساجدا، فيقول : يامحمد، ارفع رأسك، وقل يُسمع لك، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول : يا رب أمتي أمتي،

---

[1] اقتبست موضوع القضاء، والشفاعة، من عقيدة المؤمن، ص : 343.

[2] أقتت : من الوقت، أي جعل لها وقتا محددا.

قال الطبري : أي أجّلت للاجتماع لوقتها يوم القيامة، وقال مجاهد : هو الوقت الذي يحضرون فيه للشهادة على أممهم . اهـ .

أنظر : تفسير الطبري : 143/29 .

وكذا : صفوة التفاسير : 500/3.

[3] سورة المرسلات، آيات : 11 - 15 .

[4] سورة المرسلات، آيات : 35-40.

فيقول : انطلق، فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان فأخرجه منها، فأنطلق فأفعل، ثم أرجع إلى ربي فأحمده بتلك المحامد، ثم أخرّ له ساجدا، فيقال لي : يا محمد، ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول : يارب، أمتي أمتي، فيقال لي : انطلق، فمن كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه منها، فأنطلق فأفعل، ثم أعود إلى ربي أحمده بتلك المحامد، ثم أخرّ له ساجدا، فيقال لي : يا محمد، ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول : يارب، أمتي أمتي، فيقال لي : انطلق، فمن كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار، فأنطلق فأفعل .... الحديث][1]

[1] حديث الشفاعة، رواه البخاري في التوحيد، باب كلام الرب تعالى مع الأنبياء يوم القيامة، وفي الرقاق، باب صفة الجنة والنار.
مسلم في الايمان، باب أدنى أهل الجنة منزله فيها .

إستدراك :

إتماما للفائدة، ارتأيت أن أشير هنا إلى أن الحشر يوم القيامة يكون للإنس والجن. وقد يتبادر إلى ذهن القارئ الكريم السؤال التالي : لماذا لم تتحدث عن حشر الحيوانات على أساس أن القرآن الكريم أوردها في الذكر، كما تنص على ذلك الآية من سورة الأنعام، رقم 38 : ﴿ وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم، ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون ﴾

وكذلك حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيه :

[لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد - يقتص - للشاة الجلحاء - لا قرن لها - من الشاة القرناء، تنطحها] ؟

الحديث من إخراج الأئمة : مسلم، الترمذي، أحمد عن أبي هريرة . فالجواب أنني تركتها من باب أنها هامشية، وأن حشرها هيّن إذا ما قورنت بحشر الناس. أما الحكمة من حشرها فهي : (القصاص من البهائم في الدنيا للمظلومة منها، ويكون القصاص يومئذأي القيامة حسب مقدار إدراكها لمعنى الظلم) اهـ . والله أعلم .

أنظر في هذا : العقيدة الاسلامية وأسسها، ص : 655 .

المطلب الرابـع

الحساب والميزان

أولا : الحساب

إن المراد بالحساب هنا، هو جمع ا لله تعالى لعباده يوم القيامة ليعرفهم بما قدموا من أعمال في الحياة الدنيا، ومن ثمة يجازيهم عنها.

ولا غرابة إذن، أن نجد في القرآن الكريم آيات تحذر من نسيان يوم الحساب فضلا عن الشك فيه. قال سبحانه :

﴿ إن الذين يضلون عن سبيل ا لله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ﴾[1]

وقال على لسان رسوله موسى عليه السلام :

[وقال موسى إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب][2]

كما سبق وأن أشرنا في مبحث أسماء الآخرة ودلالاتها ما يؤكد الصرامة الربانية إزاء الخلق حين خلقهم للتكليف،والقيام بمسؤولية العبودية لله تعالى، ومن ثمة فلا مجال للعبثية التي تنزه عنها المولى تبارك اسمه، وقد قال :

﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون ﴾[3]

كما أحاط عباده علما، بأنه مطلع عليهم، عليم بكل صغيرة وكبيرة سجلوها في دنياهم. قال تعالى في ذلك :

﴿ إن ا لله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ﴾[4]

﴿ وما تفعلوا من خير يعلمه ا لله ﴾[5]

---

[1] سورة ص، آية : 26 .

[2] سورة غافر، آية : 27 .

[3] سورة المؤمنون، آية : 115.

[4] سورة آل عمران، آية :5.

[5] سورة البقرة، آية : 197 .

وأبان في الوقت ذاته بأن محكمة البشر في الدنيا قصيرة النظر في مجازاتها للناس، وذلك تبعا لحدود الطاقة من جهة، وعجزها عن الإطلاع والتعرف على النوايا التي في قلوب الناس من جهة أخرى. قال سبحانه ﴿ يوم تبلى السرائر ﴾[1]

ففي يوم الحساب هذا، يكشف ا لله تعالى، العليم بكل شيء، عن كل النوايا والأهداف التي في الصدور، ومن ثمة يجازى العباد عن أعمالهم حسب المقاصد والنيات.

ولعله من هذا المنطلق يحرص الرسول صلى ا لله عليه وسلم على الأمة في أن تجسد مطالب العقيدة التي تسكن القلوب في دنيا الواقع والحياة . حتى تكون الأعمال صورة طبق الأصل لتلك الحقائق الإيمانية التي ينشدها الدين على وجه الاجمال. قال عليه السلام :

[إن ا لله لا ينظر إلى أجسامكم وإلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم][2]

كما بين عليه السلام في موضع آخر بأن مهمة الإنسان في الحياة الدنيا كالمستخلف الذي يجب عليه أداء وصية من استخلفه بكل تفان واخلاص. وعليه أن يتقي أثناء خلافته في الأرض شيئين خطيرين يعيقانه من الأداء، أولاهما : حب الدنيا، والتعلق بالنساء. وهما ، لعمري، من أشد المغريات التي زلت بهما أقدام جل الحكام في مختلف الأزمان. وما أعظمهما من وصية تصدر من رسول عظيم حين قال :

[إن الدنيا حلوة خضرة، وإن ا لله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدينا واتقوا النساء ... الحديث][3] .

---

[1] سورة الطارق، آية : 9.

[2] صحيح الامام مسلم، كتاب البر والصلة، باب النهي عن التجسس .

[3] صحيح الامام مسلم، كتاب : الذكر والدعاء، الكتاب : 37 .

دقة الحساب :

وإذا كانت محاكم الدنيا عاجزة عن محاسبة الناس على وجه الدقة، والعدل، فإن محكمة ا لله يوم القيامة تتنزه عن ذلك، وحاشا لله تعالى أن يظلم أحدا، وقد اتصف بالعدل، ودعا إليه في أكثر من آية، قال سبحانه :

﴿ إن ا لله يأمر بالعدل والإحسان ﴾[1]

﴿ وما ربك بظلام للعبيد ﴾[2]

﴿ إن ا لله لا يظلم مثقال ذرة ﴾[3]

وإنطلاقا من هذا، فإن المتتبع لآيات القرآن في موضوع الحساب يلاحظ ما يأتي :

ا- إن وسائل الاثبات لإدانة المكلفين من العباد هي :

أ- شهادة كتب الأعمال التي دونت أعمال الإنسان، وأقواله، في الحياة الدنيا ﴿ اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾[4]

ب ـ شهادة الملائكة الذين سجلوا الأعمال، قال تعالى في ذلك :

﴿ وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون ﴾[5]

ج ـ شهادة جوارح الإنسان نفسه، قال عز من قائل :

﴿ يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعلمون ﴾[6]

د- العدل والانصاف في الحساب، قال سبحانه :

﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ﴾[7]

---

[1] سورة النحل، آية : 90.

[2] سورة فصلت، آية : 46.

[3] سورة النساء، آية : 40 .

[4] سورة الاسراء، آية : 14 .

[5] سورة الانفطار، آيات : 10-12 .

[6] سورة النور، آية : 24 .

[7] سورة الأنبياء، آية : 47 .

2ـ التجاوز والرحمة :

ومما يلاحظ في موضوع محاسبة ا لله لعباده يوم القيامة، وخاصة المؤمنين، أنه يتجاوز عن كثير من سيئاتهم ومعاصيهم، ونلمس ذلك على سبيل المثال، في قوله عليه الصلاة والسلام :

[إن لله مائة رحمة يتراحم بها الخلق بينهم، وتسع وتسعون ليوم القيامة][1]

وفي رواية :

[إن ا لله خلق يوم خلق السماوات والأرض مائة رحمة، كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض، فجعل منها في الأرض رحمة، فبها تعطف الوالدة على ولدها، والوحش والطير بعضها على بعض، فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة][2]

ويستفاد مما سبق :

1ـ أن ا لله سبحانه ما أعد الآخرة إلا من أجل الحساب والجزاء .

2ـ أنه تعالى عليم بكل كبيرة وصغيرة سجلتها يد الإنسان في الدنيا .

3ـ أنه ليس بمقدور أي مخلوق أن يفر من قبضة يوم الحساب.

4ـ في يوم الحساب العدل المطلق، والجزاء المطلق، أما في الدنيا فالأمر نسبي .

5ـ تأخير ا لله تعالى الحساب لهذا اليوم، مهلة، ورحمة بالانسانية لكي تستغل الدنيا في صالح الأعمال، وتسير على نهج الإيمان .

6ـ موت الصالحين والطالحين من العباد دون الحساب، دليل على وجود يوم الحساب الأخروي ليجمع الناس كافة، ويجازى كلا على ما قدمه في الدنيا .

[1] ـ [2] صحيح الامام مسلم، الحديث رقم : 2753، التوبة، باب سعة رحمة ا لله، وأنها سبقت غضبه .

ثانيا : الميزان

جاءت نصوص كثيرة، وخاصة من القرآن الكريم تتحدث عن الوزن، والميزان، والحق أن هذا الميزان أمر حقيقي، ولا يعلم بحقيقته إلا ا لله تعالى .

ومن تلك النصوص التي ذكرت ذلك، ما يأتي :

قوله تعالى : ﴿ والوزن يومئذ الحق ﴾[1]

وقوله أيضا : ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ﴾[2]

وقوله أيضا : ﴿ فأما من ثقلت موازينه فهو في عشية راضية، وأما من خفت موازينه فأمه هاوية ﴾[3]

قال العلامة القرطبي[4] :

(وإذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال، لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة فإن المحاسبة لتقدير الأعمال، الوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها)[5]

وإذا كان الوزن في عرف الناس يعني فعل الوزن، والميزان آلة الوزن، فإن ورود الآيات القرآنية بهما معا يعبر بحق على عدل ا لله تعالى في حكمه، وجزاءه، لا يظلم عباده مثقال شعرة، فكم من تقصير ظهر في سلوك الأفراد إلا أن ا لله سبحانه يقابله برحمة الستر، وكرم العفو. فنسأله سبحانه أن يثقل ميزاننا يومئذ بالحسنات إنه سميع مجيب .

---

[1] سورة الأعراف، آية : 8.

[2] سورة الأنبياء، آية : 47.

[3] سورة القارعة، آيات : 6-9.

[4] تقدمت ترجمته .

[5] التذكرة للقرطبي، ص : 309 .

المطلب الخامس :

الصـراط

الصراط جسر على جهنم[1] يمر عليه الناس بعد موقف الحساب ووزن الأعمال، فالمؤمنون يجتازون بسرعات متفاوتة، حسب درجات إيمانهم وأعمالهم الصالحة، أما الكفار والمنافقون فتقتنصهم كلاليب جهنم فيسقطون فيها .

والصراط هذا كحد السيف[2] ، وهو من الأمور الغيبية اليت يجب الإيمان بها، كما أنه محل إجماع العلماء[3] .

نصوص عن الصراط :

من النصوص الواردة في الصراط، قوله سبحانه :

- [وإن منكم إلا واردها[4] كان على ربك حتما مقضيا، ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا][5]

- وقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

[شعار المؤمنين على الصراط يوم القيامة : رب سلّم، سلم][6]

- وفي حديث آخر، أن الناس لا يذكرون أهليهم يوم القيامة في بعض المواطن، منها : [وعند الصراط إذا وضع بين ظهري جهنم ...][7]

---

(1) أنظر : شرح العقيدة الطحاوية، ص : 469.

(2) نفس المصدر.

(3) أنظر العقيدة الاسلامية، للميداني، ص : 659.

(4) سورة مريم ، آية : 71.

(5) رجّح صاحب العقيدة الطحاوية الورود في الآية السابقة بأنه المرور على الصراط . ص : 471 .

(6) سنن الترمذي، في صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الصراط .

(7) سنن أبي داود، في السنة، باب ذكر الميزان

موقع حوض الرسول صلى الله عليه وسلم يوم القيامة :

وقبل مغادرة موضوع الصراط، لابد من الإشارة إلى حوض المصطفى عليه الصلاة والسلام الذي يعد بحق التكريم والتشريف للرسول العظيم الذي أنزل ا لله في هذا الشأن سورة الكوثر، حيث قال عنها :

[... لقد أنزلت علي آنفا سورة، فقرأ : بسم ا لله الرحمن الرحيم : [إنا أعطيناك الكوثر ... الآيات][1] ، ثم قال :

أتدرون ما الكوثر ؟ قلنا : ا لله ورسوله أعلم، قال : فإنه نهر وعدنيه ربي عزوجل، عليه خير كثير، وهو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم في السماء، فيختلج العبد منهم، فأقول : رب إنه من أمتي، فيقول : إنك لا تدري ما أحدث بعدك][2]

وقد وصفه عليه السلام قائلا :

[... ماؤه أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل][3]

كما أنه صلى ا لله عليه السلام أشار في حديث آخر بأن لكل نبي حوضا :

[إن لكل نبي حوضا ترده أمتي، وإنهم ليتباهون : أيهم أكثر واردة ؟ وإنني لأرجو أن أكون أكثرهم واردة][4]

كما ينبغي أن نشير إلى أن الورود إلى الحوض يكون قبل اجتياز الناس للصراط على الأرجح[5] .

---

[1] سورة الكوثر، آيات : 1-3.

[2] صحيح البخاري في تفسير سورة الكوثر، وفي الرقاق، باب الحوض، صحيح مسلم في الصلاة، باب حجة من قال إن البسملة آية في كل سورة.

[3] صحيح مسلم في الفضائل، باب إثبات حوض النبي صلى ا لله عليه وسلم .

[4] الترمذي في صفة الجنة، باب صفة طير الجنة.

[5] أنظر : التذكرة للقرطبي : ص : 302، وكذا : فتح الباري لابن حجر : 466/11.

المطلب السادس :
الجنة ونعيمها

إذا كان الحديث عن جنات الدنيا شيئا ممتعا وجذابا، فكيف لو كان الأمر عن حديث يخص جنة الآخرة التي أعد فيها شتى أنواع الطيبات، وأعلى، بل وأغلى أصنف الجوائز خصيصا للمؤمنين، العاملين، المخلصين .

ولن يستطيع شخص، مهما أوتي الموهبة في فنون التصوير، سواء تعلق الأمر بالأمر المادي، أو المعنوي، أن يجارى القرآن والسنة حينما تحدثا عنها بمختلف الصيغ والأساليب، تارة في صورة أوصاف، وأخرى في شكل شرط وجزاء، وأحيانا في تصوير أهلها بعد أن أفنوا حياتهم في طاعة الله عزوجل، والاستجابة لأوامره .

ولن نستطيع في هذه العجالة أن نسجل كل ما جاء في الجنة، إلا أننا نحاول قدر الإمكان تسليط الضوء على أهم الجوامب، حتى نكون على بينة من أمرها. وفيما يلي عينات من ذلك :

1.الجنة والنار حقيقتان موجودتان :

إن الجنة والنار حقيقتان موجودتان الآن باتفاق أهل السنة[1] وذلك للنصوص التالية :

قوله تعالى عن الجنة :

﴿ أعدت للمتقين ﴾[2]

﴿ أعدت للذين آمنوا با لله ورسوله ﴾[3]

﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن[4] ﴾[5] .

---

(1) أنظر العقيدة الطحاوية، ص : 476 وما بعدها .

(2) سورة آل عمران، آية : 133.

(3) سورة الحديد، ءية : 21.

(4) آسن : غير متغير ولا منتن، أنظر : تذكرة الأريب : 160/2.

(5) سورة محمد صلى الله عليه وسلم، آية : 15.

ويلاحظ أن تلك الآيات اشتملت على الفعل الماضي المبني للمجهول المتمثل في : [أُعِدّتْ. وُعِدَ] وهو مايدل على أن الاعداد تم فعلا في الزمن الماضي. كما أن سياق الترغيب الذي تميزت به هذه الآيات على وجه الخصوص يؤكد ذلك، لأنه لا يعقل أن يُرغب، أو يبشر بشيء غير موجود في الميدان، هذا في حق الانسان المخلوق، فكيف في حق الخالق المنزه عن العبث والسخرية.

2.وصف الجنة ونعيمها :

من الآيات القرآنية التي وصفت الجنة ونعيمها، قوله تبارك إسمه :

- ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى، ولهم فيها من كل الثمرات ﴾[1]
- ﴿ إن للمتقين مفازا حدائق وأعنابا وكواعب أتراب[2] وكأسا دهاقا[3] لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا جزاء من ربك عطاء حسابا ﴾[4]
- ﴿ وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية في جنة عالية لا تسمع فيها لاغية[5] فيها عين جارية فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق[6] مصفوفة وزرابي مبثوثة ﴾[7] .

---

[1] سورة محمد صلى الله عليه وسلم، آية : 15 .

[2] كواعب أترابا : فتيات ناهدات. عن المعجم الجامع لغريب مفردات القرآن، ص : 361.

[3] كأسا دهاقا : مليئة بخمر الجنة، عن المرجع نفسه، ص : 145.

[4] سورة النبأ، آيات : 31-36 .

[5] لاغية : أي كلام لغوا وباطل، أنظر الكشاف : 247/4.

[6] نمارق : وسائد يتكأ عليها، أنظر تذكرة الأريب : 289/2.

[7] سورة الغاشية، ى‌يات : 8-16 .

ما ذكرناه من آيات وصف الجنة للاستشهاد فقط، أما للاطلاع فنجد سورة الرحمن على الخصوص من أشهر السور في وصفها، وقد تركناها لأجل الطول .

أما في السنة النبوية الشريفة، فقد جاء قول الرسول عليه السلام فيما يرويه عن ربه عزوجل :

[أعددت لعبادي الصالحين، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، واقرؤا إن شئتم : ـ أي قوله تعالى : ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة عين ﴾[1] [2]

3ـ وصف الخدمات :

ومن باب تكريم الله سبحانه لأصحاب الجنة من عباده المؤمنين أن سخر لهم من الخدم الشباب الذين يشعون نورا وبهاء، يقدمون لهم ما يشاءون من أصناف النعيم، وأنواع الملذات.

وقد جاء في ذلك على سبيل المثال، قوله تبارك اسمه :

﴿ يطوف عليهم ولدان مخلدون[3] بأكواب وأباريق وكأسا[4] من معين لا يصدعون[5] عنها ولا ينزفون[6] ، وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون[7] ﴾[8] .

---

[1] سورة السجدة، آية : 17.

[2] صحيح البخاري في بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة، وفي تفسير سورة السجدة.

ـ صحيح مسلم في الجنة، الحديث رقم : 2824.

ـ سنن الترمذي، في التفسير، باب : ومن سورة السجدة.

[3] مخلدون : صغار الخدم، أنظر التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي، ص : 678.

[4] كأسا من معين : خمر جارية من العيون. المصدر نفسه، ص : 679.

[5] لا يصدعون : لا يصيبهم صداع بشربها، المصدر نفسه، ص : 679.

[6] لا ينزفون : لا تذهب عقولهم بسببها ، المصدر نفسه، ص : 679.

[7] اللؤلؤ المكنون : كناية عن كونه أبعد أن يتغير حسنه، المصدر نفسه، ص : 679.

[8] سورة الواقعة، آيات : 17-23.

4.أسماء الجنة :

للجنة أسماء تدل على بهائها، ورونقها، ومختلف أشكال النعيم، تناسب المقام الرفيع الذي جعله ا لله عزوجل خصيص لأهلها، جزاء إيمانهم، وإخلاصهم، وتفانيهم في طاعته سبحانه. نذكر منها على سبيل المثال ما يأتي :

الفردوس :

جاء ذلك في قوله تعالى :

﴿ أولئك الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ﴾[1]

دار السلام :

في قوله عزوجل :

﴿ لهم دار السلام عند ربهم ﴾[2]

دار المقامة :

في قوله جل شأنه :

﴿ الذي أحلنا دار المقامة ﴾[3]

جنة الخلد :

في قوله جل في علاه :

﴿ قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون ﴾[4]

إلى غير ذلك من الأسماء التي جاءت بصيغة مستقلة، أو ما جاء في صيغة التنكير يحمل إسم النعيم للدلالة على فيها من أشكال الرخاء، والسعادة.

ونلمس ذلك مثلا، في قوله تعالى :

﴿ إن الأبرار لفي نعيم ﴾[5] .

---

(1) سورة المؤمنون، آيتا : 10-11.

(2) سورة الأنعام، آية : 127 .

(3) سورة فاطر، آية : 35.

(4) سورة الفرقان، آية : 15.

(5) سورة الانفطار، آية : 13.

5.أصحاب الجنة :

لا يمكن في هذه العجالة تسجيل أهل الجنة الذين يستحقون هذا الوعد الكريم إلا أن السبيل إليها يتم عبر اجتناب الكبائر، مصداقا لقوله سبحانه :

﴿ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما ﴾[1]

والكبيرة وإن كانت محل خلاف العلماء، وخاصة في تحديد مصطلحها .

إلا أن الراجح حسب المحققين[2] تكون الكبيرة في كل معصية استوجبت حدا في الدنيا، أو عقوبة في الآخرة[3] .

ومن هنا ينبغي أن يفهم أن صاحب الكبيرة ـ دون الشرك ـ إن مات و لم يتب فإنه يدخل النار غير خالد فيها، وهو معتقد أهل السنة[4] .

كما أن الرسول صلى ا لله عليه وسلم في بعض أحاديث الشفاعة يشير إلى أن شفاعته تكون لأصحاب الكبائر. قال عليه السلام :

[شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي][5]

ولعل مضمون الشفاعة يكون بالعفو عن أصحاب الكبائر، أو بالتخفيف، أو بالاخراج من النار للموحدين الذين ماتوا على الكبائر و لم يتوبوا . وا لله أعلم .

---

[1] الآية من سورة النساء رقم : 31.

[2] هو العلامة أبو جعفر الطحاوي، وقد تقدمت ترجمته.

[3] أنظر : شرح العقيدة الطحاوية، ص : 418.

[4] إشارة إلى المعتزلة والخوارج الذين يرون خلود أهل الكبائر في النار مع الفارق أن الخوارج يكفرون صاحب الكبيرة، والمعتزلة يخرجونه من الايمان ووضعوه بين المنزلتين. لا هو مؤمن ، ولا هو كافر .

أنظر : شرح العقيدة الطحاوية، ص : 417، وكذا : التذكرة للقرطبي، ص : 344.

[5] سنن الترمذي ، في صفة القيامة، باب ما جاء في الشفاعة.

سنن أبي داود، في السنة، باب في الشفاعة.

سنن ابن ماجة، في الزهد، باب ذكر الشفاعة.

المطلب السابع :
النار و شقاؤها

إذا كان الحديث عن الجنة شيئا ترتاح إليه النفوس، وتطمئن إليه القلوب، فإن الحديث عن النار عكس ذلك تماما، وذلك يعود إلى ما تحمله من أوصاف : الاحراق، الألم، الشدة، الضيق. والاسلام الحنيف لم يتحدث عن النار على أساس أنها تؤلم أو تؤذي فحسب، بل سلك في جهة الترهيب مختلف الصيغ التي تعكس بحق رحمة الله بعباده، ولطفه بخلقه .

ألم يقل ربنا على سبيل الرفق، والتحذير ؟ :

﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾[1]

وإذا كان هذا النداء خاصا بالمؤمنين، فإنه في الواجهة الأخرى يصدر المولى تبارك إسمه نداءه للكفار الذين عجزوا عن تحدي القرآن لأن يأتوا بمثله، أو حتى آية منه، فيقول :

﴿ فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ﴾[2]

والتقوى في الآيتين تعني الوقاية من الدخول في النار، وذلك بالابتعاد عن الأسباب المؤدية إليها، وعلى رأسها أم الكبائر : الكفر، والشرك ثم سائر المحرمات التي أطلق عليها القرآن إسم الكبائر. وقد مرت قريبا .

كما ينبغي أن ندرك بأن الله تبارك إسمه حين توعّد عباده بالنار

---

[1] سورة التحريم، آية : 6.

[2] سورة البقرة، آية : 24.

إن اقترفوا تلك المنهيات ألا يكون ذلك مساسا بملكه، أو أنتقاصا من قدرته وكماله، لأن ا لله تعالى لا تضره معصية ولا تنفعه طاعة.

كلا، إن تخويفه لعباده بذلك بعكس حق مدى سعة رحمته بالعباد، حيث يريد منهم عن طريق ظاهرة الترهيب المتأصلة في النفوس، أن يقتلعوا جذور المعصية، ويقضوا على دابر الشر حيث كان.

وتلك لعمري أعلى مراتب العبودية لله عزوجل، حينما ينشد الأفراد والجماعات الفضيلة ليعلوها، وينشروها في الميدان، ويقمعوا الرذيلة ويمحوها من الواقع والسلوك العام .

وما أعظم توجيهات القرآن حين سطرت للبشرية الميزان الدقيق لتنضبط بنفسها، وتحاسب ذاتها، بل منح لها من الحرية والاستقلال ما يجعلها تختار عن طواعية سبيل الجنة، أو النار .

قال سبحانه :

﴿ فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى ﴾[1]

وقال أيضا :

﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾[2]

﴿ وهديناه النجدين ﴾[3]

كما لا يحق لأي كان أن يتذرع بالقدر، كأن يقول مثلا : أنا من أهل النار. كلا إن القدر من الغيب الخفي عن الأنظار. ولعل حكمة اختفاء الأقدار والآجال تعني رحمة ا لله بالناس ليكونوا أكثر استعدادا بالعمل الصالح، والتوبة، حتى إن أدركهم الموت ماتوا على حسن الخاتمة .

---

[1] سورة النازعات، آيات : 37-41.

[2] سورة الكهف، آية : 29.

[3] سورة البلد، آية : 10.

نصوص في وصف النار :

لم يقتصر القرآن الكريم في التحذير من النار بالدعوة إلى الوقاية والإبتعاد عن المعاصي فحسب، بل سلك في وصفها مختلف الأساليب التي تنفر الناس منها بمجرد سماع هذه الأوصاف، فكيف الأمر عند المعاينة ؟

قال تعالى يصف النار في جملة آيات، منها مثلا :

- ﴿ كلا إنها لظى[1] نزاعة للشوى[2] تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى ﴾[3] [4]

- ﴿ كلا لينبذن في الحطمة وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة إنها عليهم موصدة في عمد ممددة ﴾[5]

- ﴿ إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها[6] وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل[7] يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ﴾[8] [9] .

---

[1] لظى : إسم لجهنم لكونها تلتهب، أنظر : صفوة التفاسير : 442/3.

[2] الشوى : جلدة الرأس. أنظر صفوة التفاسير: 442/3.

[3] جمع فأوعى : أي تدعو من جمع المال وخبأه في الخزائن، أنظر صفوة التفاسير : 444/3.

[4] سورة المعارج، آيات : 15-18.

[5] سورة الهمزة، آيات : 4-9.

[6] سرادقها : أسوار وحيطان، أنظر صفوة التفاسير : 189/2.

[7] المهل : المعدن المذاب، " " " "

[8] المرتفق : المنزل ، والمَقَرّ ، " " " : 190/2.

[9] سورة الكهف، آية : 29.

من السنة :

ومن السنة الشريفة يصفها الرسول عليه السلام بأوصاف تقشعر منها الأبدان، قال عليه السلام في ذلك :

- [ناركم هذه التي توقدون جزء من سبعين جزء من نار جهنم][1]

- [اشتكت النار إلى ربها، فقالت : رب، أكل بعضي بعضا، فأذن لها بنفسين، نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فهو أشد ما تجدون من الحر، وأشد ما ترون من الزمهرير][2] .

أسماء النار :

من أسماء النار التي وردت في القرآن الكريم، منها :

- إسم النار، جاء في قوله تعالى : ﴿ ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته ﴾[3]
- إسم جهنم، " " " : ﴿ إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا ﴾[4]
- إسم السعير، " " " : ﴿ ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير ﴾[5]
- إسم الجحيم، " " " : ﴿ وبرزت الجحيم للغاوين ﴾[6]

إلى غير ذلك من الأسماء الدالة على الاحراق، الألم، العذاب، وقانا الله منها جميعا .

---

[1] صحيح البخاري، في بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة.
صحيح مسلم، باب في شدة حر نار جهنم.
موطأ الامام مالك، في جهنم .

[2] البخاري في صفة النار، مسلم في المساجد، باب استحباب الابراد بالظهر .

[3] سورة آل عمران، آية : 192.

[4] سورة الكهف، آية : 102.

[5] سورة سبأ، آية : 12.

[6] سورة الشعراء، آية : 91 .

ويستشف مما سبق، ما يأتي :

1- ان الجنة والنار حقيقتان موجودتان، وتجلى ذلك في حديث القرآن عنهما بصيغة الماضي الذي يفيد الاعداد السابق .

2- إن ا لله تعالى جعلهما آخر حلقة من حلقات الجزاء ليتسنى للعباد الاستعداد بالعمل الصالح للجنة، والكف عن العمل السيء، اتقاء للنار .

3- إن الحياة الدنيا فرصة لترويض النفس البشرية على الطاعة وفق التصور الديني الذي جاءت به الرسالات السماوية، وخاصة رسالة الاسلام الحنيف التي أبانت الطريق، وبينت الحكمة من خلق الانسان في هذه الحياة الدنيا .

4- إنه لا يحق لأي كان أن يتذرع بالقدر، بأن فلان من أهل الجنة، أو من أهل النار، فالكل مطالب بالسعي نحو النجاة والسعادة في الدارين . أما ما جاء في كون الجنة لها أهل، وللنار لها أهل، فينبغي أن يفهم بأن ا لله في علمه الأزلي، يعلم المستجيب والعاصي، وذلك تبعا لسلوك الناس، ونواياهم .

5- إن ا لله سبحانه أعذر الخلق حين بشرهم بالجنة، وأنذرهم بالنار وتجلى ذلك في تضحيات المرسلين في الدعوة إلى ا لله، والصبر على الأذى والمعاناة في سبيله.

6- إن الجزاء بالجنة أو بالنار أمر تقتضيه الأخلاق، فضلا أن محكمة الدنيا التي يسيرها الناس كثيرا ما اعتراها العجز في إنصاف الفرد الصالح ومعاقبة الفرد الطالح .

7- إن الفوز بالجنة يعني فوزا ما بعده فوز، والدخول إلى النار عذاب ما بعده عذاب. وخزي ما بعده خزي .وقانا ا لله من شرها، وجعلنا من أهل جنته. آمين والحمد لله رب العالمين .

الخاتمة :

وبعد هذه الجولة العقلية في رحاب عقيدة البعث، لا بـاس مـن الإشـارة إلى بعـض الحقـائق المستخلصة منها، وها هي كما يأتي :

الأولى :

إن الإيمان بها لا يعني اعتبارها قضية ثقافية، ثانوية، معرفية، يؤمن بها مـن شـاء، ويكفـر بهـا مـن شاء. بل هي قضية بالغة الخطورة، لأنها تمس الانسـان في الصميـم، وتدعـوه إلى إدراك ذلـك عـبر ظاهرة الموت التي تترصد كل كائن حي، بما فيه الانسان نفسه .

ثم إنه عند التأمل في مسألة الموت، نجد أن الموت ليس أمرا يتوقف عند حد مفارقـة الـروح للبدن فحسب، بل يعني البحث في مصير هذا الانسان بعد هذا الحادث، إلى أين ؟ ولماذا ؟ وماهي القوة التي تقف وراء هذا العمل العجيب ؟

ولعل عجز العقل البشري في كثير من الأحيان عن إعطاء الجواب الشافي لمثل تلك الأسئلة، هو الذي ولّد اليأس في النفوس، مما حدا بكثـير مـن النـاس لأن ينكـروا وجـود عـالم يسـمى بعـالم الغيب، أو الآخرة بالذات.

ومن هنا، جاءت رحمة ا لله سبحانه بالانسانية الضالة، التائهة في عالم التمرد عن كل مـاهو غيبي، فدعاها من خلال ظاهرة الموت التي لا يستطيع أحد إنكارها، على أساس أنهـا مـن الأشـياء المحسوسة، لكي يُعرفها، ويُخبرها، بأن الموت في الوقت الـذي كـان كابوسـا، وقـدرا محتومـا علـى البشرية جمعاء، يدل في الوقت ذاته على القدرة الخفية التي تتحكم فيه، وعلـى المصـير الـذي ينتظـر كل ميت، فضلا عن عجز البشر كافة، للتصدي له، أو صرفـه عنهـم. وهـذا مـا تدعـو إليـه هـذه الآيات على سبيل المثال .

قال سبحانه :

﴿ قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾[1]

فالآية كما هو واضح تقرر :

- أن الموت قضاء لا مرد له، رغم مقت الناس له. وعبّر بالفرار على الرغم من عدم جدواه، كناية على النفور، والكراهية له ..

- إن وراءه عالم الآخرة الذي أعد للحساب والجزاء، وهو ما يلمس من فعلي : [تردون، فينبئكم] كما نلمس التحدي والتعجيز الرباني للخلق لأن يصرفوا عن أنفسهم هذا الموت، فقال سبحانه :

﴿ فلو لا إن كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين ﴾[2]

[والمعنى إن كان الأمر كما تقولون : بأن لا بعث، ولا حساب، ولا إله يجازي، فهلا تردون نفس من يعز عليكم إذا بلغت الحلقوم، وإذا لم يمكنكم ذلك فاعلموا أن الأمر إلى غيركم، وهو الله تعالى، فآمنوا به ﴾[3] .

الثانية :

وعلى فرض عدم الاعتبار بالموت بأنه بوابة الآخرة، وخاصة لدى الملاحدة في كل العصور، فإن الله الرحيم أرشد الناس إلى ظاهرة أخرى يتم بموجبها الاعتقاد والتصديق بالحياة الأخرى وهو ما نلمسه من حقيقة الزوجية القرآنية التي تعني إطرادها في كل شيء حيث إذا كانت هناك حياة يحس بها الناس في الدنيا، فإنه في المقابل توجد الآخرة، وإذا كان الناس يعملون في الحياة بدون جزاء عادل، فإنه ثمة دارا أخرى، أعدت بأحكام، ينال فيها الناس الجزاء بالإنصاف، والعدل. وهكذا : دواليك، في استقراء معالم الزوجية من كل شيء .

---

[1] سورة الجمعة، آية : 8 .

[2] سورة الواقعة، آيتا : 86-87.

[3] أنظر تفسير الخازن : 23/7.

الثالثة :

ثم إنه على الرغم من تصديق المسلمين بحقيقة البعث من خلال الأدلة العقلية والنقلية إلا أن الكيفية التي يتم فيها البعث تخضع للأدلة النقلية فقط، التي تملك الوصف الحقيقي لهذا الحدث العظيم.

وأي إجهاد للعقل في هذا المضمار يعتبر تبديدا للطاقة، فضلا عن التعرض للانزلاق، وهذا مالاحظناه عند دعاة البعث الروحي من بعض الفلاسفة .

كما أن الزوجية القرآنية التي قد تكون محل نسيان هؤلاء الفلاسفة والتي تعني أنه إذا كانت مطردة في كل شيء، فكذلك الأمر في الآخرة، حيث تطرد الزوجية في الجزاء، ليكون الجمع بين المادة والروح أتم، والموعود به أكمل، فيجب التصديق بذلك وفق الشرع .

الرابعة :

إن الاعتقاد بالحياة الأخرى التي هي جزء لا يتجزأ من أركان الإيمان، يعتبر الأساس والمنطلق، وأن الشريعة تعتبر الفرع، أو الاستجابة لمطالب العقيدة، ومن ثمة وجب العمل على نشر الشريعة، والاخذ بها في شتى جوانب الحياة، مما يعني ضروة القيام لتمكين وسائل القوة للسهر عليها، والحفاظ على مراميها، وأهدافها .

الخامسة :

وإذا كان العمل بأحكام الشريعة يعني الاستجابة لشروط العقيدة، فإن الشرط في المنظور النحوي يتطلب الجزاء حتى تكتمل الجملة، وفي المنظور الشرعي يعني إنتظار الجزاء، وهو ما تتضمنه الآيتان على سبيل المثال :

- في مجال الترغيب، قوله سبحانه :

﴿ ومن يعمل من الصالحات من ذكر وأنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا ﴾[1]

- وفي مجال الترهيب، قوله تعالى :

﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا، ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا ... الآيات ﴾[2].

فالشاهد من الآيتين أنهما صدرتا الخطاب بأداة الشرط : [مَنْ]، وختمناه بحرف [الفاء]، الذي حل محل الجواب المرتقب، مما يدل على أن الجزاء الأخروي يكون عوضا عن عمل الدنيا، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر .

الموقف من فرضيات منكري الآخرة :

وإذا كانت الحقائق السابقة بمثابة الحوصلة العامة لحقيقة عقيدة الآخرة، ومدى صلتها بالشريعة، إلا أنه توجد في مختلف العصور جماعات بل فرق تأبى التصديق بهذا المعتقد. ويمكن تصنيفها على الاجمال إلى فرقتين :

الأولى : تتجلى في مشركي العرب الذين ادعوا الايمان بالمخلوق، ولكنهم إستبعدوا النشأة الثانية، ويفهم من هذا أنهم جردوا الاله من صفة القدرة التي تملك زمام أمر الاحياء يوم القيامة .

الثانية : وتتجلى أيضا في فرقة الدهرية الأولى التي تنكر الخالق والمعاد معا، وقد امتدت هذه عبر العصور فأنشأت دهرية ثانية تتجلى في دعاة العلم المادي الخاضع للحس والمشاهدة، أما ما وراءه من قضايا غيبية التي لا تحس، فمحل رفض وإنكار، مما يعني أن الدهريتين تلتقيان في المنطلق والهدف، رغم الفاصل الزمني بينهما .

---

[1] سورة النساء، آية : 124.

[2] سورة طه، آيتا : 124، 125.

الرد :

أ- إن مجرد الاستبعاد بالنسبة للفرقة الأولى يعتبر شبهة واهية، وقد أرشدها القرآن الكريم إلى ضرورة قياس النشأة الثانية على الأولى. فا لله القادر على إحياء الناس في الدنيا قادر على إحيائهم ثانية في الاخرة . وقد غاب عن هذه الفرقة عامل القدرة الالهية التي لا يعجزهاشيء وتجلى ذلك في جحودها لتوحيد الربوبية الذي يتضمن قدرة ا لله على كل شيء بما فيه : الإحياء، والإماتة، وغيرها من مظاهر الصفات الدالة على الكمال .

ب ـ أما الفرقة الثانية، وخاصة الدهرية الحديثة التي لبست ثوب العلم المادي فإنها وقعت في تناقضات، منها :

1- إن النزعة الالحادية هذه تنكر على الدين قوله بأن وجود ا لله هو لذاته، لعدم إمكان تصور العقل أن يكون في استطاعة شيء ما أن يكون علة لنفسه، تذهب هذه النزعة إلى نفس الشيء حين تقرر كون المادة علة لذاتها، وهذا ما لاحظه الفيلسوف : سبنسر[1] : إذ يرى أنه في الحالتين نأخذ بفكرة الوجود الذاتي للاله .

2- وإذا كان مذهب التأليه ينبني على أسس ثابتة في أخذه بفكرة الوجود الذاتي للاله، لكونه يضفي على تصوره للألوهية صفات الكمال، إلا أن النزعة الالحادية تتناقض مع نفسها حين تتصور الحالة الأولى للمادة في أحط صورها وأدناها، مما يتناقض مع فكرة الوجود الذاتي .

---

[1] سبنسر فيلسوف انجليزي: 1820-1903م، اهتم بالعلوم البيولوجية والاجتماعية كثيرا، من آثاره : مذهب الفلسفة التركيبية، المبادئ الأولى.
أنظر ترجمته في : الموسوعة الفلسفية المختصرة، ص : 247.

وإذا كان المبدأ العلمي هو أن الحقيقة ليست إلا نتائج المشاهدة والتجربة العلمية، فلن تستقيم قضية معارضة الدين إلا إذا توصلوا بالمشاهدة إلى أن الدين في حقيقته النهائية باطل .. فيجب أن تصل مشاهداتهم إلى الحد الذي يسمح لهم بالمجاهرة بأنهم قد شاهدوا وجربوا داخل الكون وخارجه وأنه بناء على ذلك يعلنون أنه ليس هناك إله، ولاجنة، ولانار، بنفس الثقة التي يتمتع بها رجل بصير، يدير عينيه في حجرة مقياسها : 10x10 من الأمتار، ثم يعلن أنه لا يوجد في هذه الحجرة فيل ولا أسد[1] .

ج - وأخيرا إن ظاهرة الزوجية القرآنية تبطل هذه الشبه والمزاعم وتثبت لكل عاقل بأن العالم ينقسم إلى قسمين : مشاهد، غيبي، وأن ما يشتمل عليه الغيبي على الخصوص. عالم الآخرة المعد بإحكام للجزاء والمحاسبة، كما أن الذي أعد هذا هو تلك القوة التي تتصرف في الخفاء التي يسميها المؤمنون با لله سبحانه .

الاقتراحات :

من الاقتراحات التي أرى من الضروري تسجيلها في هذه العجالة، ما يأتي :

1- تحرير مباحث علوم العقيدة، بما فيها مباحث عقيدة الآخرة من ركام الفلسفة وتعقيدات علم الكلام، وإعادة صياغتها في ثوب علمي، مشوق.

2- تشجيع البحوث في موضوع الأخلاق الاسلامية مع ربطها بفلسفة الترغيب والترهيب اللتين ترتكزان على عقيدة الآخرة، لأن الأخلاق الفاضلة شعار أصحاب الجنة، والأخلاق السيئة ملامح أصحاب النار .

[1] أنظر : الاسلام واتجاهات الفكر المعاصر. د/ يحي هاشم حسن فرغل، ص : 36.38، بتصرف قليل .

3ـ نشر ثقافة العمل الإسلامي بالمفهوم الواسع في أوساط المجتمع عن طريق وسائل الاعلام المختلفة، والتنويه بالجزاء العظيم الذي أعده الله تعالى للعاملين في مختلف الميادين، لأن العقيدة الاسلامية ترغب في الأعمال المتقنة المبنية على المعرفة والتخصص.

4ـ إنشاء هيئات تربوية ذات كفاءة عالية تتكفل بإنقاذ المنحرفين عن طريق تزويدهم بدروس تحثهم على التوبة، والاستقامة، لأنه لا شيء أقدر على إستمالة القلوب من دروس تمس القلوب في الصميم، مثل تلك التوجيهات الدينية المستقاة من الترغيب والترهيب التي يفيض بهما الكتاب والسنة .

5ـ إنشاء قناة تلفزيونية وطنية، دينية، تقوم بنشر العقيدة الصحيحة، والتصدي لحملات الالحاد والإباحية التي تلوح في الأفق، حتى تحصّن الأجيال من مختلف مظاهر الانحلال، والميوعة، وخاصة في ظل انتشار البطالة، والفقر في الأوساط الشعبية .

6ـ إنشاء موسوعة في العقيدة الإسلامية تتكفل بوضع حد للتداخل بين الموضوعات ذات الصبغة العقدية والفقهية، فضلا عن وضع قائمة للفرق المنحرفة التي تكيد للإسلام باسم العلم، والثقافة .

7ـ إعداد دوريات تهتم بنشر الثقافة العقدية مع التركيز على الجوانب العلمية ذات الصلة بالطب، والفيزياء، والجغرافيا على الخصوص، وتضمينها مسابقات تهتم بالفكر العلمي الذي تشتمل عليه آيات من القرآن والسنة.

8ـ فرض مادة العقيدة الإسلامية في مختلف المؤسسات التربوية مع مراعاة مستوى كل مرحلة، وعرضها في أسلوب يجمع بين وضوح الفكرة ودقة التعبير .

الفهرسة العامة، وتشتمل على :

1- الأعلام

2- الفرق

3- البلدان والأماكن

4- فهرسة الآايت القرآنية

5- فهرسة الأحاديث النبوية

6- القرآن الكريم

7- التفاسير

8- دراسات قرآنية

9- السنة وعلومها

10- أصول الفقه

11- العقيدة والأديان وعلم الكلام

12- الفلسفة

13- التراجم

14- اللغة والموسوعات

15- الثقافة العامة

16- الموضوعات

1. فهرسة الأعلام

2.الفرق

3.البلدان والأماكن

4.فهرسة الآيات القرآنية

ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين	الرعد	222-220
يثبت ا لله الذين آمنوا	"	84
فإذا سويته ونفخت فيه من روحي	الحجر	32
ولقد آتيناك سبعا من المثاني	"	176
إن ا لله يأمر بالعدل والإحسان	النحل	273
من عمل صالحا من ذكر وأنثى	"	99
قل نزله روح القدس	"	28
وأقسموا با لله جهد أيمانهم	"	88
يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها	"	34
وقالوا أئذاكنا عظاما ورفاتا	الإسراء	146-2
اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم	"	273
بعثنا عليكم عبادا لنا	"	91
ولقد آتينا موسى تسع آيات	"	193
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا	"	185
وقالوا أئذا كنا ترابا وعظاما	"	142
ويسألونك عن الروح	الاسراء	211
إنا أعتدنا للظالمين نارا	الكهف	285
إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات	"	99
ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض	"	58
فمن كان يرجو لقاء ربه	"	209
فمن شاء فليؤمن	"	284
قالوا يا ذا القرنين	"	256
وتحسبهم أيقاظا	"	215
وترى الأرض بارزة	"	266
ووجدوا ما عملوا حاضرا	"	149
تلك الجنة التي نورث من عبادنا	مريم	98

لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث	الروم	92
فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم	"	91
ومن آياته خلق السماوات والأرض	"	205
ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا	"	221
وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده	"	204
يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا	"	213
إن الله عنده علم الساعة	لقمان	194-175
إن وعد الله حق	لقمان	268
ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة	"	137
فلا تعلم نفس ما أخفي لهم	السجدة	280
لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة	الأحزاب	208
ولن تجد لسنة الله تبديلا	"	138
يسألك الناس عن الساعة	"	175
ومن يزغ عن أمرنا نذقه	سبأ	286
الذي أحلنا دار المقامة	فاطر	281
يا أيها الناس اتقوا ربكم	"	117
إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون	يس	59
إن كانت إلا صيحة واحدة	"	267
سبحان الذي خلق الأزواج كلها	"	224-222-219-214
قال من يحي العظام وهي رميم	"	141-131-118
قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا	"	264-88
قل يحييها الذي أنشأها أول مرة	"	204
وإن كل لما جميع لدينا محضرون	"	267
ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث	"	264
وضرب لنا مثلا ونسي خلقه	"	265-145
احشروا الذين ظلموا	الصافات	219

سيعلمون غدا من الكذاب الأشر	القمر	103
بينهما برزخ لا يبغيان	الرحمن	75
خلق الانسان من صلصال	"	23-21
نحن قدرنا بينكم الموت	الواقعة	1
فلو لا إذا بلغت الحلقوم	"	70-64
فلو لا إن كنتم غير مدينين	"	289
يطوف عليهم ولدان مخلدون	"	280
أعدت للذين آمنوا	الحديد	278
وأيدهم بروح منه	المجادلة	32
وما آتاكم الرسول فخذوه	الحشر	232
هو ا لله الذي لا إله إلا هو	"	262
يا أيها الذين آمنوا اتقوا ا لله ولتنظر نفس	"	117-103-68
قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم	الجمعة	165-102-63-62
ولن يؤخر ا لله نفسا إذا جاء أجلها	المنافقون	1
زعم الذين كفروا ألن يبعثوا	التغابن	267-208
قل بلى وربي لتبعثن	"	88
يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم	التحريم	283
الذي خلق الموت والحياة	الملك	206
كلما ألقى فيها فوج	"	185
أفنجعل المسلمين كالمجرمين	القلم	206-104
فإذا نفخ في الصور	الحاقة	260
ويحمل عرش ربك	"	57
يومئذ تعرضون	الحاقة	3
إن الإنسان خلق هلوعا	المعارج	23-21
كلا إنها لظى	"	285
يوم تكون السماء كالمهل	"	261

يوم يخرجون من الأجداث	المعارج	264
مما خطيئاتهم أغرقوا	نوح	78
وا لله أنبتكم من الأرض نباتا	"	186
عالم الغيب فلا يظهر على غيبه	الجن	171
أيحسب الانسان أن يترك سدى	القيامة	265-188
فجعل منه الزوجين	"	218
إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج	الانسان	188-21
إنا هديناه السبيل إما شاكرا أو كفورا	"	188
إنما توعدون لواقع	المرسلات	268
إن المتقين في ظلال وعيون	"	209
هذا يوم لا ينطقون	"	269
هذا يوم الفصل	"	93
وإذا الرسل أقتت	"	269
إن جهنم كانت مرصادا	النبأ	209
إن للمتقين مفازا	"	279
إن يوم الفصل	"	93
فأخذه ا لله نكال الآخرة	النازعات	64
فأما من طغى	"	284-217-98
وأما من خاف مقام ربه	"	217-98
يسألونك عن الساعة	"	175
يوم ترجف الراجفة	النازعات	263
يوم يفر المرء من أخيه	عبس	209
وإذا النفوس زوجت	التكوير	219
إن الأبرار لفي نعيم	الانفطار	281
إذا السماء انفطرت	"	261
وإن عليكم لحافظين	"	273

وما أدراك ما يوم الدين	الانفطار	93
يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم	"	156-117-21
إذا السماء انشقت	الانشقاق	2
يا أيها الانسان إنك كادح	"	117-21
ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون	المطففين	267-92
فعال لما يريد	البروج	59
يوم تبلى السرائر	الطارق	272
بل تؤثرون الحياة الدنيا	الأعلى	228
إن إلينا إيابهم	الغاشية	89
وجوه يومئذ ناعمة	"	279-147
هل أتاك حديث الغاشية	"	147
يا أيها النفس المطمئنة	الفجر	34
وهديناه النجدين	البلد	284-217
إن سعيكم لشتى	الليل	205-106
تنزل الملائكة والروح فيها	القدر	28
إذا زلزلت الأرض	الزلزلة	2
القارعة	القارعة	261
فأما من ثقلت موازينه	"	275
كلا لينبذن في الحطمة	الهمزة	285
إنا أعطيناك الكوثر	الكوثر	277
لم يلد و لم يولد	الاخلاص	202

5.فهرسة الأحاديث النبوية الشريفة

6.القرآن الكريم

7.التفاسير

ابن جرير : محمد بن جرير، أبو جعفر ت : 310هـ.

جامع البيان في تأويل القرآن. نشر دار الكتب العلمية. بيروت ط2 ـ 1418ه، 1997م.

ابن الجوزي : ؟

زاد المسير في علم التفسير. نشر دار الكتب العلمية . بيروت ط1 ـ 1414هـ، 1994م.

ابن كثير : عماد الدين أبو الفداء ، ت : 774هـ

تفسير القرآن العظيم . نشر دار الباز، مكة المكرمة، السعودية.

ابن عطية : عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن 481 ـ 542هـ

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. نشر دولة قطر، ط1 ـ 1408هـ ، 1978

أبو حيان : ؟

تفسير البحر المحيط. نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ،1993م .

أبو السعود : محمد بن محمد بن مصطفى العمادي 898 ـ982 هـ .

إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم . دار إحياء التراث العربي . بيرن ط4 / 1994.

الألوسي : محمد بن عبد الله بن محمود بن درويش الحسيني الألوسي : 1217 ـ 1270 هـ .

روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني . دار الفكر . بيروت . لبنان .

البرسوي : إسماعيل حقي البرسوي ت : 1127 هـ .

تفسير روح البيان . المكتبة الشعبية . بدون تحديد الجهة والتاريخ .

البغوي : حسين بن مسعود بن محمد ت : 516 هـ .

معالم التنزيل . نشر دار الكتب العلمية . بيروت ، ط1، 1414 هـ ، 1993م.

البيضاوي : عبد الله بن عمر بن محمد بن علي ت : 685 هـ .

أنوار التنزيل وأسرار التأويل. دار الكتب العلمية . بيروت . ط1، 1418 ـ 1988 .

الخازن : علي بن محمد بن ابراهيم بن عمر ... 678 ـ 471 هـ .

لباب التأويل في معاني التنزيل . نشر المكتبة الشعبية . بيروت . لبنان .

الرازي : محمد بن عمر الحسين ... 544 - 606 هـ .
التفسير الكبير ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1، 1411هـ ، 1990م.
الزمخشري : محمود بن عمر بن محمد ... 467 - 538 هـ .
الكشاف ، دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان .
محمد الطاهر بن عاشور : 1296 - 1393 هـ / 1879 - 1973 م.
التحرير والتنوير ، نشر المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر باشتراك مع تونس .
النسفي : عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ت : 710هـ .
مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، نشر دار إحياء الكتب العربية ، مصر .
سيد قطب : سيد قطب بن إبراهيم ، 1424 - 1387 هـ / 1906 - 1966 .
في ظلال القرآن ، طبعة دار الشروق، بيروت لبنان .
الشوكاني : محمد بن علي بن محمد بن عبد الله . 1173 - 1250 هـ .
فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، نشر البابي الحلبي، مصر .
الصابوني : محمد علي . لا زال على قيد الحياة ، متعه الله بصحته وعمره .
صفوة التفاسير ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، لبنان ط4 ، 1981.
الصاوي : أحمد بن محمد الخلوتي : 1175 - 1241 هـ .
حاشية الصاوي على الجلالين، نشر عيسى البابي الحلبي ، مصر .
القاسمي : بن محمد جمال الدين القاسمي، 1283 - 1332 هـ .
محاسن التأويل ، دار الكتب العلمية، ط1، 1418، 1992، لبنان .
القرطبي : محمد بن أحمد بن أبي بكر، ت: 671.
الجامع لأحكام القرآن ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط5، 1417 - 1996.
القنوجي : صديق بن حسن القنوجي، 1307 هـ .
فتح البيان عن مقاصد القرآن ، المكتبة العصرية ، لبنان ، 1992 .

8. دراسات قرآنية

ابن الجوزي : تذكرة الأريب في تفسير الغريب ، تحقيق علي حسين البواب مكتبة المعارف الرياض ط1، 1407 هـ - 1989 .

الدامغاني : الحسين بن محمد

قاموس القرآن، أو إصلاح الوجوه والنظائر، تحقيق : عبد العزيز سيد الأهل ، نشر دار العلم للملايين، بيروت ط4 .. 1983 .

الراغب : أبو القاسم الحسين محمد

مفردات غريب القرآن ، تحقيق محمد سعيد الكيلاني ، دار االمعرفة، لبنان .

الزجاج : أبو اسحاق ابراهيم بن سري

معاني القرآن وإعرابه ، تحقيق عبد الجليل شلبي، نشر عالم الكتب ، بيروت ط1، 1988 .

السجستاني أبو محمد بن عزيز

غريب القرآن، تصحيح مصطفى عناني، المطبعة الرحمانية، القاهرة ، 1936 .

السيروان عبد العزيز عز الدين

معجم الجامع لغريب مفردات القرآن الكريم، دار العلم للملايين، بيروت، ط1 ، 1986.

السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن ، 911 هـ .

الإتقان في علوم القرآن ، نشر عالم الكتب، بيروت ، لبنان .

9.السنة وعلومها

ابن الأثير الجزري : 545 - 606 هـ .

جامع الأصول في أحاديث الرسول صلى ا الله عليه وسلم ، تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط ، نشر مكتبة الحلواني ، ومطبعة الملاح دمشق، 1391هـ، 1971م.

ابن حجر العسقلاني : 773 - 852 هـ.

تهذيب التهذيب ، طبعة حيدراباد

نزهة النظر بشرح نخبة الفكر ، دار الشهاب ، باتنة، الجزائر .

فتح الباري في شرح صحيح البخاري، نشر الدار السلفية ، القاهرة، الطبعة الأولى .

" " " " " " دار السلام، الرياض، الفيحاء، دمشق، ط1، 1997م.

البخاري أبو عبد ا الله : محمد بن إسماعيل، ت : 256

الجامع الصحيح ، مراجعة الشيخ على القطب هشام البخاري، المكتبة العصرية، بيروت ، ط1، 1417هـ .

الترمذي أبو عيسى : 209 - 279 هـ .

السنن : تحقيق كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية ، بيروت .

الطبراني ؟

المعجم الأوسط، تحقيق د/ محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1995.

مالك بن أنس الامام : ت : 179

الموطأ على هامش شرح : المنتقى، للباجي، ط عيسى البابي الحلبي، مصر .

مسلم بن الحجاج : ت : 261 .

صحيح الامام مسلم ، نشر دار إحياء التراث العربي .

النسائي : عبد الرحمن أحمد بن شعيب ؟

السنن شرح الامام السيوطي، دار الفكر ، بيروت .

النووي : يحي بن شرف : 631 - 676 هـ .

شرح صحي الإمام مسلم، تحقيق الصبابطي وآخرين، دار الحديث، القاهرة، 1414 هـ .

السيوطي : جلال الدين ت : 911هـ .
تدريب الراوي، نشر المكتبة العلمية ، المدينة المنورة، السعودية ، ط2، 1972 .
محمود الطحان دكتور
تيسير مصطلح الحديث، مطبعة المدينة، ط1، الرياض، السعودية، 1976 .
الصبحي الصالح الدكتور
علوم الحديث ومصطلحه، دار العلم للملايين، ط16، 1986.

10.أصول الفقه

الآمدي : أبو الحسن علي بن أبي علي ت : 631 هـ .
الاحكام في أصول الأحكام ، مطبعة المعارف، القاهرة ذ، 1332 هـ، 1914م.
ابن حزم : ت : 456 هـ .
الاحكام في أصول الأحكام، مطبعة دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1403، 1983 .
مراتب الاجماع، دار الكتب العلمية ، بيروت .
محمد أبو زهرة
أصول الفقه ، دار الفكر العربي القاهرة .
محمد علي الشوكاني
إرشاد الفحول، دار الباز للنشر والتوزيع، مكة : السعودية، 1979.
عبد الوهاب خلاف
أصول الفقه، دار القلم، الكويت، ط12، 1978.
الغزالي أبو حامد
المنخول من تعليقات الأصول، تحقيق : د/ محمود حسن هيتو، دار الفكر ، دمشق، 1400 هـ ، 1980
المستصفى من علم الأصول : دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1334.

11. العقيدة والأديان وعلم الكلام

ابن تيمية

اقتضاء الصراط المستقيم ، توزيع السعودية بدون تاريخ .

العقل والروح، رسالة ضمن (مجموعة الرسائل المنيرية)

ابن حزم أبو محمد بن أحمد بن حزم الظاهري

الفصل في الملل والأهواء والنحل، ط دار المعرفة ، بيروت .

الفصل في الملل والأهواء والنحل، ط دار الجيل ، بيروت ط2، 1996.

ابن كثير أبو الفدا إسماعيل ت 774.

النهاية في الفتن والملاحم، تعليق محمد خير طعمه حلبي، دار المعرفة ، بيروت ، ط1، 1998.

ابن القيم الجوزية ، الروح طبعة صبيح ، بدون تاريخ .

أبو بكر جابر الجزائري

عقيدة المؤمن ، ط الكليات الأزهرية، مصر .

أحمد عبد الغفور عطار

الديانات والعقائد في مختلف العصور ؟

أحمد الهاوي الدكتور

العقيدة دراسة مقارنة ، نشر مكتبة دار العلوم ، القاهرة، ط1، 1985.

الأشعري

مقالات الاسلاميين، تحقيق محي الدين عبد الحميد، ط1، 1969.

الأيجي عضد الدين

المواقف شرح السيد الشريف الجرجاني، طبعة الساسي

الباجوري

شرح تحفة المريد على جوهرة التوحيد، طبعة مصورة لوزارة الشؤون الدينية ، الجزائر .

التفتازاني سعد الدين 721 - 793 هـ

شرح المقاصد، تحقيق د/ عبد الرحمن عميرة ، عالم الكتب ، ط2، 1998.

شرح المقاصد ، تحقيق د/ سليمان خميس .

شرح العقائد النسفية، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي، مصر .

الجويني عبد الملك بن عبد ا لله

الارشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق ع. المنعم عبد الحميد ، مكتبة الخانجي ، مصر ، 1950.

الرازي

معالم أصول الدين على هامش المحصل، الطبعة الحسينية، القاهرة، 1923 .

الطحاوي : أبو جعفر أحمد بن محمد

شرح العقيدة الطحاوية، المكتب الاسلامي، بيروت ، ط4، 1391 هـ

ظفر الاسلام خان

التلمود تاريخه وتعاليمه، دار النفائس، ط2، بيروت ، 1400 هـ ، 1980م.

محمد أبو زهرة

محاضرات في النصرانية، دار الفكر العربي، بيروت .

سيبينوزا

رسالة في اللاهوت والسياسة ، ترجمة د/ حسن حنفي، الهيئة العامة للكتاب، مصر ، 1972 .

الشهرستاني : محمد بن عبد الكريم، 479 ـ 848 هـ .

الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت ، ط2.

عبد الجبار القاضي البغدادي، 429 هـ .

الفرق بين الفرق ، بعناية الشيخ إبراهيم رمضان، ط2، دار المعرفة، بيروت، 1987.

عبد الرحمن بدوي دكتور

مذاهب الاسلاميين المعتزلة والأشاعرة، ط3، دار العلم للملايينن بيروت

عبد الرحمن حنبكة

العقيدة الاسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق، ط3، 1983م 1403هـ .

عبيد رؤوف دكتور

في العودة للتجسيد بين الاعتقاد والفلسفة والعلم ، ط3، دار الفكر العربي، بيروت .

عمر الأشقر دكتور

اليوم الآخر ـ القيامة الصغرى ـ قصر الكتاب، البليدة، الجزائر .

اليوم الآخر - القيامة الكبرى -، قصر الكتاب، البليدة، الجزائر.

القرطبي

التذكرة في أحوال الموتى والاخرة، المكتبة السلفية، المدينة المنورة ، السعودية

كتب أهل الكتاب

العهد القديم والعهد الجديد .

12 . الفلسفة

ابراهيم بيومي مدكور الدكتور

في الفلسفة الاسلامية، ط3، دار المعارف، القاهرة ، 1976.

ابن رشد

تهافت التهافت، تقديم وضبط د/ محمد العريبي، دار الفكر اللبناني، ط1، 1993.

مناهج الأدلة في عقائد الملة، تحقيق د/ محمود قاسم، ط ، مكتبة الأنجلو ـ مصر .

إبن سينا

أحوال النفس، تحقيق : أحمد فؤاد الأهواني، ط ، عيسى البابي الحلبي ، مصر ، 1371هـ

رسالة أضحوية في أمر المعاد، تحقيق د/ سليمان دنيا، دار الفكر العربي، 1949 .

بينيس

مذهب الذرة عند المسلمين، ترجمة د/ محمد عبد الهادي أبو ريدة، النهضة المصرية، 1365 هـ

جميل صليبا

تاريخ الفلسفة العربية، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1973 .

دي بور : تاريخ الفلسفة الاسلامية، ترجمة د/ محمد عبد الهادي أبو ريدة ، لجنة التأليف والترجمة، مصر .

رؤوف عبيد دكتور

في العودة للتجسيد بين الاعتقاد والعلم والفلسفة، دار الفكر العربي، ط3، 1987، بيروت .

روني ايلي ألفا

موسوعة أعلام الفلسفة، العرب والأجانب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992 .

زكي نجيب محمود

الشرق الفنان ، نشر دار القلم ، القاهرة

حياة الفكر في العالم الجديد، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، مصر .

كوريان هنري

تاريخ الفلسفة الاسلامية، ترجمة : نصيرة مروة، حسين قبيصي، منشورات عويدات، لبنان، 1966.

محمد سيد أحمد المسير الدكتور

الروح في دراسات المتكلمين والفلاسفة، نشر دار المعارف، ط2، مصر، 1988 .

محمد غلاب الدكتور

مشكلة الألوهية، نشر الدار المصرية للتأليف

محمد عبد الرحيم الزيني الدكتور

مشكلة الفيض عند فلاسفة الاسلام، نشر ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر .

محمود الصبحي الدكتور

الفلسفة الأخلاقية في الفكر الاسلامي، دار النهضة العربية، بيروت، ط3، 1992.

النشار علي سامي الدكتور

مناهج البحث عند مفكري الاسلام، دار النهضة العربية، بيروت، ط3، 1984 .

نشأة الفكر الاسلامي، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1966 .

عبد الرحمن البيصار

في فلسفة ابن رشد، نشر دار الكتاب اللبناني، ومكتبة المدرسة، ط3 ، 1973.

عبد الكريم الخطيب

الله والانسان، دار المعرفة، بيروت، ط3، 1975م، 1395هـ .

عبد النور جبور الدكتور

إخوان الصفا : دار المعارف، القاهرة، 1945.

عمر الدسوقي

إخوان الصفا : نشر عيسى البابي الحلبي، القاهرة ، 1366هـ، 1947 .

عفيف أبو العلا

الناحية الصوفية في فلسفة ابن سينا ، ط الكتاب الذهبي ، 1952.

الغزالي أبو حامد

تهافت الفلاسفة : تحقيق د/ جيرار جيهامي، دار الفكر اللبناني، ط1، 1993.

المضنون الصغير : ط الميمنة، القاهرة، 1309 هـ .

معارج القدس : دار الشهاب، الجزائر

الفارابي أبو نصر

الدعواى القلبية، ط حيدراباد ، 1349 هـ .

رسالة في الملة الفاضلة، تحقيق د/ عبد الرحمن بدوي، نشر الجامعة الليبية، 1973 .

السياسة المدنية ، ط حيدراباد ، 1346 هـ .

فصوص الحكم لشارح مجهول، ط ، دار الخلافة ، طهران، 1318هـ

يوسف كرم

الطبيعة وما بعد الطبيعة، طبعة دار المعارف ، مصر .

13. التراجم

ابن أبي أصيبعة

عيون الأنباء في طبقات الأطباء، مكتبة الحياة، بيروت ، 1956.

ابن أبي يعلى

طبقات الحنابلة، تحقيق محمد حامد الفقي، القاهرة ، 1952.

ابن الأثير

اللباب في تهذيب الأنساب، 1.3 طبعة بغداد .

ابن خلكان

وفيات الأعيان، تحقيق د/ إحسان عباس، بيروت، 1968، 1972 .

ابن حجر

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد سيد جاد الحق، القاهرة، 1966 .

ابن كثير

البداية والنهاية ، مصر ، 1351، 1358 هـ .

ابن النديم

الفهرست، تحقيق رضا تجددى، طهران، 1971 .

ابن عبد البر

الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1، 1415 هـ، 1995.

ابن فرحون

الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور القاهرة، 1974.

أبو نعيم

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، القاهرة، 1932، 1938.

الذهبي

تذكرة الحفاظ ، الهند ، 1958 .

14. اللغة والموسوعات

ابن منظور

لسان العرب، نشر دار الجيل ـ دار لسان العرب، بيروت ، 1408هـ ـ 1988.

المعجم الوسيط لمجموعة من الأساتذة، نشر مجمع اللغة العربية.

المنجد في اللغة والاعلام، نشر دار المشرق، ط27، بيروت لبنان .

الموسوعات

محيط المحيط للبستاني، دار المعرفة، بيروت.

الموسوعة الفلسفية المختصرة، ترجمة جماعة من الأساتذة ، إشراف : د/ زكي نجيب محمود، دار القلم ، الكويت .

الموسوعة العربية الميسرة، إشراف : محمد شفيق غرْبال، دار الشعب ومؤسسة فرنكلين، 1965.

الموسوعة العربية العالمية، نشر مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر، الرياض، 1999.

المعجم الفلسفي ، د/ جميل صليبا، الشركة العالمية للكتاب، بيروت ، 1994.

قصة الحضارة لـ : ول. ديورانت، ترجمة مجموعة من الأساتذة، نشر جامعة الدول العربية .

موسوعة أعلام الفلسفة، روني ايلي ألفا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1992 .

المقدمة لابن خلدون، إحياء التراث العربي، لبنان .

15. الثقافة العامة

نظرا لكثرة المراجع في هذا الباب، اقتصر على ذكر هذه النماذج التالية :

التكامل في الاسلام لأحمد أمين ـ غير مصري ـ نشر دار المعرفة، بيروت ، لبنان .

الصراع في الوجود لـ بولس سلامة ، نشر دار المعارف، مصر .

الطب محراب الايمان د/ خالص جلبي، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت .

الوحي المحمدي لـ : محمد رشيد رضا، نشر مكتبة القاهرة، مصر .

الاسلام والفكر العلمي لـ: د/ محمد المبارك،نشر دار الفكر ط2، 1400، 1980 .

في مقارنة الأديان لـ: محمد عبد ا لله الشرقاوي، نشر دار الجيل ط2، بيروت ، 1990.

خلق الانسان بين الطب والقرآن لـ : د/ محمد علي البار، نشر دار السعودية ط1، 1980.

الاسلام عقيدة وشريعة لـ : محمود شلتوت، نشر دار الشروق ، بيروت، لبنان .

التفكير التاريخي في الاسلام لـ: عبد اللطيف شرارة، نشر دار الأندلس، ط2، 1983، لبنان .

أساليب الغزو الفكري لـ: د/ علي جريشة، الزيبق، نشر دار الاعتصام، ط1، 1977، مصر .

الاسلام ومشكلات الفكر لـ : فتحي رضوان، سلسلة اقرأ، عدد 377 .

الإيمان والحياة لـ : د/ يوسف القرضاوي، نشر دار الشهاب، الجزائر .

المجلات والجرائد

مجلة المجلس الاسلامي الأعلى عدد :2 ، 1419هـ، 1999م ، الجزائر .

مجلة العلم والايمان عدد : 74، 1982، طرابلس، ليبيا .

أسبوعية السفير الجزائرية عدد : 26، تاريخ : 1421/7/18هـ - 2000/10/16.

جريدة الجمهورية المصرية 1973/1/4.

16 .فهرسة الموضوعات